# الكِفايـة

## في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء التاسع والثلاثون

**[سورة الليل، الآية: ٥]- [ آخر سورة الماعون ]**

منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

**ملاحظة:**

**إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.**

abdulla.khdhir@gmail.com

{بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

**القرآن**

**{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)} [الليل : ٥-٧]**

التفسير:

فأمَّا من بذل من ماله واتقى الله في ذلك، وصدَّق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء، فسنرشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصلاح ونيسِّر له أموره.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، أي:" فأمَّا من بذل من ماله واتقى الله في ذلك"[١].

قال الطبري:" فأما من أعطى واتقى منكم أيها الناس في سبيل الله، ومن أمَرَه الله بإعطائه من ماله، وما وهب له من فضله، واتقى الله واجتنب محارمه"[٢].

وفي قوله تعالى:{أَعْطَى} [الليل : ٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أعطى ما عنده، قاله ابن عباس[٣].

قال ابن عباس:" أعطى ما عنده"[٤].

عن ابن عباس: "{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى}: من الفضل"[٥].

الثاني: أعطى حق الله عليه. قال قتادة[٦].

قال ابن كثير:" أي : أعطى ما أمر بإخراجه"[٧].

الثالث: يقول: من ذكر الله. قاله الضحاك[٨].

وفي قوله تعالى:{وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها: اتقى ربه. قاله ابن عباس[٩]، والضحاك[١٠].

الثاني : اتقى محارم الله التي نهى عنها، قال قتادة[١١].

قال قتادة:" واتقى محارمه"[١٢].

قال ابن كثير:" واتقى الله في أموره "[١٣].

الثالث : اتقى البخل ، قاله مجاهد[١٤] .

قوله تعالى:{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٦]، أي:" وصدَّق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء"[١٥].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٦]، أقوال:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٢) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٨٧/٦، والبحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٥.

أحدها : بتوحيد الله ، وهو قول :«لا إله إلا الله»، قاله ابن مسعود[١]، ورواه عطية عن ابن عباس[٢]، وبه قال الضحاك[٣]، وعطاء[٤].

عن أبي الزبير، قال: " قرئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: ٦]، قال: "بـ «لا إله إلا الله»"[٥].

عن يحيى بن أبي أنيسة:" أنه سأل عطاء بن أبي رباح عن قول الله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل : ٨٩]، قال عطاء: من جاء بالتوحيد فله خير وقوة، {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} [النمل : ٩٠]، فقال عطاء: من جاء بالشرك؛ قال: وسمعت عطاء يقول: ألم تسمع لقوله: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)} [الليل : ٥ - ٦]، يقول: من صدق بالتوحيد، {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)} [الليل : ٨ - ٩]، كذب بالتوحيد"[٦].

الثاني : بموعود الله الذي وعده أن يثيبه، قاله قتادة[٧]، ومقاتل[٨]، والكلبي[٩].

قال قتادة:" صدق المؤمن بموعد الله الحسن"[١٠].

قال قتادة:" بموعود الله على نفسه"[١١].

قال مقاتل:" بعدة الله- عز وجل- أن يخلفه في الآخرة خيرا، إذا أعطى في حق الله- عز وجل-"[١٢].

وحكي الماوردي عن خصيف: قال:" بالثواب"[١٣]،

الثالث : بالجنة ، قاله مجاهد[١٤]، والحسن[١٥]، ويحيى بن سلام[١٦]، والفراء[١٧]، يدل عليه قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦].

وقال الفراء:" بثواب الجنة"[١٨].

وروي عن الحسن، قال : "الحسنى : الجنة"

عن أبيّ بن كعب قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الحسنى»، قال: «الحسنى: الجنة[١٩]»"[٢٠].

الرابع : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم[٢١].

الخامس : بما أنعم الله عليه، قاله عطاء[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص٣٤٤٠/١٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٤) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.
(٥) مسند أبي حنيفة رواية الحصفكي، الرقم(١٥).
(٦) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.
(٧) انظر: تفسير: ابن أبي حاتم (١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٧٢٢/٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢١٧/١٠.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٧٢٢/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤-٤٧٣.
(١٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٩٣/١٠.
(١٦) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٢٨.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(١٨) معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(١٩) في تفسير ابن أبي حاتم: «الجن» وهو تصحيف، والصحيح ما ثبتناه.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٣):ص٣٤٤١/١٠. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(٢١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

السادس : بالخَلف من الله، لقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } [سبأ : ٣٩]. رواه عكرمة عن ابن عباس[٢]، وبه قال الحسن[٣].

قال النحاس:" ومن أحسن ما قيل في معنى:{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}، ما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص بن راشد، عن يوسف بن موسى، عن ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، :{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}، قال: «بالخلف». فهذا إسناد مستقيم، ومعنى ملائم لسياق الكلام"[٤].

قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل : ٧]، أي:" فسنرشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصلاح ونيسِّر له أموره"[٥].

وفي قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل : ٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : للجنة. قاله زيد بن أسلم[٦].

الثاني : للخير. قاله ابن عباس[٧].

قال الفراء:" للعود إلى العمل الصالح"[٨].

قال مقاتل:" يعني: نيسره للعودة إلى أن يعطي فسنيسره للخير"[٩].

قال الزجاج:" أي: للأمر السهل الذي لا يقدر عليه أحد إلا المؤمنين"[١٠].

قال الماوردي:" فسنيسر له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها"[١١].

قال أبو حيان:"أي: نهيئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون وذلك في الدنيا والآخرة"[١٢].

قال الطبري:" المعنى:" فسنهيئه في الدنيا للخلة العُسرى، وهو من قولهم: قد يسرت غنم فلان: إذا ولدت وتهيأت للولادة، وكما قال الشاعر[١٣]:

هُمَا سَيِّدَنا يَزْعُمانِ وإنَّمَا ... يَسُودَانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَماهُمَا"[١٤].

عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : "كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه : أي بني، أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالا جُلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! فقال : أيْ أبَت، إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله : قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}"[١٥].

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملَكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠، وتفسير مجاهد: ٧٣٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٤) إعراب القرآن: ١٥٠/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٤):ً٣٤٤١/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.

(٨) معاني القرآن: ٢٧٠/٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٤.

(١٠) معاني القرآن: ٣٣٥/٥.

(١١) النكت والعيون: ٢٨٨/٦.

(١٢) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.

(١٣)لأبي أسيدة الدبيري في تخليص الشواهد ص ٤٤٦؛ والدرر ٢/ ٢٥٥؛ وشرح التصريح ١/ ٢٥٤؛ ولسان العرب ٥/ ٢٩٦ (يسر) والمقاصد النحويّة ٢/ ٤٠٣؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ٥٩؛ هي ولسان العرب ١٢/ ٤٤٥ (غنم)؛ وهمع الهوامع ١/ ١٥٣ وتاج العروس (غنم).

(١٤) تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢٤.

تلفا، وأنزل الله في ذلك القرآن فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى"[١].

عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن أبيه قال : سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله، أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال : "بل على أمر قد فُرغ منه" قال : ففيم العملُ يا رسول الله ؟ قال : "كل ميسر لما خلق له" [٢].

عن ابن عُمَر : قال : قال عمر : "يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفي أمر قد فُرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : " فيما قد فُرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب، فإن كُلا مُيَسَّر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء"[٣].

عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله، أنعمل لأمر قد فرغ منه، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : "لأمر قد فرغ منه". فقال سراقة : ففيم العمل إذًا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل عامل مُيَسَّر لعمله"[٤].

عن النزال بن سَبَرةَ، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ما مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلا قَدْ كُتبَ اللهُ عَلَيْها ما هِيَ لاقِيَتُهُ" وأعرابي عند النبيّ صلى الله عليه وسلم مرتاد، فقال الأعرابيّ: فما جاء بي أضرب من وادي كذا وكذا، إن كان قد فرغ من الأمر، فنكت النبيّ صلى الله عليه وسلم في الأرض، حتى ظنّ القوم أنه ود أنه لم يكن تكلم بشيء منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلّ مُيَسرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الخَيرِ، وَمَنْ يُرِدْ بِهِ شَرًّا يَسَّرَهُ لِسَبِيلِ الشَّرِّ"، فلقيت عمَرو بن مرّة، فعرضت عليه هذا الحديث، فقال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم، وزاد فيه: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}"[٥].

عن بشير بن كعب العدوي قال : "سأل غلامان شابان النبي صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله، أنعمل فيما جفَّت به الأقلام، وجرَت به المقادير، أو في شيء يستأنف؟ فقال: "بَلْ فِيما جَفَّتْ بِهِ الأقْلامُ وَجَرَتْ به المقادِيُر" قالا ففيم العمل إذن؟ قال: "اعمَلُوا، فَكُلٌّ عامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ الَّذِي خلِقَ لَهُ"، قالا فالآن نجدّ ونعمل"[٦].

عن علي بن أبي طالب قال : "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بَقِيع الغَرْقَد في جنازة، فقال : "ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار". فقالوا : يا رسول الله، أفلا نتكل ؟ فقال : "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له". قال : ثم قرأ :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} إلى قوله :{لِلْعُسْرَى}"[٧].

عن علي بن أبي طالب، -رضي الله عنه- : "كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخْصَرَةٌ فَنَكَسَ فجعل ينكُت بمخصرته، ثم قال : "ما منكم من أحد - أو : ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة". فقال رجل : يا رسول الله، أفلا نتكل وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال : "أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء". ثم قرأ :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} الآية"[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٥):ص٣٤٤١/١٠.
(٢)المسند (٥/١).
(٣) المسند (٥٢/٢) وسنن الترمذي برقم (٢١٣٥).
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٦٤٨)، وتفسير الطبري: ٤٧٥/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٤.
(٧) صحيح البخاري برقم (٤٩٤٥).
(٨) صحيح البخاري برقم (٤٩٤٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٧) وسنن أبي داود برقم (٤٦٩٤) وسنن

عن أبي الأحوص، عن عبد الله، أنه كان يدعو: «اللهم ألبسنا لباس التقوى، وألزمنا كلمة التقوى، واجعلنا من أولي النهى، وأمتنا حين ترضى، وأدخلنا جنة المأوى، واجعلنا ممن بر واتقى، وصدق بالحسنى، ونهى النفس عن الهوى، واجعلنا ممن تيسره لليسرى، وتجنبه العسرى، واجعلنا ممن يتذكر فتنفعه الذكرى، اللهم اجعل سعينا مشكورا، وذنبنا مغفورا، ولقنا نضرة وسرورا، واكسنا سندسا وحريرا، واجعل لنا أساور من ذهب ولؤلؤ، وحريرا»[1].

**القرآن**

**{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)} [الليل : ٨-٩]**

التفسير:

وأما مَن بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه، وكذَّب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} [الليل : ٨]، أي:" وأما مَن بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه"[2].

قال الزجاج:" نزلت في رجل أكره ذكره، وهي جامعة لكل من بخل وكذب، لأن الله جل وعز يجازيه أو يخلف عليه "[3].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ} [الليل : ٨]، وجهان:ب

أحدهما : بخل بماله الذي لا يبقى، قاله ابن عباس[4]، والحسن[5].

قال ابن عباس:" بخل بماله، {وَاسْتَغْنَى} عن ربه"[6].

قال الحسن:" بخل بما لم يَبقَ، واستغنى بغير غِنًى"[7].

الثاني : بخل بحق الله تعالى ، قاله قتادة[8].

عن قتادة:" {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ}، قال: بحق الله عليه، {وَاسْتَغْنَى}: في نفسه عن ربه"[9].

قال أبو حيان:" قابل {أعطى} بـ{بخل}، و{اتقى} بـ{استغنى}، لأنه زهد فيما عند الله بقوله: {واستغنى}"[10].

قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، أي:" وكذَّب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء"[11].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، أقوال:

أحدها : بتوحيد الله ، وهو قول :«لا إله إلا الله»، قاله ابن مسعود[12]، ورواه عطية عن ابن عباس[13]، وبه قال الضحاك[14]، وعطاء[15].

---

الترمذي برقم (٣٣٤٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٨) وسنن ابن ماجة برقم (٧٨).

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٢٩٥٣٣):ص٦٩/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٤٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠.

(٧)أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٤٩، وانظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١.

(١٠) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص٣٤٤٠/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(١٥) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.

عن ابن عباس: "{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى}: وكذّب بـ«لا إله إلا الله»"[١].
قال عطاء:" كذب بالتوحيد"[٢].
الثاني : بموعود الله الذي وعده أن يثيبه، قاله قتادة[٣]، ومقاتل[٤]، والكلبي[٥].
قال قتادة:" وكذّب بموعود الله الذي وعد، قال الله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}"[٦].
قال قتادة:" وكذّب الكافر بموعود الله الحسن"[٧].
الثالث : بالجنة ، قاله مجاهد[٨]، ويحيى بن سلام[٩]، والفراء[١٠]، يدل عليه قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦].
قال ابن كثير:" أي : بالجزاء في الدار الآخرة"[١١].
قال الفراء: أي:" بثواب الجنة، أنه لا ثواب"[١٢].
عن أبيّ بن كعب قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الحسنى»، قال: «الحسنى: الجنة[١٣]»"[١٤].
الرابع : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم[١٥].
الخامس : بما أنعم الله عليه، قاله عطاء[١٦].
السادس : بالخَلَف من الله، لقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ : ٣٩]. رواه عكرمة عن ابن عباس[١٧]، وبه قال الحسن[١٨].
قال ابن عباس:" وكذّب بالخلف"[١٩].

**القرآن**
**{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)} [الليل : ١٠-١١]**
التفسير:
فسنُيَسِّر له أسباب الشقاء، ولا ينفعه ماله الذي بخل به إذا وقع في النار.
قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، أي:" فسنُيَسِّر له أسباب الشقاء"[٢٠].
وفي قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، ثلاثة وجوه:
أحدها : للشر من الله تعالى، قاله ابن عباس[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.
(٣) انظر: تفسير: الطبري: ٤٧٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٧٢٢/٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٢١٧/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤-٤٧٣.
(٩) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٢٨.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(١٢) معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(١٣) في تفسير ابن أبي حاتم: «الجن» وهو تصحيف، والصحيح ما ثبتناه.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٣):ص٣٤٤١/١٠. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦١):ص٣٤٤٠/١٠، وتفسير مجاهد: ٧٣٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.
(٢٠) التفسير الميسر: ٥٩٦.

وقال الفراء:" يقول: قد خلق على أنه شقي ممنوع من الخير"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لطريق الشر، كما قال تعالى :{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام : ١١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله، عز وجل، يُجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان. وكل ذلك بقدر مُقدّر"[٣].

الثاني : للنار، قاله ابن مسعود[٤]، والضحاك[٥].

قال الزجاج:" العذاب والأمر العسير"[٦].

قال سهل:" أي: نسهل عليه العمل، بعمل أهل النار، ألا تراه كيف قال عقبه: {وَما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى} [الليل: ١١]، في النار"[٧].

الثالث : فسنعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها. ذكره الماوردي[٨]، وهو معنى قول مقاتل[٩].

قال مقاتل:" نعسر عليه أن يعطى خيرا "[١٠].

قال أبو حيان:" {لِلْعُسْرَى}: هي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة"[١١].

قال الزمخشري:" {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى}...[١٢]حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشدّه، من قوله: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ}، أو سمى طريقة الخير باليسرى، لأنّ عاقبتها اليسر، وطريقة الشر العسرى، لأن عاقبتها العسر. أو أراد بهما طريقي الجنة والنار، أى: فسنهديهما في الآخرة للطريقين"[١٣].

قال النحاس:" فإن قيل: التيسير إنما يكون للخير فكيف جاء للعسر؟ فالجواب أنه مثل {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١]، أي: اجعل ما يا قوم لهم مقام البشارة وأنشد سيبويه[١٤]:

[وخيل قد دلفت لها بخيل] ... تحيّة بينهم ضرب وجيع

هذا قول البصريين، وقول الفراء إنه إذا اجتمع خير وشر فوقع للخير تبشير جاز أن يقع للشر مثله"[١٥].

قوله تعالى:{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [الليل : ١١]، أي:" ولا ينفعه ماله الذي بخل به إذا وقع في النار"[١٦].

قال الطبري: يقول:" أيّ شيء يدفع عن هذا الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه، ماله يوم القيامة {إِذَا} هو {تَرَدَّى}"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٧٠/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص٣٤٤٠/١٠. وراجع سبب نزول السورة.
(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٥٠/٥.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.
(٧) تفسير التستري: ١٩٦.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٤.
(١١) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.
(١٢) هذا الفراغ عبارة للزمخشري حذفتها لأن فيها دسيسة الاعتزال.
(١٣) الكشاف: ٧٦٢/٤.
(١٤) الشاهد لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ١٤٩، وخزانة الأدب ٩/ ٢٥٢، والكتاب ٢/ ٣٣٥، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٠٠، ونوادر أبي زيد ١٥٠، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٤٥، والخصائص ١/ ٣٦٨، وشرح المفصل ٢/ ٨٠، والمقتضب ٢/ ٢٠.
(١٥) إعراب القرآن: ١٥٠/٥.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(١٧) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.

وفي قوله تعالى:{إِذَا تَرَدَّى} [الليل : ١١]، وجهان:
أحدهما : إذا تردّى في النار ، قاله أبو صالح[١]، وقتادة[٢].
قال ابن قتيبة:" في النار، أي: سقط"[٣].
قال النحاس:" أي: وأيّ شيء يدفع عنه ماله إذا سقط في النار"[٤].
الثاني : إذا مات فتردى في قبره ، قاله مجاهد[٥].
قال ابن قتيبة:" ويقال: «تَرَدَّى»: تَفَعَّل؛ من «الرَّدَى»، وهو: الهلاك"[٦].
قال الزمخشري:" استفهام في معنى الإنكار، أو نفى تَرَدَّى تفعل من الردى وهو الهلاك، يريد: الموت. أو تردّى في الحفرة إذا قبر، أو تردى في قعر جهنم"[٧].
قال النحاس:" وذهب مجاهد: إذا هلك، وإنما يقال في الهلاك: ردى، يردي وتردّى: إذا سقط، وردؤ الرجل يردؤ رداءة، وهو: رديء مردئ"[٨].
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إذا تردّى في جهنم، لأن ذلك هو المعروف من التردّي، فأما إذا أُريد معنى الموت، فإنه يقال: رَدِيَ فلان، وقلما يقال: تردّى"[٩].
فوائد الآيات: [٥-١١]:
١- تقرير القضاء والقدر، وهو أن كل إنسان ميسر لما خلق له من سعادة أو شقاء، لحديث «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[١٠]، مع تقرير أن ممن وفق للعمل بما يرضى الله تعالى كان ذلك دليلا على أنه مكتوب سعيدا، إذا مات على ما وفق له من العمل الصالح. وأن من وفق للعمل المسخط لله تعالى كان دليلا على أنه مكتوب شقاوته، إن هو مات على ذلك.
٢- تقرير أن التوفيق للعمل بالطاعة يتوقف حسب سنة الله تعالى على رغبة العبد وطلبه ذلك والحرص عليه واختياره على غيره وتسخير النفس والجوارح له. كما أن التوفيق للعمل الفاسد قائم على ما ذكرنا في العمل الصالح، وهو اختيار العبد وطلبه وحرصه وتسخير نفسه وجوارحه لذلك هذه سنة من سنن الله تعالى في خلقه.
قال عمر الحملاوي:" قد يلوم أحدكم بعض من يقترفون المنكر فيدفع عن نفسه بقوله: «هذه إرادة الله» .... أجل هذه إرادة الله، ولكن الله يكره من عباده أن يعملوا الشر، وإن وقع بإرادته، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، وليس معنى المشيئة أنه يحب ذلك الشر بل معناه: أن الشر لا يقع على الرغم منه- وحاشا له وإرادة الله تعالى لا ترغم العبد على فعل الشر، ولو أن العبد فعل الخير بدل الشر لكان فعل الخير بإرادته سبحانه- أيضا.
فالله سبحانه بعد أن أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وبين الحلال والحرام، وأخبر بما أعد للمطيعين، وما أعد للعصاة المارقين، ترك العباد لاختيارهم كما قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.
(٣) غريب القرآن: ٥٣١.
(٤) إعراب القرآن: ١٥٠/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.
(٦) غريب القرآن: ٥٣١. يريد الموت، وانظر: النهاية ٧٧/٢، واللسان ٣٠/١٩.
(٧) الكشاف: ٧٦٢/٤.
(٨) إعراب القرآن: ١٥٠/٥.
(٩) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.
(١٠) سبق تخريجه.

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)} [الكهف : ٢٩ - ٣١].

ترك الله العباد لاختيارهم، وان كان يحب منهم أن يأتوا الطاعات، ويكره أن يأتوا المعاصي. فالطاعة والمعاصي تقع من العبد بإرادة الله ومشيئته أي بغير أن يكون مكرها على وقوعها كما أن مشيئته تعالى لم تكره العبد على المعصية التي تقع منه.

وهنا حقيقتان متفقتان ينبغي تدبرهما وفقهما:

الأولى: أن كل شيء من عند الله بمعنى أنه خالق الأشياء، وواضع النظام والسنن، ومسبب الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار- وهذا كله بسعي الإنسان واختياره لأنه مظهر الحكمة الإلهي.

الثانية: أن الإنسان لا يقع في شيء يسوؤه إلا بتقصيره في استبانة الأسباب وتعرف السبب والأحكام فإذا قصر الإنسان في العلم وأساء الاختيار في استعمال قواه في غير ما يقتضيه نظام الفطرة وقع فيما يسوؤه وكان على نفسه جانيا {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} أفلا يدل على أن الهدى والضلال بيد الله تعالى، وليس للعبد فيما كسب ولا عمل؟ ينبغي للإنسان أن يعلم أن الله تعالى حكيم، والحكيم يضع الأشياء في مواضعها، ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة قال تعالى: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} [الليل : ٤ - ١٠].

فدل سبحانه بهذا القول الحكيم على أن أعمال العباد مختلفة وعلى أنها مقدمات تفضي إلى نتائجها، وأسباب تؤدي إلى مسبباتها فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى سييسره الله الحسنى: وذلك هو الذي يشاء الله أن يهديه، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى، وذلك هو الله الذي يشاء أن يضله وهذا اختيار من جانب العبد، واتجاه وعمل، ومن فضل الله ورحمته أن الذي يختار الخير ويتجه إليه يعينه الله عليه، وييسره له كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد : ١٧]، وكما قال أيضا: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا} [مريم : ٧٦].

وأما الذين يختارون الشر، ويتجهون إليه، فإن الله تعالى يوليهم ما تولوا، ويتركهم وما اختاروا لأنفسهم كما قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء : ١١٥]، وهذا معنى إضلالهم فمن حيث أن الله سبحانه دعاهم إلى الطريق الخير وسبيل الهداية على لسان رسله، وفي كتبه المنزلة بعد أن منحهم من أنواع الهدايات ما فيه بلاغ فأبوا أن يستجيبوا لداعي الحق، واستكبروا أن يسلكوا سبل الرشد، فلا جرم أن الله يتركهم وما اختاروا لأنفسهم فلا يأتي إضلالهم إلا من بعد أن اتجهوا الى الشر وإعراضهم عن الخير قال تعالى: {.. وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)} [البقرة : ٢٦ - ٢٧]، إن الذين وقع عليهم الإضلال هم الموصوفون بما ذكر، فالإضلال قد وقع على الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، فهو نتيجة مترتبة على مقدمات أتوا بها، ومسبب عن أسباب وهو ليس إلا تركهم يسيرون في الطريق الذي اختاروا سلوكه، ولو وقع الضلال على الصالحين يصلون ما أمر به أن يوصل، ويصلحون في الأرض لقلنا أن الله أرغمهم على الضلال وحاشا الله.

قال تعالى في كتابه الكريم: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)} [الإسراء : ١٨ - ١٩].

وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى : ٢٠]، وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ

(٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)} [الواقعة : ٦٣ - ٦٧]، في هذه النصوص الحكيمة أكبر العبرة لمن شاء أن يعتبر، فقد بين سبحانه وتعالى أنه يعطي العبد ما يسعى للحصول عليه والظفر به، فمن سعى إلى الدنيا أعطاه منها، ومن سعى إلى الآخرة شكر الله سعيه.

وقد أسند رب العزة إلى العبد إرادة وسعيا كما أسند إليه الحرث وأسند الى نفسه الزرع، فالحرث ما يقوم به العباد من حرث الأرض وتهيئتها وإعدادها، وبذر الحب، وإفاضة الماء، وتعهد النبات بالعزق والتسميد وما إلى ذلك.

والزرع: إخراج النبات من الحب، وهو الأمر الذي لا يدخل في طوق البشر، ولا يسطيعون إليه سبيلا، ولا يقدرعليه إلا رب العالمين سبحانه.

وعلى ذكر الحرث والزرع، أرأيتم إنسانا بذر برا فنبت له شعيرا، أو غرس نخلا فنبت له دوما، أو بذر حنظلا فنبت له موزا.

وكذلك الشأن في المعنويات، فمن أتجه الى الخير وأخذ بأسبابه هيأه الله له، ومن اتجه الى الشر وتعلق بوسائله: ولاه الله ما تولى، وتركه وما أختار كما أن من حرث التبن زرع الله له التبن، ومن حرث الشوك زرع الله له الشوك، وكل يجني ما غرست يداه، ولا يظلم ربك أحدا"[١].

**القرآن**

**{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣)} [الليل : ١٢-١٣]**

التفسير:

إن علينا بفضلنا وحكمتنا أن نبيِّن طريق الهدى الموصل إلى الله وجنته من طريق الضلال، وإن لنا ملك الحياة الآخرة والحياة الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} [الليل : ١٢]، أي:" إن علينا بفضلنا وحكمتنا أن نبيِّن طريق الهدى الموصل إلى الله وجنته من طريق الضلال"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن علينا لبيانَ الحقّ من الباطل، والطاعة من المعصية"[٣].

قال الزجاج:" أي: إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال"[٤].

قال أبو حيان:" إن علينا التعريف بالسبيل ومنحهم الإدراك، كما قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ } [النحل: ٩]"[٥].

قال قتادة:" على الله البيان، بيانُ حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته"[٦].

وقال الفراء:" يقول: من سلك الهدى فعلى الله سبيله، ومثله قوله: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} [النحل : ٩]، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد، ويقال: إن علينا للهدى والإضلال، فترك «الإضلال» كما قال: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} [النحل : ٨١]، وهي تقي الحر والبرد"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى} [الليل : ١٣]، أي:" وإن لنا ملك الحياة الآخرة والحياة الدنيا"[٨].

---

(١)كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»: ٢٣٢-٢٣٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٣) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٣/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٧١/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٦.

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى} [الليل : ١٣]، وجهان:
أحدهما : ثواب الدنيا والآخرة ، قاله الكلبي[١]، والفراء[٢].
قال أبو حيان:" أي: ثواب الدارين، لقوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [العنكبوت : ٢٧]"[٣].
الثاني : ملك الدنيا وملك الآخرة ، قاله مقاتل[٤]، والطبري[٥].
قال القشيري: أي:" ملكا، نعطيه من نشاء"[٦].
قال الثعلبي:" فمن طلبها من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق"[٧].
قال الطبري:" وإن لنا ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي منهما من أردنا من خلقنا، ونحرمه من شئنا، وإنما عَنَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحبّ من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذُل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهينه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة"[٨].

**القرآن**
**{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤)} [الليل : ١٤]**
التفسير:
فحذَّرتكم -أيها الناس- وخوَّفتكم نارًا تتوهج، وهي نار جهنم.
وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} [الليل : ١٤] ثلاثة وجوه:
أحدها : معناه: تتغيظ ، قاله الكلبي[٩].
الثاني : تتوقد وتشتعل. قاله مقاتل[١٠].
الثالث : تتوهج ، قاله مجاهد[١١]، وأنشد لعلّي رضي الله عنه[١٢]:
كأن الملح خالطه إذا ما ... تلظّى كالعقيقة في الظلال
قال الطبري:" فأنذرتكم أيها الناس نارا تتوهَّج، وهي نار جهنم، يقول: احذروا أن تعصوا ربكم في الدنيا، وتكفروا به، فَتصْلَونها في الآخرة"[١٣].
قال الزجاج:" معناه: تتوهج وتتوقد"[١٤].
الرابع : تتأجج. قاله يحيى[١٥].
عن عمرو بن دينار قال، «فاتت عبيد بن عمير ركعة من المغرب، فقام يقضيها فسمعته يقرأ: «فأنذرتكم نارا تتلظى». قال الفراء: ورأيتها في مصحف عبد الله: «تتلظى» بتاءين[١٦].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٦.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٧١/٣.
(٣) البحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٤.
(٦) لطائف الإشارات: ٧٣٧/٣.
(٧) الكشف والبيان: ٢١٨/١٠.
(٨) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٦.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٣/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٣٤.
(١٢) الشاهد في النكت والعيون: ٢٩٠/٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.
(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.
(١٦) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٢٧٢/٣.

**القرآن**

**{لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)} [الليل : ١٥-١٦]**

التفسير:

لا يدخلها إلا مَن كان شديد الشقاء، الذي كذَّب نبي الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأعرض عن الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهما.

قوله تعالى:{لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} [الليل : ١٥]، أي:" لا يدخلها إلا مَن كان شديد الشقاء"(١).

قال الطبري: " لا يدخلها فيصلى بسعيرها إلا الأشقى"(٢).

وفي «الْأَشْقَى»، قولان:

أحدهما: أن «الْأَشْقَى» بمعنى: الشقي. قاله أبو عبيدة(٣)، والفراء(٤)، والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل»، ومنه قول طرفة(٥):

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وإِنْ أَمُتْ ... فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوحَدِ

وقال الفراء: «الأشقى»: "إلا من كان شقيا في علم الله"(٦).

الثاني: المعنى: أنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلّا أشقى أهل النار، وأشقى أهل النار: الكفار. ودلّ بهذا على أن غير الكفار يدخلون النار بذنوبهم.

قال الفرّاء: قوله: {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} ،لم يكن كذب برد ظاهر، ولكنه قصر عما أمر به من الطاعة، فجعل تكذيبا، كما تقول: لقي فلان العدو فكذب إذا نكل ورجع"(٧).

قال الزجاج:" فهذه النار الموصوفة لا يدخلها إلا الكفار"(٨).

قال الزجاج:" وهذه الآية هي التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر لقوله: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)} [الليل : ١٥ - ١٦]، وليس كما ظنوا، هذه نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار إلا الأشقى الذي كذب وتولى، ولأهل النار منازل فمنها قوله: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ} [النساء : ١٤٥]. والله عز وجل كل ما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز أن يعذب به. وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ٤٨]، فلو كان كل من لم يشرك بالله لا يعذب، لم يكن في قوله تعالى: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} [النساء : ٤٨] فائدة، وكان يغفر ما دون ذلك"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ٣٠١/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٥١/٥. حكاه عنه.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣/ ٢٧٢، والبحر المحيط: ٨/ ٤٧٨.

(٥) البيت للإمام الشافعي في ملحق ديوانه: ص ١٥٩، ١٦٠، وتاج العروس، مادة: «وحد»، وللإمام علي في ديوانه: ص ٦٧، والبيت لطرفة بن العبد في: "بهجة المجالس": ٢/ ٧٤٦، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٠١/٢، وتفسير الطبري: ٢٤/ ٤٧٨، وتفسير القرطبي: ٨٨/٢٠، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في كتاب العين، مادة«وحد».

والبيت في مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمنى موته، لما له من العهد بعده، فعاتبه الوليد في كتابه وفيه هذه الأبيات، وأولها: " تمنى رجال. . . إلخ ". ذكرها المسعودي في (مروج الذهب، طبعة دار الرجاء ٣: ١٠٣).

(٦) معاني القرآن: ٣/ ٢٧٢، وانظر: البحر المحيط: ٨/ ٤٧٨.

(٧) معاني القرآن: ٢٧٢/٣، وانظر: إعراب القرآن للنحاس : ١٥١/٥.

(٨) معاني القرآن: ١٦٨/١.

(٩) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.

قوله تعالى:{الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [الليل : ١٦]، أي:" الذي كذَّب نبي الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأعرض عن الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهما"[١].

قال الطبري: " يقول: الذي كذّب بآيات ربه، وأعرض عنها، ولم يصدق بها"[٢].

عن الحسن:" {لا يَصْلاها إلّا الأَشْقى الَّذِي كَذَّبَ وتَوَلّى}، قال: المُشرك"[٣].

عن الحسن -من طريق الحسن بن دينار- قال: "قيل له: أين أطفال المشركين؟ قال: في الجنة. فقيل له: عَمَّن؟ قال: قلتُ: عن الله - عز وجل -؛ قال الله -تبارك وتعالى-: {لا يَصْلاها إلّا الأَشْقى الَّذِي كَذَّبَ وتَوَلّى} وهذا لم يُكذِّب ولم يتولَّ"[٤].

عن مالك، قال: "صلّى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب، فقرأ فيها: {واللَّيْلِ إذا يَغْشى}، فلما أتى على هذه الآية: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نارًا تَلَظّى} وقع عليه البكاء، فلم يقدر أن ينفذها من البكاء، وقرأ سورة أخرى"[٥].

عن أبي أمامة قال: "لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا أدخله الله الجنة إلا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله، فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)} [الليل : ١٥ - ١٦]، يقول: لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب بما جاء به -محمد صلى الله عليه وسلم-، وتولى عنه"[٦].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يدخل النار إلا شقيٌّ». قيل: ومَن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل لله بطاعة، ولا يترك لله معصية»[٧].

عن أبي هريرة، قال: "لتدخلن الجنة إلا من يأبى، قالوا: يا أبا هريرة: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: فقرأ: {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}"[٨].

**القرآن**

**{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} [الليل : ١٧-٢١]**

التفسير:

وسيُزحزَح عنها شديد التقوى، الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير. وليس إنفاقه ذاك مكافأة لمن أسدى إليه معروفا، لكنه يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى ورضاه، ولسوف يعطيه الله في الجنة ما يرضى به.

قوله تعالى:{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} [الليل : ١٧]، أي:" وسيُزحزَح عنها شديد التقوى"[٩].

قال الطبري: " يقول: وسيوقَى صِلِيَّ النار التي تلظَّى التقيُّ"[١٠].

قال الزجاج:" أي: يطلب أن يكون عند الله زاكيا، لا يطلب بذلك رياء، ولا سمعة. ونزلت في أبي بكر - رضي الله عنه -"[١١].

قال ابن الجوزي:" يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٢) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٤.
(٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال -موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٦ (٢٠٧) -.
(٥)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢١٨ - ٢١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٨):ص٣٤٤١/١٠.
(٧)أخرجه أحمد ١٤/ ٢٥٢ (٨٥٩٤)، وابن ماجه ٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥ (٤٢٩٨).
قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠/ ٥٤: «وفي إسناده ضعف». وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ٢٥٩ (٩٣٥١): «هذا إسناد فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف».
(٨) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.

قال سهل:" الأتقى هو الصديق، هو أتقى الناس، فإن الناس أعطوا واتقوا وهو لم ير الفاني وأبقى لنفسه الباقي كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ماذا أبقيت لنفسك؟ قال: الله ورسوله»[٢]"[٣].

عن عروة :"أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة، كلهم يعذب في الله، بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة، وأم عيسى، وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} [الليل : ١٧]، إلى آخر السورة"[٤].

قال الزمخشري:" الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل: الأشقى، وجعل مختصا بالصلى، كأن النار لم تخلق إلا له. وقيل: الأتقى، وجعل مختصا بالنجاة، كأن الجنة لم تخلق إلا له. وقيل: هما أبو جهل أو أمية بن خلف، وأبو بكر -رضى الله عنه-"[٥].

قوله تعالى:{الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} [الليل : ١٨]، أي:" الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير"[٦].

قال الطبري: " يقول: الذي يعطي ماله في الدنيا في حقوق الله التي ألزمه إياها، يتطهر بإعطائه ذلك من ذنوبه"[٧].

قال الزمخشري:" {يَتَزَكَّى}: من الزكاء. أي: يطلب أن يكون عند الله زاكيا، لا يريد به رياء ولا سمعة. أو يتفعل من الزكاة"[٨].

قال السعدي: " بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدًا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} [الليل : ١٩]، أي:" وليس إنفاقه ذاك مكافأة لمن أسدى إليه معروفا"[١٠].

قال الزجاج:" أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أسديت إليه"[١١].

قوله تعالى:{إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل : ٢٠]، أي:" لكنه يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى ورضاه"[١٢].

قال الزجاج:" أي: إلا طلب ثوابه"[١٣].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠)} [الليل : ١٩ - ٢٠]، وجهان:

أحدهما : يقول: لم ينفق نفقته مكافأة ليد أحد عنده، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه، فـ«إلا» في هذا الموضع بمعنى: «لكن»، وهذا قول الفراء[١٤]، وحكاه الطبري[١].

---

(١) زاد المسير: ٤٥٥/٤.
(٢)شعب الإيمان ٢/ ١٠٦ (رقم ١٢٩٨) والحديث قاله صلّى الله عليه وسلّم مخاطبا به أبا بكر الصديق.
(٣) تفسير التستري: ١٩٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٧)ً: ٣٤٤١/١٠.
(٥) الكشاف: ٧٦٤/٤، ونلقه عنه: في البحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٧) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤.
(٨) الكشاف: ٧٦٤/٤، ونلقه عنه: في البحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.
(٩) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(١١) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(١٣) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٧٢/٣.

الثاني : وما لبلال عند أبي بكر حين اشتراه فأعتقه من الرق وخلّصه من العذاب نعمةٌ سلفت جازاه عليها بذلك إلا ابتغاء وجه ربه وعتقه ، قاله ابن عباس[٢]، وابن الزبير[٣]، وقتادة[٤].

عن عامر بن عبد الله عن أبيه، قال: "نزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق: {وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى}"[٥].

قال قتادة:" يقول: ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم، إنما عطيته لله"[٦].

عن قتادة، في قوله "{وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى}، قال: نزلت في أبي بكر، أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا، ستة أو سبعة، منهم بلال، وعامر بن فُهَيرة"[٧].

وقال عطاء عن ابن عباس: "إن بلالا لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها، وكان عبدا لعبد الله بن جدعان، فشكا إليه المشركون ما فعل، فوهبه لهم، ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه، وجعلوا يعذبونه في الرمضاء، وهو يقول: أحد أحد. فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ينجيك أحد أحد. ثم أخبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبا بكر : أن بلالا يعذب في الله، فحمل أبو بكر رطلا من ذهب، فابتاعه به. فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله تعالى: {وَمَا لِأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} [الليل : ١٩ - ٢١]"[٨].

روى علي-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: " رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، واشترى بلالا وأعتقه"[٩].

عن ابن عمر، قال:" بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، عليه عباءة قد خلها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فأقرأه من الله السلام وقال له: يا رسول الله، مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها على صدره بخلال قال: " يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال: فأقرئه من الله السلام، وقل له: يقول لك ربك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله السلام، ويقول: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أغضب؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض"[١٠].

قال السعدي: " وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه -رضي الله عنه- ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى"[١١].

قوله تعالى:{وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل : ٢١]، أي:" ولسوف يعطيه الله في الجنة ما يرضى به"[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٤-٤٧٩.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٩٠/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٤-٤٨٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤-٤٨٠.
(٨) أسباب النزول للواحدي: ٤٨٠. [بدون إسناد]
(٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٤١/٦.
(١٠) فضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم(٦٣):ص٧٤.
(١١) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٦.

قال الثعلبي: أي:" بثواب الله في العقبى عوضا مما فعل في الدنيا"[1].
قال السمعاني:" أي: يرضى ثوابه في الآخرة، والمعنى: يعطيه الله حتى يرضى"[2].
قال الزمخشري: {وَلَسَوْفَ يَرْضى}: موعد بالثواب الذي يرضيه ويقرّ عينه"[3].
قال السعدي:"{وَلَسَوْفَ يَرْضَى} هذا الأتقى، بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات"[4].
قال سهل:" يعني: بما له عندنا، وهو محل الفضل، لا محل الثواب، سراً بسر، وحياة بحياة، وأزلية بأزلية"[5].
قال الطبري:" سوف يدخل الجنة، كما قال: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٨ - ٣٠]"[6].
فوائد الآيات: [١٢-٢١]:
١- بيان أن الله تعالى متكفل بطريق الهدى فأرسل الرسل وأنزل الكتاب فأبان الطريق وأوضح السبيل.
٢- بيان أن لله تعالى وحده الدنيا والآخرة فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك من الله تعالى فالآخرة تطلب بالإيمان والتقوى والدنيا تطلب باتباع سنن الله تعالى في الحصول عليها.
٣- بيان فضل أبي بكر الصديق وأنه مبشر بالجنة في هذه الآية الكريمة.
**«آخر تفسير سورة (الليل)، والحمد لله وحده»**
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) الكشف والبيان: ٢٢٠/١٠.
(٢) تفسير السمعاني: ٢٤١/٦.
(٣) الكشاف: ٧٦٤/٤، ونلقه عنه: في البحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.
(٤) تفسير السعدي: ٩٢٦.
(٥) تفسير التستري: ١٩٦.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٦/٥.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الضحى»**

«سورة الضحى»: هي السورة الثالثة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفجر»، وآياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة واثنتان وسبعون. وفواصلها على «ثرا»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الضحى»:**

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير[٢]، بدون واو، وسميت في بعض من التفاسير[٣]، وفي «صحيح البخاري»[٤]، وسنن الترمذي[٥]: «سورة والضحى» بإثبات الواو.

وهذا الاسم مأثور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، كما في حديث معاذ بن جبل-رضي الله عنه-[٦]، وقد وردت هذه التسمية عند الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم أجمعين[٧].

ووجه تسميتها «سورة الضحى»، لافتتاحها بالقسم الإلهي، وذلك في قوله تعالى: {وَالضُّحَى} [الضحى : ١].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الضحى»، بمكة"[٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٩].

قال القرطبي:" سورة «الضحى» مكية باتفاق"[١٠].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة"[١١].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر فى السابقة «وسيجنبها الأتقى» ولما كان سيد الأتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ذلك سبحانه بذكر نعمه عز وجل عليه[١٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أنها نزلت مواساةً لخير الخلق محمدٍ، عندما شقّ عليه فتور الوحي عدة ليالٍ، فأراد الله أن ينزع من قلبه اليأس، ويبعث فيه التفاؤل والأمل، ومن صور التفاؤل في السورة.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٥/١.

(٢) انظر: مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٥٦/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩١/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤١/٥، والكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، والوسيط للواحدي: ٥٠٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٤٢/٦، والكشاف: ٧٦٥/٤، وغيرها.

(٣)انظر: مثلا: تفسير الطبري: ٤٨١/٢٤، وتفسير ابن فورك: ٢٣٥/٣، وتفسير البيضاوي: ٣١٩/٥، واللباب في علوم الكتاب: ٤٣٧/٤، وغيرها .

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٢/٦.

(٥) انظر: سنن الترمذي: ٢٩٩/٥.

(٦) انظر الحديث في فضائل السورة.

(٧) انظر: الآثار في فضائل السورة.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٨، وعزاه إلى الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٩) زاد المسير: ٤٥٦/٤.

(١٠) تفسير القرطبي: ٩١/٢٠.

(١١) المحرر الوجيز: ٤٩٣/٥.

(١٢) انظر: تفسير المراغي: ١٨٢/٣٠.

٢- التأكيد على أنّ الضيق لا يبقى، ولا بدّ أن يتبعه الفرج، وأنّ الله يرحم عباده مهما طالت مدة العناء والضيق، والعلم أنّ ما من عبدٍ يُبتلى إلّا وفرّج الله عنه، والقدوة في ذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي ابتُلي بعدّة ابتلاءاتٍ؛ كالفقر، واليُتم، وعلى العبد أن يتذكّر نعم الله عليه وقت ابتلائه، ولا يُنكر فضل الله عليه، ورحمته به.
٣- نزول السورة في بداية الدعوة الإسلامية، حين عانى المسلمون أشدّ أنواع العذاب النفسي والجسدي، فكانت السورة بمثابة الدعم للمسلمين؛ ليثبتوا على دينهم. تعميق قيم التكافل الاجتماعي بين المسلمين؛ وذلك من خلال العطف على اليتيم، من جميع نواحي الحياة الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية.
٤- التأكيد على الأخلاق الحميدة، التي يجب الحرص عليها في التعامل مع المساكين والفقراء؛ اقتداءً برسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.
٥- شُكر الله -تعالى- الدائم على نِعَمه، صغيرةً كانت أم كبيرةً، قال الله -تعالى-: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].
٦- التأكيد على أهمية التعامل الحسن مع الآخرين، بالتشجيع، والتحفيز، وتعزيز الثقة بالنفس لديهم.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان ما للرسول صلى الله عليه وسلم: من الشرف والمنقبة، ووعده فى القيامة بالشفاعة، وذكر أنواع الكرامة له، والمنة، وصيانة الفقر واليتم من بين الحرمان والمذلة، والأمر بشكر النعمة في قوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة خالية من الناسخ والمنسوخ [٢].

- **فضائل السورة:**

- عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "«صلوا ركعتي الضحى بسورتهما: بـ{الشمس وضحاها}، و{الضحى}». قال عقبة: من فعل ذلك غفر له"[٣].
- عن عمرو، عن جابر قال: كان معاذ، يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له: أنافقت؟ يا فلان، قال: لا. والله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأخبرنه. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذا صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا». قال سفيان: فقلت لعمرو، إن أبا الزبير، حدثنا عن جابر، أنه قال: اقرأ «والشمس وضحاها»، و«الضحى»، «والليل إذا يغشى»، و«سبح اسم ربك الأعلى»، فقال عمرو: نحو هذا"[٤].
- عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: بينا فتى من الأنصار علف ناضحه، وأقام معاذ بن جبل صلاة العشاء، فنزل الفتى علفه، فقام فتوضأ، وحضر الصلاة، وافتتح معاذ بسورة البقرة، فصلى الفتى وترك معاذا، وانصرف إلى ناضحه فعلفه - أو فعلفها - فلما انصرف معاذ جاء الفتى، فسبه ونقصه، ثم قال: لآتين نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرك، فأصبحنا فاجتمعا عند النبي

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.
(٢) انظر: نواسخ القرآن لان الجوزي: ٣٥.
(٣) مسند الروياني(٢٤٣):ص١٨٥/١. في سنده ابن لهيعة، وهو ضعيف، سيئ الحفظ.
(٤) صحيح مسلم(٤٦٥):٣٣٩/١.

صلى الله عليه وسلم، فذكر له معاذ شأنه، فقال الفتى: إنا أهل عمل وشغل، فطول علينا، استفتح بسورة البقرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ، أتريد أن تكون فتانا؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، و«الليل إذا يغشى»، و«اقرأ باسم ربك»، و«الضحى»، وبهذا النحو»، فقال عبد الله بن عبيد بن عمير: فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الفتى فقال: «يا معاذ، ادع»، فدعا، فقال للفتى: «ادع»، فقال: والله لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أني والله لئن لقيت العدو لأصدقن الله، فلقي العدو فاستشهد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق الله فصدقه الله»[١].

- عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه- رضي الله عنه-، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب والعشاء {والليل إذا يغشى، {والضحى} ، وكان يقرأ في الظهر والعصر {سبح اسم ربك الأعلى} ، {وهل أتاك حديث الغاشية}"[٢].
- عن ابن عيينة، عن الصلت بن بهرام: «أن إبراهيم النخعي، أمهم في السفر في صلاة الصبح فقرأ والضحى، والتين»[٣].
- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين :{سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{ألم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»[٤].
- عن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة، قال: سمعت عكرمة بن سليمان، يقول: "قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلما بلغت «والضحى»، قال لي: «كبر كبر عند خاتمة كل سورة، حتى تختم» وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد، أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس، أن أبي بن كعب أمره بذلك وأخبره أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك"[٥].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة وَالضُّحى، كان فيمن يرضاه الله عزّ وجلّ لمحمد أن يشفع له، وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم» [٦].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) مصنف عبدالرزاق(٣٧٢٥):ص٢/٣٦٥.
(٢) مسند البزاز(٤٤١١):ص١٠/٢٩٦.
(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٧٤٢):ص٢/١٢٠.
(٤) مصنف عبدالرزاق(٢٨٥١):ص٢/١٤٨.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك(٥٣٢٥):ً٣/٣٤٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». قال الذهبي:" البزي قد تكلم فيه".
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٢/١٠. [والحديث موضوع].

**القرآن**

**{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]**

التفسير:

أقسم الله بوقت الضحى، والمراد به النهار كله، وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه، ما تركك -أيها النبي- ربك، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك.

سبب نزول السورة:

عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن سفيان -رضي الله عنه-، قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين - أو ثلاثا -»، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: {والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٢]"[(١)]. [صحيح]

عن هشام بن عروة، عن أبيه: "عن خديجة رضي الله عنها، أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا فقلت: مما رأيت من جزعه لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: {ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٣]"[(٢)].[مرسل]

عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه -رضي الله عنهما-، قال: «أري رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفتح على أمته من بعده، فسر بذلك» فأنزل الله عز وجل: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ١-٢]، إلى قوله {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥] قال: «فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر منها ما ينبغي له»[(٣)].

لقد اتّفق المفسّرون: على أنّ هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدّة، ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ اليهود سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الرّوح، فقال: سأخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي[(٤)].

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس:" أن قريشا سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية[(٥)].

---

(١)صحيح. أخرجه البخاري (٤٩٥٠):ص١٧٢/٦، والبغوي في «التفسير» (٢٣٤٩)، عن أحمد بن يونس به. من حديث جندي. وأخرجه البخاري (١١٢٥) و (١١٢٤) و (٤٩٨٣)، والترمذي (٣٣٤٥)، والطبري (٣٧٥٠٤)، وابن حبان (٦٥٦٦)، والطبراني (١٧٠٩)، والبيهقي: (٣/ ١٤)، وفي «الدلائل»: (٧/ ٥٨)، والواحدي في «الوسيط»: (٤/ ٥٠٧)، وفي «أسباب النزول»: (٨٥٨)، من طرق عن سفيان عن الأسود بن قيس به. وأخرجه البخاري (٤٩٥١)، ومسلم (١٧٩٧) ح ١١٥-، والطبري (٣٧٥٠٥)، والطبراني (١٧١٠) و (١٧١١)، وأحمد (٤/ ٣١٢)، والبيهقي (٣/ ١٤)، من طريقين عن الأسود بن قيس به. وفي الباب أحاديث، وهذا الحديث أصحها إسنادا وأحسنها متنا.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم(٤٢١٤):ً٦٦٧/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لإرسال فيه» قال الذهبي :«صحيح مرسل».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٩٤٣):ص٥٧٣/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي: «تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف».

وعزاه في الدر (٦/ ٣٦١) للطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.

(٤) تقدم في سورة الكهف، وأنكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١٠ كون نزول الضحى، كان بسبب سؤالهم عن ذي القرنين، وقال ما معناه: الزمن بين نزول السورة، وسؤالهم إياه غير متحد، ويجوز أن يكون قريبا.

(٥) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلا عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥- ٢٣٨- ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلا، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل

الثاني: لقلّة النّظافة في بعض أصحابه.

حكي الواحدي عن مجاهد:" أن الملك أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ثم أتاه، فقال: لعلّي أبطأتُ، قال: «قد فعلتَ» ، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوَّكون، ولا تقصُّون أظفاركم، ولا تُنَقُّون براجمكم[١]، فنزلت الآية"[٢].

قال مجاهد:" لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن فنزلت :{وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}"[٣].

قال الضحاك:" احتبس عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتدّ ذلك على نبيّ الله، فأتاه جبرائيل، فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته {وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ}، يقول: بقول ربك"[٤].

قال السدي:" احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حتى حزن واشتد عليه، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد ودعك أو قلاك، فنزل جبريل بهذه الآية: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[٥]، قال: يا جبريل، احتبست عني حتى ساء ظني، فقال جبريل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"[٦].

الثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم [٧].

عن حفص بن سعيد القرشي، قال: حدثتني أمي، عن أمها خولة- وكانت خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم-:" أن جروا دخل البيت، فدخل تحت السرير، فمات. فمكث نبي الله-

---

مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبيّ صلى الله عليه وسلّم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قالوا: أوتينا علما كثيرا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن» ١٤٦٠ و ١٤٦١.

(١)قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في ظهور الأصابع، تبدو إذا جُمعت، وتغمض إذا بُسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة..

(٢)ضعيف جدا. ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٦٠٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٩/٣، عن مجاهد مرسلا. وبدون إسناد!.

(٣)مرسل، أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨، وعزاه في الدر (٤/ ٢٧٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨.

(٥)[الضحى : ٣].

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧١):ص٢٤١٤/٧.

(٧) ضعيف جدا، وحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، هو مرسل، وله علة ثانية، وهي كونه من رواية ابنه عبد الرحمن، وهو واه.

وصح هذا السياق، لكن ليس فيه نزول سورة الضحى عقب ذلك. فقد أخرج مسلم ٢١٠٥ وأبو داود ٤١٥٧ والنسائي ٧/ ١٨٦ وأحمد ٦/ ٣٣٠ وأبو يعلى ٧٠٩٣ و ٧١١٢ من طريق الزهري عن ابن السباق عن ابن عباس عن ميمونة: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أصبح يوما واجما فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقني. أم والله ما أخلفني»، فظل رسول الله صلّى الله عليه وسلم يومه ذاك على ذلك، ثم وقع في نفسه جر وكلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني في البارحة قال: «أجل، ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب، ولا صورة» . وأخرجه مسلم ٢١٠٤ وأحمد ٦/ ١٤٢- ١٤٣ وأبو يعلى ٤٥٠٨ من حديث عائشة بنحوه.

صلى الله عليه وسلم- أياما لا ينزل عليه الوحي. فقال: يا خولة! ما حدث في بيتي؟ جبريل- عليه السلام- لا يأتيني! قالت خولة: فقلت: لو هيأت البيت، وكنسته. فأهويت بالمكنسة تحت السرير. فإذا شيء ثقيل، فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار. فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه. وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة. فقال يا خولة، دثريني، فأنزل الله تعالى: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]"[١].

وفي مقدار احتباس الوحي عنه-عليه الصلاة والسلام-، خمسة أقوال[٢]:

أحدها: خمسة عشر يوماً. رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣]، وبه قال الفراء[٤].

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس:" أن قريشا سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية"[٥].

الثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة[٦]، ومقاتل[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن جبريل- عليه السلام- لم ينزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- أربعين يوما، ويقال ثلاثة أيام، فقال مشركو العرب من أهل مكة: لو كان من الله «لتتابع عليه الوحي، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فقد ودعه الله وتركه صاحبه، فما يأتيه. فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نزل عليك الوحي؟ قال: كيف ينزل على الوحي، وأنتم لا تنقون براجمكم[٨]، ولا تقلمون أظفاركم"[٩].

الثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهد[١٠]، وابن جريج[١١].

الرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل[١٢].

---

(١) رواه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٨٢، وعزاه في الدر (٦/ ٣٦١) لابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه، وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٢٩٤) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٨) وقال: أم حفص لم أعرفها.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٣) انظر: أسباب النزول: ٧٦/٣، والكشف والبيان: ٢٢٢/١٠.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٣.

(٥) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلا عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥- ٢٣٨- ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلا، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبيّ صلى الله عليه وسلّم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}، قالوا: أوتينا علما كثيرا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت: {قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ}، إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن»: ١٤٦٠ و ١٤٦١.

(٦) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٨) تنقية البراجم: هي تنظيف الأوساخ التي بين الأظافر وأطراف الأصابع.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠. وقال:" اثني عشر يوما".

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

الخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي[1].

قال ابن كثير:" وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطًا عليه وهو بالأبطح، {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [ النجم : ١٠ ]. قال : قال له هذه السورة :{وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}"[2].

قوله تعالى:{وَالضُّحَى} [الضحى : ١]، أي:" أقسم بوقت الضحى"[3].

وفي وقت: «الضحى»، أقوال:

أحدها : أنه ساعة من ساعات النهار. قاله قتادة[4].

عن قتادة :"{وَالضُّحَى}، ساعة من ساعات النهار"[5].

وحكي عن السدي:" أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس"[6].

وقال مقاتل:" يعني: حر الشمس، وهي أول ساعة من النهار حين تطلع الشمس"[7].

الثاني : أنه صدر النهار، قاله قتادة[8].

الثالث : أنه وقت طلوع الشمس، حكاه الماوردي عن قطرب[9].

الرابع : أنه ضوء النهار، مأخوذ من قولهم: ضحى فلان الشمس، إذا ظهر لها، قاله مجاهد[10]، وبه الفراء[11]، والطبري[12]، والزجاج[13].

عن مجاهد: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: ضوئها"[14].

الخامس : أنه النهار كله، قاله الفراء[15]، والزجاج[16].

قال الفراء:" فأمَّا «الضحى»: فالنهار كُلّه"[17].

وقال الطبري:" أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالضحى، وهو النهار كله، وأحسب أنه من قولهم: ضَحِيَ فلان للشمس: إذا ظهر منه؛ ومنه قوله: {وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى}، أي: لا يصيبك فيها الشمس"[18].

السادس : انه ضحى النهار. قاله الضحاك[19].

قال ابن كثير:" هذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء"[20].

قال النحاس:" والمعروف -عند العرب- ما رواه أبو روق عن الضحّاك، قال: «الضّحى: ضحى النهار»"[1].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.[بتصرف]
(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٣٣١/٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٣.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٣٣١/٥. وقال:" {والضحى}: النهار".
(١٧) معاني القرآن: ٢٧٣/٣.
(١٨) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(١٩) إعراب القرآن: ١٥٣/٥.
(٢٠) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ٢]، أي:" وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : والليل إذا أقبل، قاله ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير[٤] .

قال سعيد بن جبير:" إذا أقبل فغطى كل شيء"[٥].

وقال الحسن:" إذا لَبِسَ الناس: إذَا جاء"[٦].

الثاني : إذا أظلم، قاله ابن عباس[٧] .

وحكي ابن الجوزي عن ابن الأعرابي، قال: " امتد ظلامه"[٨].

الثالث : إذا استوى، قاله مجاهد[٩].

عن مجاهد: "{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، قال: إذا استوى"[١٠].

الرابع : إذا ذهب ، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١١].

الخامس : إذا سكن، قاله عكرمة[١٢]، وعطاء[١٣]، وزيد بن أسلم[١٤]، وابنه عبدالرحمن[١٥]، وأبو عبدية[١٦]، وابن قتيبة[١٧]، والزجاج[١٨]، مأخوذ من قولهم: سجى البحر إذا سكن ، وقال الراجز[١٩]:

يا حَبَّذَا القَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ ... وطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

وقول الآخر[٢٠]:

فَمَا ذَنْبُنا إنْ جاشَ بَحْرُ ابنِ عَمِّكم ... وَبحْرُكَ ساجٍ ما يُوَارِي الدَّعامِصَا

قال الفراء:" إذَا أظلم وركد في طوله، كما تَقُولُ: بحر ساج، وليل ساج، إذَا ركد وسكن وأظلم[٢١].

قال أبو عبيدة: "أي:" إذا سكن، يقال: ليلة ساجية وليلة ساكنة"[١].

---

(١) إعراب القرآن: ١٥٣/٥.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(٤) انظر: ابن أبي حاتم(١٩٣٧٢):ص٣٤٤٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٢):ص٣٤٤٢/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤٥٧/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧١):ص٣٤٤٢/١٠، وتفسير مجاهد: ٧٣٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(١٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩٩):١٠٦، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(١٤) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٣٠٢/٢.
(١٧) انظر: غريب القرآن: ٤٥٩.
(١٨) انظر: معاني القرآن: ٣٣٩/٥.
(١٩)ورد البيت منسوبًا إلى الحارث في: "لسان العرب" ١٤/ ٣٧١ (سجا)، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٩٣، وورد أيضًا لكنه غير منسوب في: "تهذيب اللغة" ١١/ ١٤٠ (سجا)، و"تفسير الطبري" ٤٨٥/٢٤، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٠٦ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٢٩٢، و"زاد المسير" ٨/ ٢٦٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٩١، و"البحر المحيط" ٨/ ٤٨٥، و"أضواء البيان" ٩/ ٢٧٤.
(٢٠) البيت للأعشى في ديوانه ص: ٢٠١؛ ولسان العرب: ٧/ ٣٦ (دعمص)، ١٤/ ٣٧١ (سجا)؛ وجمهرة اللغة: ص ١١٤٨، ١١٩٦؛ وتاج العروس: ١٧/ ٥٨٢ (دعمص)، (سجا)؛ وديوان المعاني: ١/ ١٧٣.
(٢١) معاني القرآن: ٢٧٣/٣.

قال ابن قتيبة:" إذا سكن. وذلك عند تناهي ظلامه وركوده"[٢].

قال ابن كثير:" أي : سكن فأظلم وادلهَم، وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا. كما قال :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [ الليل : ١، ٢ ]، وقال :{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [ الأنعام : ٩٦ ]"[٣].

قال الضحاك:" يعني: استقراره وسكونه"[٤].

قال ابن زيد:" إذا سكن، قال: ذلك سجوه، كما يكون سكون البحر سجوه"[٥].

قال زيد بن اسلم:" سجوه سكونه"[٦].

وروي عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، سكن بالخلق"[٧].

وقال مسلم بن خالد الزنجي:" إذا سكن بالخلق"[٨].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكنا"[٩].

قوله تعالى:{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى : ٣]، أي:" ما تركك -أيها النبي- ربك، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك"[١٠].

قال الطبري:" وهذا جواب القسم، ومعناه: ما تركك يا محمد ربك وما أبغضك"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ما تركك، وما أبغضك "[١٢].

قال السعدي:" {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة، {وَمَا قَلَا} ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به"[١٣].

قال أبو عبيدة:" {ما وَدَّعَكَ}: من التوديع، {وَما قَلى}: أبغض"[١٤].

قال ابن قتيبة:" {ما وَدَّعَكَ}: ما أبغضك"[١٥].

قال ابن عباس:" ما تركك ربك، وما أبغضك"[١٦].

عن محمد بن إسحاق: "{ما ودعك ربك وما قلى} ما صرمك وتركك، {وما قلى} ما أبغضك منذ أحبّك"[١٧].

قال ابن زيد:" ما قلاك ربك وما أبغضك؛ قال: والقالي: المبغِض"[١٨].

---

(١) مجاز القرآن: ٣٠٢/٢.
(٢) غريب القرآن: ٤٥٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(٨) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٢٩):ص٦٨. قال:" إذا سكن بالخلق".
(٩) تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(١١) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٢٨.
(١٤)مجاز القرآن: ٣٠٢/٢.
(١٥) غريب القرآن: ٤٥٩.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٤.
(١٧)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(١٨) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٤.

قال الفراء:" نزلت فِي احتباس الوحي عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمس عشرة ليلة، فَقَالَ المشركون: قَدْ ودّع مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربُّه، أوْ قلاه التابع الَّذِي يكون معه، فأنزل اللَّه جلّ وعزّ: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} يا محمد، {وَما قَلى} يريد: وما قلاك"[1].

قال الضحاك:" مكث جبريل عن محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقال المشركون: قد ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله هذه الآية"[2].

قال قتادة:" إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحي، فقال ناس من الناس، وهم يومئذ بمكة، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودّعك، فأنزل الله ما تسمع: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى}"[3].

قال قتادة:" أبطأ عليه جبريل، فقال المشركون: قد قلاه ربه وودّعه، فأنزل الله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى}"[4].

قال ابن عباس:" لما نزل عليه القرآن، أبطأ عنه جبريل أياما، فعُيّر بذلك، فقال المشركون: ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى}"[5].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:" أبطأ جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فجزع جزعا شديدا، وقالت خديجة: أرى ربك قد قلاك، مما نرى من جزعك، قال: فنزلت {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى} ... إلى آخرها"[6].

عن الأسود بن قيس، قال سمعت جندب بن عبد الله يقول: "إن امرأة أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى}"[7].

عن ابن عبد الله، قال: "لما أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت امرأة من أهله، أو من قومه: ودّع الشيطان محمدا، فأنزل الله عليه: {وَالضُّحَى} ... إلى قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلى}"[8].

وفي: {وَدَّعَكَ} [الضحى : ٣]، قراءتان[9]:

إحداهما: قراءة الجمهور ودّعك ، بالتشديد ، ومعناها : ما انقطع الوحي عنك توديعاً لك.

قال أبو عبيدة:" {ما وَدَّعَكَ}: من التوديع"[10].

الثانية : بالتخفيف ، ومعناها : ما تركك إعراضاً عنك.

قال ابن عباس:" ما تركك ربك"[11].

**القرآن**

**{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)} [الضحى : ٤-٥]**

التفسير:

وللدَّار الآخرة خير لك من دار الدنيا، ولسوف يعطيك ربك -أيها النبي- مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك.

---

(١) معاني القرآن: ٢٧٣/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤-٤٨٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٤.
(٩) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٣٦٤/٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٠٢/٢، والنكت والعيون: ٢٩٢/٦.
(١٠)مجاز القرآن: ٣٠٢/٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٤.

قوله تعالى:{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى} [الضحى : ٤]، أي:" وللدَّار الآخرة خير لك من دار الدنيا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وللدار الآخرة، وما أعد الله لك فيها، خير لك من الدار الدنيا وما فيها. يقول: فلا تحزن على ما فاتك منها، فإن الذي لك عند الله خير لك منها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : والدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها إطراحًا، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته. ولما خُيِّرَ، عليه السلام، في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عز وجل، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية"[٣].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ما عندي مِن مرجعك إليَّ خير لك مما عجَّلتُ لك مِن الكرامة في الدنيا"[٤].

قال عكرمة:" لما نزلت: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى} قال العباس بن عبد المطلب: لا يَدع الله نبيّه فيكم إلا قليلًا لِما هو خير له"[٥].

عن ابن مسعود، قال:" اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما لي وللدنيا ؟! ما أنا والدنيا ؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة، ثم راح وتركتها"[٦].

قوله تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى : ٥]، أي:" ولسوف يعطيك ربك - أيها النبي- مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك"[٧].

قال الطبري:" ولسوف يعطيك يا محمد ربك في الآخرة من فواضل نعمه، حتى ترضى"[٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى : ٥]، وجهان:

أحدهما : يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين. قاله محمد بن إسحاق[٩]، وحكاه بعض المفسرين[١٠].

عن محمد بن إسحاق، قال: "{ولسوف يعطيك ربك فترضى} من الفتح في الدنيا، والثواب في الآخرة"[١١].

الثاني : لتعطى في الآخرة ما ترضى من الكرامة والشرف. ومن ثم فيه ثلاثة وجوه:

أحدها: أي: يعطيك في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. قاله ابن عباس[١٢].

عن عليّ بن عبد الله بن عباس: "{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، قال: ألف قصر من لؤلؤ، ترابهنّ المسك، وفيهنّ ما يصلحهنّ"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٢) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.
(٤)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(٥)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٦)المسند (٣٩١/١) وسنن الترمذي برقم (٢٣٧٧) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٠٩).
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٨) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٩)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(١٠) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٥٩/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٣/٦.
(١١)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٤):ص٣٤٤٣/١٠. قال ابن كثير:٤٢٦/٨:" وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس : ومثلُ هذا ما يقال إلا عن توقيف".
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

عن قتادة: "{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، وذلك يوم القيامة"[1]. وفي للفظ:" ذلك يوم القيامة، هي الجنة"[2].

عن عليّ بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: "عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده كَفْرا كَفْرا، فسرّ بذلك، فأنزل الله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كلّ قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم"[3].

عن عليّ بن عبد الله بن عباس: "{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، قال: ألف قصر من لؤلؤ، ترابهنّ المسك، وفيهنّ ما يصلحهنّ"[4].

الثاني: -ما رواه السديّ، عن ابن عباس-، قال: "من رضا محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدخل أحد من أهل بيته النار"[5].

عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنا أهلُ بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}"[6].

عن زيد بن علي -من طريق أبي الزناد موج بن علي الكوفي- في قوله: "{ولسوف يعطيك ربك فترضى}، قال: إنّ مِن رضا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل أهل بيت نبيّه الجنة"[7].

الثالث: يعني بذلك الشفاعة. قاله الحسن[8]، وأبو جعفر الباقر[9].

عن الحسن :"أنه سئل عن قوله: {ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى}. قال: هي الشفاعة"[10].

وعن أبي جعفر الباقر:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}،" يعني: بذلك الشفاعة"[11].

قال الماتريدي:" يحتمل: يعطيك في أمتك ما ترجو وتأمل من الشفاعة لهم وترضى، ويقول بعض الناس: إن أرجى آية هذه؛ حيث وعد له أنه يعطيه ما يرضى، ولا يرضى أن يكون أمته في النار"[12].

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعدَّه له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه من مسك أذفر"[13].

وفي قراءة عَبْد اللَّه: «ولسيعطيك ربك فترضى»، والمعنى واحد[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٥):ص٣٤٤٣/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

(٦) رواه ابن أبي شيبة كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨، ورواه البغوي في شرح السنة (٢٤٨/١٤) من طريق ابن أبي شيبة فذكره دون الآية، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٦/١٥) بهذا الطريق ولم يذكر الآية، ولعل ذكرها وقع في كتاب التفسير، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٤٠٨٢) عن عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام به، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٢/٣) : "هذا إسناد فيه يزيد بن أبي زياد الكوفي مختلف فيه".

(٧)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٤٦٠. وقال: «قال القاضي: أبو الزناد هذا ليس هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة، هذا شيخ من أهل الكوفة من أصحاب زيد بن علي يقال له: موج، ويكنى بأبي الزناد».

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٦):ص٣٤٤٣/١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٦):ص٣٤٤٣/١٠.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.

(١٢) تأويلات أهل السنة: ٥٥٩/١٠. ثم قال:" ومنهم من قال: أرجى آية قوله - تعالى -: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء : ١١٠]، وهو قول ابن مسعود، رضي الله عنه.

وعندنا أرجى الآيات هي التي أمر الله - تعالى - رسله بالاستغفار للمؤمنين، وكذلك ما أمر الملائكة بالاستغفار لهم؛ فاستغفروا لهم".

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.

**القرآن**

**{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)} [الضحى : ٦-٨]**

التفسير:

ألم يَجِدْك من قبلُ يتيمًا مات أبوك وأنت حمل في بطن أمك، فآواك ورعاك؟ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلَّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال؟ ووجدك فقيرًا، فساق إليك رزقك، وأغنى نفسك بالقناعة والصبر؟

سبب النزول:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: يا رب كانت قبلي رسل، منهم من سخرت لهم الرياح، ومنهم من كان يحيي الموتى، قال: ألم أجدك يتيما فآويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"[٢].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى : ٦]، أي:" ألم يَجِدْك من قبلُ يتيمًا مات أبوك وأنت حمل في بطن أمك، فآواك ورعاك؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره معدّدا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نعمه عنده، ومذكّره آلاءه قِبَله: ألم يجدك يا محمد ربك يتيمًا، فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله"[٤].

قال الفراء:" يَقُولُ: كنت فِي حجر أَبِي طَالِب، فجعل لك مأوى، وأغناك عَنْهُ، ولم يك غنى عنْ كثرة مال، ولكنّ اللَّه رضّاه بما آتاه[٥].

قال الثعلبي:" معنى الآية: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً} صغيرا فقيرا ضعيفا حين مات أبواك، ولم يخلفا لك مالا، ولا مأوى، فجعل لك مأوى تأوي إليه، ومنزلا تنزله، وضمّك إلى عمّك أبي طالب حتى أحسن تربيتك، وكفاك المؤونة"[٦].

قال السعدي:" أي: وجدك لا أم لك، ولا أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين"[٧].

قال ابن كثير:" وذلك أن أباه تُوفّي وهو حَملٌ في بطن أمه، وقيل : بعد أن ولد، عليه السلام، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين. ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب. ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره وَيُوقّره، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحُسن تدبيره، إلى أن تُوفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجُهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سُنَّته على الوجه

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧٤/٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٤-٤٨٨.

(٥) معاني القرآن: ٢٧٣/٣.

(٦) الكشف والبيان: ٢٢٥/١٠.

(٧) تفسير السعدي: ٩٢٨.

الأتم والأكمل. فلما وصل إليهم آوَوه ونَصَرُوه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به"[١].

روي عن علي بن موسى الرضا يقول: سمعت أبي يقول: سئل جعفر بن محمد الصادق: لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم عن أبويه؟ فقال: لئلّا يكون عليه حق لمخلوق"[٢].

وروي عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه أنه قال في قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى}: هو من أقوال العرب: «درة يتيمة»، إذا لم يكن لها مثل، وقد جاء في الشعر:
لا ولا درّة يتيمة بحر ... تتلالأ في جونة البياع"[٣].

قال الثعلبي: والمعنى: " أَلَمْ يَجِدْكَ واحدا في شرفك، وفضلك، لا نظير لك، فآواك إليه"[٤].

وقرأ أشهب العقيلي «فأوى»، بالقصر، أي: رحمك. تقول العرب: آويت لفلان أية ومأواة أي رحمته[٥].

قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى : ٧]، أي:" ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال؟"[٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى : ٧]، أقوال:

أحدها : أي: ضالاً عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور[٧]، منهم الحسن[٨]، والضحاك[٩]، وشهر بن حوشب[١٠]، والسدي[١١]، وابن كيسان[١٢]، وبه قاله الطبري[١٣]. يدل عليه قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣]، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : ٥٢].

عن الحسن والضحّاك وشهر بن حوشب وابن كيسان: "{وَوَجَدَكَ ضَالًّا} عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلا عنها، فهداك إليها"[١٤].

عن السديّ: "{وَوَجَدَكَ ضَالا}، قال: كان على أمر قومه أربعين عاما"[١٥].

قال الزمخشري:" ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السعية، لنعم، وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم، فمعاذ الله، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوّة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة، فما بال الكفر والجهل بالصانع {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} [يوسف : ٣٨]، وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر"[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٥/١٠، وانظر: مسند زيد بن علي: ٥٠٣. كشف الغمّة: ٢/ ٣١٨.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٦/١٠.
(٤) الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(٦) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٧) حكاه عنهم ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٥٨/٤.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤.
(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٤.
(١٦) الكشاف: ٧٦٨/٤.

قال الطبري:" ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم"[١].
قال ابن حزم:" أي: ضالا عن المعرفة"[٢].
قال أهل العلم:" ضلال الأنبياء غفلة لا جهل، والمعنى: [وجدك] غافلا عن الشريعة لا تدري كيفية العبادة فهداك لها بالأمر والنهي"[٣].
قال ابن عطية:" والضلال يختلف، فمنه القريب ومنه البعيد، فالبعيد ضلال الكفار الذين يعبدون الأصنام ويحتجون لذلك ويعتبطون به، وكان هذا الضلال الذي ذكره الله تعالى لنبيه عليه السلام أقرب ضلال وهو الكون واقفا لا يميز المهيع لا أنه تمسك بطريق أحد بل كان يرتاد وينظر"[٤].
قال ابن كثير:" هو كقوله {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [ الشورى : ٥٢ ] "[٥].
قال السعدي:" أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق"[٦].
الثاني : ووجدك في قوم ضُلاَّل، فهداك للتوحيد والنبوة، قاله الكلبي[٧]، والفراء[٨].
قال الفراء:" يريد: فِي قوم ضلال فهداك" [٩].
قيل:" قد يخاطب السيد، والمراد قومه"[١٠].
الثالث : أن المراد بهذا أنه- عليه السلام-، ضل في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. رواه أبو الضحى عن ابن عباس[١١].
روى أبو الضحى، عن ابن عباس، قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل، وهو صبي صغير في شعاب مكّة، فرآه أبو جهل، منصرفا من أغنامه، فردّه إلى جدّه عبد المطلب، فمنّ الله سبحانه عليه بذلك، حين ردّه إلى جدّه على يدي عدوّه"[١٢].
روي عن كِنْدِير بن سعيد، عن أبيه، قال: "حججت في الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول[١٣]:
يَا رَبِّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّدَا ... يَا رَبِّ رُدَّهْ وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدَا
فقلت: من هذا؟ قيل: عبد المطلب بن هاشم، ذهبت أبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قط إلّا جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحت أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بالإبل، فقال: يا بنيّ لقد حزنت عليك حزنا لا يفارقني أبدا" [١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١٢/٤.
(٣)تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ابن خمير: ١١٢.
(٤) المحرر الوجيز: ٤٩٤/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.
(٦) تفسير السعدي: ٩٢٨.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٧٤/٣.
(٩) معاني القرآن: ٢٧٤/٣.
(١٠) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقتيبي: ٥٩٥/٢.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٥٦/٨، وعزاه ابن كثير في "التفسير" : ٤٢٦/٨ للغوي.
(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.
(١٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي: ١٥١/١، .
(١٤)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير": (٥٥٢٤):ص٦٤/٦، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٢٠ - ٢١ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١١١، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٢/ ٣ / ١٧٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في "المجمع: ٨/ ٢٢٤: رواه أبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن.

وقد روى مرفوعا مما ذكره فخر الدين الرازي: أنه- صلى الله عليه وسلم- قال: «ضللت عن جدى عبد المطلب وأنا صبى حتى كاد الجوع يقتلنى فهدانى الله»[1].

الرابع : إنه-عليه السلام-، ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق. وهذا قول سعيد بن المسيب[2].

قال السمعاني:" وأولى الأقاويل أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى : ٥٢]، أو يكون المعنى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا} أي: غافلا عن النبوة والوحي الذي أنزل إليه، مثل قوله في قصة موسى - صلوات الله عليه -: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء : ٢٠]، أي: من الغافلين"[3].

وحكي عن الكلبي[4]، وآخرين تفسير الآية على ظاهره، ومثل هذا التفسير لا يصح نسبته إلى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه ولا لاحد من الأنبياء، لان العصمة ثابتة لهم قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر على الصحيح.

وقد ذكر الثعلبي[5]، والماوردي[6]، وغيرهما[1] وجوها في تفسير الآية، ولكن الأشهر هو ما كتبناه في أعلاه.

---

وعزاه السيوطي في الخصائص: ١/ ٨١ إلى البخاري في تاريخه، وابن عدي وأبو نعيم، وابن مندة.

(١) مفاتيح الغيب: ١٩٧/٣١. وقال " ذكره الضحاك". ولم أجده.

(٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٨/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٥٦/٨، وعزاه ابن كثير في "التفسير" : ٤٢٦/٨ للغوي.

(٣) تفسير السمعاني: ٢٤٥/٦.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٩٩/٢٠، نقل قول الكلبي في تفسير الآية على ظاهره.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٨/١٠، ومنها:

- {وَوَجَدَكَ ضَالًّا}، ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش.
- قال الثعلبي:" أخبرني ابن فنجويه قال: حدّثني ابن حبيش قال: قال بعض أهل الكلام في قوله: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}: إن العرب إذا وجدت شجرة في فلاة من الأرض وحيدة ليس معها ثانية، يسمونها: ضالة، فيهتدون بها إلى الطريق، قال: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}، أي: وحيدا ليس معك نبي غيرك فهديت بك الخلق إليّ".
- قال عبد العزيز بن يحيى ومحمد بن علي الترمذي: "ووجدك خاملا لا تذكر ولا تعرف من أنت، فهداهم إليك حتى عرفوك، وأعلمهم بما منّ به عليك".
- قال بسام بن عبد الله: "{وَوَجَدَكَ ضَالًّا}، نفسك لا تدري من أنت فعرّفك نفسك وحالك".
- وجدناك ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، دليله قوله: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} [البقرة : ٢٨٢]، أي: تنسى".
- وحكي الثعلبي عن أبي بكر الورّاق وغيره، قال: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا} بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، وغيره: وجدك محبّا فهداك إلى محبوبك، دليله قوله سبحانه، إخبارا عن إخوة يوسف {إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يوسف : ٨]، وقوله سبحانه: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} [يوسف : ٩٥]، أي: فرط الحب ليوسف".

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٦، منها:

- ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها .
- ووجدك ناسياً فأذكرك ، كما قال تعالى : {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} [البقرة : ٢٨٢].
- ووجدك طالباً القبلة فهداك إليها ، ويكون الضلال بمعنى الطلب ، لأن الضال طالب.
- ووجدك متحيراً في بيان من نزل عليك فهداك إليه ، فيكون الضلال بمعنى: التحير، لأن الضال: متحير .
- ووجدك ضائعاً في قومك فهداك إليه ، ويكون الضلال بمعنى الضياع ، لأن الضال: ضائع.
- ووجدك محباً للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى: المحبة ، ومنه قوله تعالى : {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ} [يوسف : ٩٥]، أي: في محبتك، قال الشاعر :

وقرأ الحسن : «ووجدَك ضالٌّ فهُدِي»، أي: وجَدَك الضالُّ فاهتدى بك[٢].

قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى : ٨]، أي:" ووجدك فقيرًا، فساق إليك رزقك، وأغنى نفسك بالقناعة والصبر؟"[٣].

أحدها : وجدك ذا عيال فكفاك، قاله الأخفش[٤]، دليله قوله-صلى الله عليه وسلم-:«وابدأ بمن تعول»[٥]، ومنه قول جرير[٦] :

اللهُ نَزَّل في الكتابِ فريضةً ... لابنِ السبيل وللفقيرِ العائلِ

الثاني : ووجدك فقيرا فأغناك، قاله سفيان[٧]، والفراء [٨]، وأبو عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠]، والطبري[١١]، قال أحيحة بن الجلاح[١٢]:

وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ ... وَمَا يَدْرِي الغَنُّي مَتَى يَعِيل

أي: متى يفتقر.

قال البغوي:" أي: فقيرا، فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم"[١٣]. قال عليه السلام: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»[١٤].

---

هذا الضلال أشاب مِنّي المفرقا ... والعارِضَيْن ولم أكنْ مُتْحقّقاً

عَجَباً لعِزّةَ في اختيار قطيعتي ... بعد الضّلال فحبْلُها قد أخْلَقاً.

(١) انظر: مثلا كتاب إظهار الحق، للشيخ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ) :ص٣/٩٤٩-٩٥٠ ، وقد ذكر أقوالا، منها:

- أنه يقال: ضل الماء في اللبن إذ صار مغموراً، فمعنى الآية كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه. وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى: {أإذا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أإنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة : ١٠].
- أن معناها: كنت ضالاً عن النبوة ما كنت تطمع ولا خطر شيء في قلبك منها، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة.
- أن معناها: وجدك ضالاً أي ضائعاً في قومك كانوا يؤذونك ولا يرضون بك رعية فقوى أمرك وهداك إلى أن صرت والياً عليهم.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٩٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٢٢٩، والماوردي في "النكت والعيون": ٦/٢٩٤.

(٥) .

(٦) ديوانه: ٣١٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٨٨.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٣/٢٧٤.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢/٣٠٢. قال:" ذا فقر".

(١٠) انظر: غريب القرآن: ٤٥٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٨٨.

(١٢) انظر: جمهرة أشعار العرب: ١٢٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢٥٥، الجمهرة لابن دريد ٢: ١٩٣، وتاريخ ابن الأثير ١: ٢٧٨، اللسان (عيل) ، وسيأتي في التفسير ١٠: ٧٥ / ٣٠: ١٤٩ (بولاق) ، من قصيدته التي قالها في حرب بين قومه من الأوس وبني النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فحذرت قومها مجيء أحيحة وقومه من الأوس، فضربها حتى كسر يدها وطلقها. وبعد البيت آخر قرين له:

وَمَا تَدْري، إذَا أَجْمَعْتَ أمْرًا ... بأيِّ الأرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ.

(١٣) تفسير البغوي: ٨/٤٥٦.

(١٤) قطعة من الحديث:« بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

أخرجه أحمد (٢/٥٠، رقم ٥١١٤) ، والحكيم (١/٣٧٥) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/٧٥، رقم ١١٩٩) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٥/٢٦٧) قال الهيثمى: فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المدينى وأبو حاتم

وغيرهما، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٢٦٧، رقم ٨٤٨) ،

قال الفراء: "أي: فقيرًا، ورأيتها فِي مصاحف عَبْد اللَّه «عديما» ، والمعنى واحد"[١].

قال ابن قتيبة:" عائلا: فقيرا. و«العائل» : الفقير كان له عيال، أو لم يكن. يقال: عال الرجل، إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله"[٢].

قال النحاس:" عال يعيل عيلة: إذا افتقر. وأعال يعيل: إذا كثر عياله. لا نعلم بين أهل اللغة فيه اختلافا"[٣].

الثالث: أي: فأرضاك بما أعطاك من الرزق، إذ لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله أرضاه بما آتاه، وذلك حقيقة الغنى. وهذا قول الكلبي[٤]، ومقاتل[٥]، والفراء[٦].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"[٧].

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه"[٨].

وحكي الماوردي أن المعنى:" وجدك فقيراً من الحُجج والبراهين، فأغناك بها، وقيل: ووجدك العائلُ الفقير فأغناه الله بك"[٩].

وقرأ ابن السميقع: «وجدك عيّلا»، بتشديد الياء من غير ألف[١٠].

أخرج ابن أبي حاتم من طريق موسى بن علي بن رباح، عن أبيه -رضي الله عنه- قال: "كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب، فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيد قد جاء بخير كثير، فقال عبد الله: ويومئذ قد كان سيدا كريما قد جاء بخير كثير، فقال مسلمة: ألم يقل الله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)} [الضحى : ٦ - ٨]، فقال عبد الله: أما اليتيم، فقد كان يتيما من أبويه، وأما العيلة: فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة"[١١].

عن قتادة: "{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى}، قال: كانت هذه منازل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى"[١٢].

عن محمد بن إسحاق، قال: "{ألم يجدك يتيمًا فآوى ووجدك ضالًّا فهدى ووجدك عائلًا فأغنى} يعرّفه ما ابتدأه به مِن كرامته في عاجل أمره، ومنُّه عليه في يُتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته"[١٣].

---

وابن أبى شيبة (٤٧١/٦، رقم ٣٣٠١٦) ، والطبرانى فى الشاميين (١٣٥/١، رقم ٢١٦).

(١) معاني القرآن: ٢٧٤/٣.
(٢) غريب القرآن: ٤٥٩.
(٣) إعراب القرآن: ١٥٥/٥.
(٤) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٥٨/٤.
(٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٩/١٠، والبغوي في "التفسير: ٤٥٦/٨.
(٦) عزاه إليه البغوي في "التفسير: ٤٥٦/٨.
(٧)أخرجه عبد الرزاق في روايته لصحيفة همام بن منبه برقم (٦٢) ص (٢٣٧) بتحقيق: د. رفعت فوزي. والبخاري في الرقاق، باب الغنى غنى النفس: ١١ / ٢٧١، ومسلم في الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم: (١٠٥١) : ٢ / ٧٢٦، والبغوي في شرح السنة ١٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤.
(٨)أخرجه مسلم في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم: (١٠٥٤) : ٢ / ٧٣٠، والبغوي في شرح السنة: ١٤ / ٢٤٥، والتفسير: ٤٥٧/٨.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٩/١٠.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٧):ص٣٤٤٣/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٤.
(١٣)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.

روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال بصوته الأعلى ثلاث مرات : «يَمُنّ ربي عليّ وهو أهلُ المَنّ»[1]. وفي لفظ:" منّ عليّ ربّي وهو أهل المنّ"[2].

**القرآن**

**{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)} [الضحى : ٩-١١]**

التفسير:

فأما اليتيم فلا تُسِئْ معاملته، وأما السائل فلا تزجره، بل أطعمه، واقض حاجته، وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها.

قوله تعالى:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩]، أي:" فأما اليتيم فلا تُسِئْ معاملته"[3].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩]، وجوه:

أحدها : فلا تحقر، قاله مجاهد[4].

قال مجاهد:" تُغْمِصْه وَتَحْقِره"[5].

الثاني : فلا تظلم ، قاله مجاهد-أيضا[6]-، وقتادة[7] .

الثالث : فلا تستذل، حكاه ابن سلام[8].

الرابع : فلا تمنعه حقه الذي في يدك ، قاله الفراء[9].

قال الزمخشري:" فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه"[10].

قال الفراء:" فتذهب بحقه لضعفه، وهي فِي مصحف عَبْد اللَّه «فلا تكهر»[11]، وسمعتها وسمعتها من أعرابي من بنى أسد قرأها عليّ"[12].

يقال: "فلان ذو كهرورة: عابس الوجه"[13].

ومنه الحديث: «فبأبي وأمي هو، ما كهرني»[14].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٢) نقلا عن: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٢/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٩):ص٣٤٤٤/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٠):ص٣٤٤٤/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤-٤٨٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨١):ص٣٤٤٤/١٠.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٧٤/٣.

(١٠) الكشاف: ٧٦٨/٤.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٩):ص٣٤٤٤/١٠، وبها قرأ ابن مسعود، وإبراهيم التيمي. وهى لغة بمعنى قراءة الجمهور، [انظر: البحر المحيط ٨/ ٤٨٦].

(١٢) معاني القرآن: ٢٧٤/٣.

(١٣) نقلا عن: الكشاف: ٧٦٨/٤.

(١٤) أخرجه مسلم(٥٣٧):ص٣٨١/١، من حديث معاوية بن الحكم السلمى في أثناء حديث.

ونص الحديث:

عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالا يأتون الكهان، قال: «فلا تأتهم» قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: " ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم - قال ابن الصباح: فلا يصدنكم - " قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك» قال: وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من

قال أبو الحجاج : "الكهر: الزجر "[1].

الخامس : ما قاله قتادة :" كن لليتيم كأب رحيم"[2].

قال الطبري:" يقول: فلا تظلمه، فتذهب بحقه، استضعافًا منك له"[3].

قال ابن كثير:" أي : كما كنت يتيمًا فآواك الله فلا تقهر اليتيم، أي : لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسِنْ إليه، وتلطف به"[4].

عن محمد بن إسحاق، قال: {فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر} لا [تكن] جبّارًا، ولا مُتكبرًّا، ولا فاحشًا، فظًّا على الضعفاء مِن عباد الله"[5].

عن أبي عمران الجوني، عن رجل، عن أبي هريرة: "أن رجلاً شكا إلى رسول الله - صلي الله عليه وسلم - قسوة قلبه، فقال له: إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"[6].

قوله تعالى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى : ١٠]، أي:" وأما السائل فلا تزجره، بل أطعمه، واقض حاجته"[7].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى : ١٠]، وجهان:

أحدهما : في رده إن منعته، ورُدّه برحمة ولين، قاله قتادة[8].

قال قتادة:" رد السائل برحمة ولين"[9].

قال الفراء:" السائل على الباب، يَقُولُ: إمّا أعطيته، وإمّا رددته ردًّا لينا" [10].

قال الطبري:" يقول: وأما من سألك من ذي حاجة فلا تنهره، ولكن أطعمه واقض له حاجته"[11].

قال ابن كثير:" أي : فلا تكن جبارًا، ولا متكبرًا، ولا فَحَّاشا، ولا فَظًا على الضعفاء من عباد الله "[12].

وفي الحديث: «إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره[13]»[14].

---

غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها» فأتيته بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة».

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٨.

(٥)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.

(٦) المسند(٧٥٧٦):ص٢١/١٣-٢٢، إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة. أبو عمران الجوني: هو عبد الملك بن حبيب البصري.

وأخرجه عبد بن حميد (١٤٢٦) عن أبي الوليد، والبيهقي في "الشعب" (١١٠٣٤) من طريق سليمان بن حرب، كلاهما عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

وله شاهد من حديث أبي الدرداء عن البيهقي في "الشعب" (١١٠٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عنه. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه؛ محمد بن واسع لم يسمع من أحد من الصحابة فيما قاله علي بن المديني.

(٧) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٧٥/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٨.

(١٣)«فلا عليك أن تزبره» تزبره: أي تزجره وتمنعه. أفاده الصحاح.

(١٤) نقلا عن الكشاف: ٧٦٨/٤-٧٦٩، والحديث أخرجه الدارقطني في الافراد من رواية الوليد بن الفضل عن عبد الله بن أبى حسين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به لكن قال «تزبره- بدل- وتنهره» والوليد

الثاني : السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة ، وأجِبْهُ برفق ولين ، قاله سفيان[١].

قال الحسن:" أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك، لكنه طالب العلم"[٢].

عن عبيد بن يعيش، قال: سمعت يحيى بن آدم يقول: {وأمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ}، قال: "إذا جاءك الطالب للعلم فلا تنهره"[٣].

قال السعدي:" وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد"[٤].

قوله تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١]، أي:" وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها"[٥].

قال الطبري:" يقول: فاذكره"[٦].

وقال مقاتل:" يعني: اشكر الله على ما ذكر في هذه السورة، وما صنع الله- عز وجل- بك من الخير"[٧].

قال الزمخشري:" التحديث بنعمة الله: شكرها وإشاعتها. يريد: ما ذكره من نعمة الإيواء والهداية والإغناء وما عدا ذلك"[٨].

قال ابن كثير:" أي : وكما كنت عائلا فقيرًا فأغناك الله، فحدث بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور النبوي : «واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها، قابليها، وأتمها علينا»[٩]"[١٠].

عن أبى نضرة، قال: "كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعم أن يحدّثَ بها"[١١].

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر : "من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر. والجماعة رحمة، والفرقة عذاب"[١٢].

وعن أنس، أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله، ذهب الأنصار بالأجر كله. قال : "لا ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم"[١٣].

عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أبلي بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره"[١٤].

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أعطى عَطاء فَوَجَد فَلْيَجزْ به، فإن لم يجد فَلْيُثْن به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره"[١].

---

اتهمه ابن حبان بالوضع لكن تابعه طلحة ابن عمرو عن عطاء أخرجه الثعلبي من طريق عقبة بن مجالد عن حبان بن على عن طلحة وهذا إسناد ضعيف.

وأخرجه ابن مردويه من رواية أحمد بن أبى طيبة عن حيان فقال: عن أبى هريرة- بدل ابن عباس. وله طريق أخرى. أخرجها عبد الغنى بن سعيد في إيضاح الاشكال من رواية وهب بن زمعة عن هشام بن وهب أبى البختري القاضي. وهو كذاب.

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٢)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٣٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٥٨.

(٣)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٣٠.

(٤) تفسير السعدي: ٩٢٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٣/٤.

(٨) الكشاف: ٧٦٩/٤.

(٩) .

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(١٢)زوائد المسند (٢٧٨/٤)، قال ابن كثير:٤٢٧/٨:"إسناد ضعيف".

(١٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٠/٣).

(١٤)سنن أبي داود برقم (٤٨١٤).

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[٢].

وفي قراءة على -رضى الله عنه-: «فخبر»[٣]. والمعنى: "أنك كنت يتيما، وضالا، وعائلا، فآواك الله، وهداك: وأغناك، فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث. واقتد بالله، فتعطف على اليتيم وآوه، فقد ذقت اليتم وهو انه، ورأيت كيف فعل الله بك، وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك، كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر، وحدّث بنعمة الله كلها، ويدخل تحته هدايته الضلال، وتعليمه الشرائع والقرآن، مقتديا بالله في أن هداه من الضلال"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : النبوة ، قاله مجاهد-في رواية-[٥]، وابن شجرة [٦]. ويكون تأويل قوله {فَحَدِّثْ}، أي: ادعُ قومك.

عن مجاهد -من طريق أبي بشر-" {وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: بالنبوة التي أعطاك ربّك"[٧].

عن مجاهد، "{وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: بالقرآن"[٨].

قال الزجاج:" أي: بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم"[٩].

وقال محمد بن إسحاق : "ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدّث بها واذكرها، وادع إليها. وقال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرًا إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة، فصلى"[١٠].

قال السعدي:" {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} هذا يشمل النعم الدينية والدنيوية، {فَحَدِّثْ} أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن"[١١].

الثاني : أنه القرآن، قاله مجاهد-في رواية أخرى-[١٢]، وبه قال الفراء[١٣]، ويكون قوله: {فَحَدِّثْ}، أي: أقرئه، وبلغ ما أرسلت به[١٤].

قال الفراء:" فكان القرآن أعظم نعمة اللَّه عَلَيْهِ، فكان يقرؤه ويحدث بِهِ، وبغيره من نعمه"[١٥].

الثالث : ما أصاب من خير أو شر، قاله الحسن بن علي[١٦].

ويكون في قوله:{فَحَدِّثْ}، -على هذا- وجهان :

---

(١)سنن أبي داود برقم (٤٨١٣).
(٢)سنن أبي داود برقم (٤٨١١) وسنن الترمذي برقم (١٩٥٤).
(٣) انظر: الكشاف: ٧٦٩/٤.
(٤) انظر: الكشاف: ٧٦٩/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبى نصر السجزي في الإبانة.
(٩) معاني القرآن: ٣٤٠/٥.
(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٩٢٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٤):ص٣٤٤٤/١٠.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٧٥/٣.
(١٤) انظر: الكشاف: ٧٦٩/٤.
(١٥) معاني القرآن: ٢٧٥/٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٥/٦.

أحدهما : فحدّث به الثقة من إخوانك ، قاله الحسن بن علي[١].

عن الحسن بن علي في قوله: "{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك[٢].

عن مقسم أبي عبد الرحمن، قال: "أتيت حسين بن علي فصافحني، ثم قال: «هذا تقابل المؤمن المؤمن»، فقلت: أرأيت قوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١]؟، قال: «هو العمل الصالح يعمله الرجل فيحدث به إخوانه من أهل ثقاته ليستن به ويعمل مثله»[٣]. وفي رواية:" قال: الرجل المؤمن يعمل عملا صالحا فيخبر به أهل بيته، قلت: أي الأجلين قضى موسى؟ الأول أو الآخر؟ قال: الآخر"[٤].

الثاني : فحدِّث به نفسك ، وندب إلى ذلك ليكون ذِكرها شكراً. حكاه الماوردي[٥].

روي عن عبد الله بن غالب:" أنه كان إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرا: قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له: يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا؟ قال: يقول الله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة الله"[٦].

قال الزمخشري:" وإنما يجوز مثل هذا إذا قصد به اللطف، وأن يقتدى به غيره، وأمن على نفسه الفتنة. والستر أفضل. ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة: لكفى به"[٧].

عن عمر بن عبد العزيز، قال: "إنّ ذِكر النعمة شكر"[٨].

عن أبي نضرة المنذر بن مالك العبدي، قال: "كان المسلمون يرون أنّ مِن شُكْر النعمة أن يُحدَّث بها"[٩].

عن الحسن البصري، قال: أكثِروا ذِكر هذه النعمة؛ فإنّ ذِكرها شكر"[١٠].

قال الحسن البصري: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: {وأما بنعمة ربك فحدث}"[١١].

عن قتادة بن دعامة، قال: "مِن شُكر النعمة إفشاؤها"[١٢].

عن أبي إسحاق السَّبيعي، قال: "يا معشر الشباب، اغتنِموا، قَلَّ ما تمُرّ بي ليلة إلا وأقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحُرم، وثلاثة أيام من كلّ شهر، والاثنين والخميس. ثم تلا: {وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}"[١٣].

عن يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: "كان يُقال: تعديد النِّعم من الشكر"[١٤].

فوائد السورة الكريمة:

١- أن الدنيا لا تخلو من كدر وصدق الله العظيم : {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد : ٤].
٢- فيها فضله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله محمد--صلى الله عليه وسلم-.
٣- بيان علو المقام المحمدي وشرف مكانته.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠.
(٣) تفسير مجاهد: ٧٣٥.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٥):ص٢٤٤٤/١٠.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.
(٦) نقلا عن: الكشاف: ٧٦٩/٤.
(٧) الكشاف: ٧٦٩/٤.
(٨)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.
(٩)الدر المنثور: ٥٤٥/٨، وعزاه إلى ابن جرير.
(١٠)أخرجه البيهقي (٤٤٢١).
(١١)تفسير البغوي ١/ ٩٥.
(١٢)أخرجه عبد الرزاق (١٩٥٨٠)، والبيهقي (٤٥٧٢).
(١٣)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٣١٤ - ٣١٥ (٦٦١٣).
(١٤)أخرجه البيهقي (٤٤٥٤).

٤- أن ضلال الأنبياء غفلة لا جهل، قال تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧)} [الضحى : ٧]، يعني: غافلا عن الشريعة لا تدري كيفية العبادة فهداك لها بالأمر والنهي ثم قال له: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣].

٥- جواز إطلاق لفظ «الضلال»، على: «الجهل»، كما قال تعالى : {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}، كما قال موسى {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء : ٢٠]، أي: الجاهلين قبل أن يعلمني ربي.

٦- أن الله يعلم العلم، ويثيب عليه، قال: {وَوَجَدَكَ ضالاً فَهَدَى} [الضحى: ٧]، {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء: ١١٣]، {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} [الأنبياء: ٧٩].

قال محمد عبده:" مَا جَاءَ فِي الْكتاب من قَوْله {ووجدك ضَالًّا فهدى}، لَا يفهم مِنْهُ أنه كَانَ على وثنية قبل الاهتداء إِلَى التَّوْحِيد أو على غير السَّبِيل القويم قبل الْخلق الْعَظِيم حاش لله إِن ذَلِك لَهو الْإِفْك الْمُبين وَإِنَّمَا هِي الْحيرَة تلم بقلوب أهل الْإِخْلَاص فِيمَا يرجون للنَّاس من الْخَلَاص وَطلب السَّبِيل إِلَى مَا هُدُوا إِلَيْهِ من إنقاذ الهالكين وإرشاد الضَّالين وَقد هدى الله نبيه إِلَى مَا كَانَت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته واختياره من بَين خلقه لتقرير شَرِيعَته"[١].

٧- إنّ الرسل يُعدّون إعداداً خاصّاً لتحمُّل النبوة والرسالة، ويصنعون صنعاً فريداً : {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه : ٤١]، واعتبر هذا بحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كيف رعاه الله وحاطه بعنايته على الرغم من يتمه وفقره : {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)} [الضحى : ٦ - ٨]، وقد زكّاه وطهّره، وأذهب عنه رجس الشيطان، وأخرج منه حظّ الشيطان منذ كان صغيراً، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه -من الرضاع، وهي حليمة السعدية -، يعني ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره"[٢].

وحدث قريب من هذا عندما جاءه جبريل يهيئه للرحلة الكبرى للعروج به إلى السماوات العلى، ففي حديث الإسراء: "فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثمّ غسله من ماء زمزم، ثمّ جاء بطست من مذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه" [٣][٤].

٨- أن الحق الخالص النقي في باب الإلهيات هو في كتاب الله، وفي سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ورَسُول الله مُحَمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكمل النَّاس عقلاً وفهماً لم يكن يعلم عن هذا الأمر شيئاً حتى أنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عليه جبريل بالرسالة، ولهذا قال تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى}، [الضحى:٧] فحصلت له الهداية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بهذا النور، وإلا فما كَانَ يدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولم يكن يعرف عن ربه -عَزَّ وَجَلَّ- هذه المعرفة العظيمة قبل أن ينزل عليه الوحي، وهو أكمل النَّاس بلا شك عقلاً وفهماً وصحابته الكرام هم أعظم النَّاس رأياً وعقلاً وفكراً، ومع ذلك كيف كانت حياتهم في الجاهلية؟! فلما نزل القُرْآن واتبعوا الرَّسُول وأخذوا من نوره، واقتبسوا من العلم الذي جَاءَ به أصبحوا أعقل النَّاس وأعلم الناس، وأفضل النَّاس وأكمل النَّاس في

---

(١) التوحيد: ٧١-٧٢.

(٢)صحيح مسلم: ١٦٢.

(٣)صحيح البخاري: ٣٤٩، وصحيح مسلم: ٢٦٣، واللفظ لمسلم.

(٤) انظر: الرسل والرسالات، للأشقر: ٧٠.

الإلهيات وفي معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فمن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به من غير الرسل، ومن غير طريق الوحي؟ لم يأت أحد بشيء أبداً[١].

فنقول: أياً كان قدر العقول من الكمال، وأياً كانت فضيلة النفوس، لا يمكن أن تصل إلى تمام المعرفة الإيمانية؛ وقد خاطب الله سبحانه وتعالى من هو أكمل الناس عقلاً ونفساً وهو نبينا صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ} [يوسف:٣] وقال: {وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى} [الضحى:٧] وليس المقصود ضلاله صلى الله عليه وسلم بالموبقات أو بالشرك؛ فإنه منزه عن هذا، فقد كان عليه الصلاة والسلام حتى قبل بعثته موحداً لله على الفطرة وعلى الملة العامة، ولكن المقصود: أنه لم يعرف تفاصيل العلم؛ ولهذا قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ} [الشورى:٥٢] أما الكتاب فلم ينزل عليه شيء قبل النبوة، وأما الإيمان فكان على إيمان مجمل، أي: ولم تعرف تفاصيل الإيمان، كما ذكره المفسرون من السلف[٢].

٩- مشروعية التذكير بالنعم والنقم حملا للعبد على الصبر والشكر.

١٠- وجوب شكر النعم بصرفها في مرضاة المنعم عز وجل.

١١- تقرير معنى الحديث: «ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وهو يحب أن يرى أثرها عليه»[٣].

وأركان «الشكر»، ثلاثة:

الركن الأول: الاعتراف بالنعمة باطنا، يعني: تعترف في قرارة نفسك أنها من الله سبحانه وتعالى، فيكون قلبك موافقا للسانك من الاعتراف بأنها من الله.

الركن الثاني: نسبتها إلى المنعم، وذلك بالتحدث بها ظاهرا، كما قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١].

الركن الثالث: صرفها في طاعة موليها ومسديها وهو الله سبحانه وتعالى، بمعنى: أن تستعين بها على طاعة الله، فإن استعنت بها على معصية الله فإنك لا تكون شاكرا لها[٤].

ومما يدخل في باب شكر نعمة المال أن لا يكتم الغني ماله ويوهم أنه فقير، لئلا يسأل. قال الله عز وجل: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١].

يروى عن أبي الأحوص، عن أبيه:" أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ألك مال؟» قال: من كل المال، قال:

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لسفر الحوالي: ٨٥٢.

(٢) انظر: شرح الحموية، يوسف الغفيص: ٨/٢.

(٣)أخرجه أحمد (٤٠٣/٢، رقم ٩٢٢٣)، قال الهيثمي (١٣٢/٥) : فيه يحيى بن عبيد الله بن موهب، وهو ضعيف.

(٤)قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين) (٢٣٤/ ٢): "وأصل الشكر في وضع اللسان: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهورا بينا. يقال: شكرت الدابة؛ تشكر شكرا - على وزن سمنت تسمن سمنا - إذا ظهر عليها أثر العلف، ودابة شكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل وتعطى من العلف.

وفي صحيح مسلم «حتى إن الدواب لتشكر من لحومهم». أي: لتسمن من كثرة ما تأكل منها.

وكذلك حقيقته في العبودية: وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة.

والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره".

قلت: والحديث المذكور رواه الترمذي (٣١٥٣)، ولم أجد لفظه في مسلم - إلا أن يكون المقصود أصله -، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٨٥٠١) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه).

والحديث المذكور هو في حق يأجوج ومأجوج عند موتهم؛ حيث تأكل دواب الأرض من جثثهم.

«من أي المال؟» قال: قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل والرقيق، قال: «فإذا آتاك الله مالا فلير عليك أثر نعمة الله وكرامته»"[1].

**«آخر تفسير سورة (الضحى)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) السنن الكبرى للنسائي(٩٤٨٥):ص٣٨٨/٨.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الشرح»**

«سورة الشرح»: هي السورة الرابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الضحى»[١]، آياتها ثمان. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «بكا»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الشرح»:**

سميت في مجموعة من التفاسير[٣]، وبعض كتب علوم القرآن[٤]: «سورة الشرح»، ومثله في بعض المصاحف المشرقية، تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

**١-«سورة ألم نشرح»:**

وردت هذه التسمية عند الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٥]، وبهذا الاسم عنونت في كثير من كتب التفسير[٦]، وكتب علوم القرآن[٧]، وفي «صحيح البخاري»، و«جامع الترمذي»، ووجه تسمية بذلك، لافتتاحها بقوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١].

**٢-«سورة الانشراح»:**

سميت في بعض التفاسير[٨]، وكثير من كتب علوم القرآن[٩]: «سورة الانشراح»، وهي مصدر الفعل: «انشرح».

ولم ترد التسميتين الأخيرتين عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وقد وردت تسميتها بسورة «اليسر» في مصحف كتبه أبو الحسن علي بن هلال، وهو مصور من جامعة أم القرى، ولعل هذه التسمية من لفظ وقع في السورة، وذلك في قوله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥] -والله تعالى أعلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {ألم نشرح}، بمكة"[١٠]. وروي عن عائشة وابن الزبير مثله[١].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وفيه: عن ابن عباس -رضي الله عنهما قال-: نزلت سورة {ألم نشرح} بمكة". زاد بعضهم: بعد «الضحى».

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٣/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٣/٥، والكشف والبيان: ٣٣٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٦/٦، والتفسير الوسيط للواحدي: ٥١٥/٤، وتفسير البغوي: ٤٦٣/٨، والكشاف: ٧٧٠/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٦/٥، وزاد المسير: ٤٦٠/٤، وتفسير العز بن عبدالسلام: ٤٦٤/٣،وغيرها.

(٤) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ٣٤١/٥، وأحكام القرآن للكيا الهراسي: ٤٣٠/٤، والبرهان في تناسب سور القرآن: ٣٦٨ .

(٥) انظر: الآثار في مكان نزول السورة.

(٦) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٩١/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٦٤/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٣٨/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣١/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٤٨/٦، ومفاتيح الغيب: ٢٠٥/٢٢، وتفسير القرطبي: ١٠٤/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٢١/٥، وغيرها.

(٧) انظر مثلا: معاني القرآن للفراء: ٢٧٥/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٠٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ١٥٦/٥، وأحكام القرآن للجصاص: ٦٣٩/٣، والمحتسب: ٣٦٦/٢، والناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٠، ومشكل إعراب القرآن لهبة الله: ٨٢٥/٢، وغيرها.

(٨) انظر مثلا: تفسير الإيجي: ٥٠٦/٤، وروح البيان، لأبي الفداء: ٥٣٢/٣، وتفسير المظهري: ٢٩٠/١٠.

(٩) انظر مثلا: غريب القرآن لابن قتيبة: ٥٣٢، والسبعة في القراءات: ٦٩٠، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤١٢/٤، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن: ٣٢٣، والتبيان في إعراب القرآن: ١٢٩٣/٢، والتبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٤٧، وغيرها.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٢].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

إن هذه السورة الكريمة شديدة الاتصال بما قبلها حتى روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يقولان: «هما سورة واحدة»، وكانا يقرآنهما فى الركعة الواحدة، وما كانا يفضلان بينهما بالبسملة، "وهذا شذوذ مخالف لما اتفقت عليه الأمة من تسوير المصحف الإمام"[٤]، إذ أن المتواتر كونهما سورتين وإن كانتا متصلتين معنى، إذ في كل منهما تعداد النعم وطلب الشكر عليها[٥].

ويدل على شدة اتصالهما ما في حديث الإسراء الذي أخرجه ابن أبي حاتم أن الله تعالى قال لرسوله -عليه الصلاة والسلام-: "... ألم أجدك يتيما فآويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"[٦].

والجمع بينهما في الحديث يدل دلالة قوية على ما بينهما من تناسب.

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- إن السعادة بيد الله وحده، إذ أكدت السورة الكريمة أن على أن الله وحده هو القادر على سعادة مخلوقاته، فقد خلق الله المعاني كلها وإذا شاء وضع السعادة في قلب مخلوقه، فهو القائل: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣].

٢- إن السعادة موضعها القلب وليس العقل، لذلك قال تعالى "لك صدرك"، والله تعالى هو مقلب القلوب ومصرفها حيث يشاء.

٣- ردت سورة الشرح على ادعاءات المشركين عندما عيّروا النبي وأتباعه من المسلمين بفقرهم وحاجتهم.

٤- تشتمل سورة الشرح على الكثير من البشارات للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد أخبره الله بمنزلته العالية التي تظهر من اقتران اسم النبي محمد باسم الله تعالى وما يدل ذلك على رفع المقام.

٥- يُطمئن الله تعالى نبيه باقتراب النصر على الأعداء حيث يُخبره بأن مع العسر الذي يلقاه المسلمون في مكة اليسر والفرج حتى لا يشعروا باليأس.

٦- تُوضح سورة الشرح أن الله تعالى قد اختص نبيه بهذه العطايا حيث يقول النبي-صلى الله عليه وسلم- «سَأَلْتُ ربِّي مسألةً ووددْتُ أنِّي لمْ أسْألْهُ، قُلْتُ: يا رَبِّ! كانَتْ قَبلي رسلٌ منهُمْ مَنْ سَخَّرْتَ لهُ الرِّياحَ، ومِنْهُمْ مَنْ كان يُحيي المَوْتَى، وكلمْتُ موسى قال: ألمْ أجِدْكَ يتيمًا فَآوَيْتُكَ؟ ألمْ أجِدْكَ ضالًا فَهَدَيْتُكَ؟ ألمْ أجِدْكَ عَائِلًا فَأغْنَيْتُكَ؟ ألمْ أشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ، ووضَعْتُ عَنْكَ وزْرَكَ؟ قال: فقُلْتُ بلى يا رَبُّ؛ فَوَدِدْتُ أنْ لمْ أسْألْهُ»[٧].

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) زاد المسير: ٤٦٠/٤.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٩٦/٥.
(٤) التحرير والتنوير: ٤٠٧/٣٠.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ١٨٨/٣٠.
(٦) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.
(٧) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب

٧- وجوب التفرغ والإخلاص لله تعالى، إذ تؤكد سورة الشرح على أن الإنسان يجب عليه أن يتفرغ إلى عبادة ربه بعد الانتهاء من أعماله.
٨- من أهم ما تنطوي عليه فوائد من سورة الشرح وجوب صرف الوجه والرغبات إلى الله تعالى وحده لأنه هو القادر على تحقيقها.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان شرح صدر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ورفع قدره وذكره، وتبديل العسر من أمره بيسره، وأمره بالطاعة في انتظار أجره، والرغبة إلى الله - تعالى - والإقبال على ذكره في قوله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة، خالية من الناسخ والمنسوخ [٢].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن طاوس، قال: «كان أبي يجمع بين :{سبح اسم ربك الأعلى}، {والليل إذا يغشى}، في ركعة، وبين {والضحى}، و{ألم نشرح}، في ركعة في المكتوبة»[٣].
- روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ قَرَأَ {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني»[٤].[ضعيف]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.
(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.
(٣) مصنف عبدالرزاق(٢٨٥١):ص١٤٨/٢.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٢/١٠.

**القرآن**

**{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢)} [الشرح : ١-٢]**

التفسير:

ألم نوسع -أيها النبي- لك صدرك لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، وحططنا عنك بذلك حِمْلك.

قوله تعالى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١]، أي:" ألم نوسع -أيها النبي- لك صدرك لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق"(١).

قال ابن قتيبة:" {نَشْرَحْ}: نفتح"(٢).

قال ابن الجوزي:" الشرح: الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك. والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشّواغل التي تصدّ عن إدراك الحق. ومعنى هذا الإستفهام التقريرُ، أي: فعلنا ذلك"(٣).

وفي قوله تعالى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١]، وجهان من التفسير:

أحدهما: يعني : أما شرحنا لك صدرك، أي : نورناه وجعلناه فَسيحًا رحيبًا واسعًا كقوله :{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ} [ الأنعام : ١٢٥ ]، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شَرْعه فسيحا واسعًا سمحًا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق. ذكره ابن كثير(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مذكّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ} يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ {صَدْرَكَ} فنلّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة"(٥).

قال سهل:" ألم نوسع لك صدرك بنور الرسالة فجعلناه معدناً للحقائق"(٦).

قال الزجاج:" أي: شرحناه للإسلام"(٧).

عن الحسن :" {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، قال: مُلِئَ حِلمًا وعلمًا"(٨).

عن الحسن: "{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، يعني: بالإيمان"(٩).

الثاني: أن المراد شرح صدره ليلة الإسراء، كما في رواية مالك بن صعصعة(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٢) غريب القرآن: ٥٣٢.

(٣) زاد المسير: ٤٦٠/٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٩/٨.

(٥) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤.

(٦) تفسير التستري: ١٩٨.

(٧) معاني القرآن: ٣٤١/٥.

(٨)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٦/ ٤٣٣ - ٤٣٤ (٣٢٣٤٨). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٣ -.

(١٠) صحيح البخاري(٣٢٠٧):ص١٠٩/٤، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. . رقم (١٦٤):ص١٤/١-. (وذكر) أي للنبي صلى الله عليه وسلم. (رجلا بين الرجلين) في رواية مسلم (إذا سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين) فالظاهر أنه كان صلى الله عليه وسلم مضطجعا بين رجلين. (مراق البطن) ما سفل من البطن وما رق من جلده. (فرفع) كشف لي وقرب مني. (البيت المعمور) بيت في السماء مسامت للكعبة في الأرض. (آخر ما عليهم) أي دخولهم الأول ذلك هو آخر دخولهم لكثرتهم. (سدرة المنتهى) شجرة ينتهي إليها علم الملائكة ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. (نبقها) حملها وثمرها. (قلال) جرار معروفة عند المخاطبين ومعلومة القدر عندهم وتقدر القلة بمائة لتر تقريبا. (هجر) مدينة في اليمن. (نهران باطنان) قيل هما السلسبيل والكوثر. (النيل والفرات) يقال هنا ما قيل في شرح الحديث (٣٠٢٧). (سلمت بخير) رضي بما فرض الله تعالى على من الخير والله أعلم].

ونص الحديث:

عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بينا أنا عند البيت بين

قال ابن كثير:"وهذا وإن كان واقعًا، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فُعِل بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضًا"[١].

قال ابن العربي:" شرحه حقيقة حسية، وذلك حين كان عند ظئره، وحين أسري به، وشرحه معنى حين جمع له التوحيد في صدره والقرآن، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما، وشرحه حين خلق له القبول لكل ما ألقى إليه والعمل به، وذلك هو تمام الشرح وزوال الترح"[٢].

عن إبراهيم بن طِهْمان، قال: "سألتُ سعيدًا عن قوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، فحدّثني به عن قتادة، عن أنس قال: شُقّ بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه، فاستُخرج من قلبه، فغُسل في طَسْتٍ من ذهب، ثم مُلِئَ إيمانًا وحكمة، ثم أُعيد مكانه"[٣].

عن أبي بن كعب : "أن أبا هريرة كان جريًّا على أن يسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال : يا رسول الله، ما أولُ ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا، وقال : "لقد سألتَ يا أبا هريرة، إني لفي الصحراء ابنُ عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ قال : نعم، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط. فأقبلا إلي يمشيان، حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدي، لا أجد لأحدهما مسا، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه. فأضجعاني بلا قَصْر ولا هَصْر. فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره. فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له : أخرج الغِلّ

---

النائم، واليقظان - وذكر: يعني رجلا بين الرجلين -، فأتيت بطست من ذهب، ملئ حكمة وإيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض، دون البغل وفوق الحمار: البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فأتينا السماء الثانية، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى، ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السماء الثالثة [ص:١١٠]، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على يوسف، فسلمت عليه قال: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قيل محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتينا على هارون فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك: قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي، فأتينا السماء السابعة، قيل من هذا؟ قيل: جبريل، قيل من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها، كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان، ونهران ظاهران، فسألت جبريل، فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل والفرات، ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق، فارجع إلى ربك، فسله، فرجعت، فسألته، فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت موسى، فقال: مثله، فجعلها خمسا، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا، فقال مثله، قلت: سلمت بخير، فنودي إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرا». وقال همام، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم :"في البيت المعمور".

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٩/٨.

(٢) أحكام القرآن: ٤١٢/٤.

(٣)أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٦ - ٧.

والحَسَد. فأخرج شيئًا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج شبهُ الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال : اغدُ واسلم. فرجعت بها أغدو، رقة على الصغير، ورحمةً للكبير"[١].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: قد كانت قبلي أنبياء، منهم من سخرت له الريح، ومنهم من يحيي الموتى. قال: يا محمد، ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قلت: بلى يا رب. قال: ألم أجدك ضالا فهديتك؟ قالت: بلى يا رب. قال: ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ قال: قلت: بلى يا رب. قال: ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أرفع لك ذكرك؟ قالت: بلى يا رب»[٢].

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت : يا رب، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته، جعلت إبراهيم خليلا وموسى كليما، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله، أني لا أذكر إلا ذُكِرْتَ معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهرا، ولم أعطها أمة، وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٣].

قوله تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} [الشرح : ٢]، أي:" وحططنا عنك بذلك حِمْلك"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} [الشرح : ٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : وغفرنا لك ذنبك، قاله مجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وابن زيد[٧]، وشريح الحضرمي[٨].

عن مجاهد :"{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}، قال: ذنبك"[٩].

قال شريح بن عبيد الحضرمي:" وغفرنا لك ذنبك"[١٠].

قال مجاهد:" {وِزْرَكَ} في الجاهلية"[١١].

قال قتادة : "كانت للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له"[١٢].

قال ابن زيد:" شرح له صدرَه، وغفر له ذنبَه الذي كان قبل أن يُنَبأ، فوضعه"[١٣].

قال ابن قتيبة:" «الْوِزْرُ»: الإثمُ في الجاهليَّة"[١٤].

وروي عن الضحاك: "{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}، يعني: الشرك الذي كان فيه"[١٥].

عن الحسن وقتادة:" وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية"[١٦].

قال الزجاج:" أي: وضعنا عنك إثمك أن غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[١٧].

---

(١)زوائد المسند (١٣٩/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٢/٨) : "رجاله ثقات وثقهم ابن حبان".

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٧):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣) رواه أبو نعيم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٠/٨، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٨/٦) ثم قال : "وهذا إسناد فيه غرابة، ولكن أورد له شاهدا من طريق أبي القاسم بن منيع البغوي، عن سليمان بن داود المهراني، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه".

(٤) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٨):ص٣٤٤٥/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤-٤٩٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٩):ص٣٤٤٥/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٩):ص٣٤٤٥/١٠.

(١١)علقه البخاري ٤/ ١٨٩٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٤-٤٩٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(١٤) غريب القرآن: ٥٣٢.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(١٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣٢، وتفسير البغوي ٨/ ٤٦٣.

(١٧) معاني القرآن: ٣٤١/٥.

قال الطبري: أي: " وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها"[١].
الثاني : وحططنا عنك ثقلك ، قاله السدي[٢].
وهي في قراءة ابن مسعود ، «وحللنا عنك وقرك»[٣].

**القرآن**
**{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)} [الشرح : ٣-٤]**
التفسير:
الذي أثقل ظهرك، وجعلناك -بما أنعمنا عليك من المكارم- في منزلة رفيعة عالية؟
قوله تعالى:{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [الشرح : ٣]، أي:" الذي أثقل ظهرك"[٤].
قال ابن قتيبة:" أي: " أثقله حتى سُمع نَقِيضُه، أي: صوتُه وهذا مَثَل"[٥].
قال الطبري: " يقول: الذي أثقل ظهرك فأوهنه، وهو من قولهم للبعير إذا كان رجيع سفر قد أوهنه السفر، وأذهب لحمه: هو نِقْضُ سَفَر"[٦].
عن مجاهد:" {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}، قال: أثقل"[٧]
قال ابن زيد:" أثقله وجهده، كما يُنْقِضُ البعيرَ حِمْلُه الثقيل، حتى يصير نِقضا بعد أن كان سمينا"[٨].
قوله تعالى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح : ٤]، أي:" وجعلناك -بما أنعمنا عليك من المكارم- في منزلة رفيعة عالية"[٩].
وفي قوله تعالى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح : ٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : ورفعنا لك ذكرك بالنبوة ، قاله يحيى بن سلام[١٠].
الثاني : ورفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا. حكاه الماوردي[١١].
الثالث : أن تذكر معي إذا ذكرت. قاله مجاهد[١٢]، قال حسان بن ثابت[١٣]:
أغَرّ عَلَيه للنبوة خَاتَم... مِنَ الله من نُور يَلوحُ وَيشْهَد
وَضمَّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه... إذا قَالَ في الخَمْس المؤذنُ : أشهدُ
وَشَقَّ لَهُ مِن اسمه لِيُجِلَّه... فَذُو العَرشِ محمودٌ وهَذا مُحَمَّدُ
قال مجاهد:" لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرتَ، معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"[١٤].
عن مجاهد:" {ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}، يعني: بالتأذين"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٩٧/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٥) غريب القرآن: ٥٣٢.
(٦) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٨):ص٣٤٤٥/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٩٧/٦.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٩٧/٦.
(١٢)انظر: تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩١):ص٣٤٤٥/١٠.
(١٣)من قصيدة من الطويل مطلعها:
أغرّ عليه للنّبوّة خاتم ... من الله مشهودٌ يلوح ويشهد
انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٥٤، ٥٥ ط دار الكتب العلمية.
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩١):ص٣٤٤٥/١٠.

قال الضحاك:" إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي، ولا تجوز خطبة ولا نكاح إلا بذِكرك معي"[٢].
عن الحسن:" {ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي"[٣].
قال الحسن:" ألا ترى أنّ الله لا يُذكر في موضع إلا ذُكر معه نبيّه![٤].
عن الحسن:" {ورَفَعنا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال: إذا ذُكر الله ذُكر رسوله"[٥].
عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: "إذا ذُكر الله ذُكر معه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله"[٦].
قال الطبري:" يقول: ورفعنا لك ذكرك، فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله"[٧].
قال سهل:" وصلنا اسمك باسمنا في الأذان والتوحيد، فلا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بك"[٨].
قال الزجاج:" جعل ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقرونا بذكر توحيد الله في الأذان وفي كثير مما يذكر الله جل وعز، يقول فيه: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله"[٩].
روى أبو سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «أتانِي جِبْرِيلُ فَقالَ إنَّ رَبِّي وَرَبكَ يَقُولُ: كَيْفَ رَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قال: الله أعْلَمُ، قال: إذَا ذُكِرْتُ ذُكرتَ مَعِي»[١٠].
عن قتادة، في قوله: "{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ابْدَءُوا بالعُبُودَةِ، وَتُثُّوا بالرسالة»، فقلت لمعمر، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده، فهو العبودة، ورسوله أن تقول: عبده ورسوله"[١١].
قال قتادة :" رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"[١٢].
عن عدي بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت ربي مسألة أني لم أكن سألته. قلت: أي رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما. قال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويت، وضالا فهديت وعائلا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، حططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي واتخذتك خليلا؟»[١٣].

**القرآن**
**{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥-٦]**
التفسير:
فلا يَثْنِكَ أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجًا، إن مع الضيق فرجًا.
سبب النزول:

---

(١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣٣، وتفسير البغوي ٨/ ٤٦٤.
(٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٦/ ٤٣٣ - ٤٣٤ (٣٢٣٤٨) بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤)عزاه السيوطي إلى ابن عساكر.
(٥)أخرجه البيهقي في سننه ٩/ ٢٨٦.
(٦)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن عساكر.
(٧) تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤.
(٨) تفسير التستري: ١٩٨.
(٩) معاني القرآن: ٣٤١/٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩٣):ص٣٤٤٥/١٠
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩٢):ص٣٤٤٥/١٠
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٤):ص٣٤٤٦/١٠.

عن جابر بن عبد الله، قال: "بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن ثلاثمائة أو نزيد، علينا أبو عبيدة بن الجرّاح، ليس معنا مِن الحمولة إلا ما نركب، فزوّدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرابين من تمر، فقال بعضنا لبعض: قد علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أين تريدون، وقد علمتم ما معكم مِن الزاد، فلو رجعتم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألتموه أن يُزوّدكم. فرجعنا إليه، فقال: «إني قد عرفتُ الذي جئتم له، ولو كان عندي غير الذي زوّدتكم لزوّدتكموه». فانصرفنا، ونزلت: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}، فأرسل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بعضنا، فدعاه، فقال: «أبشِروا، فإنّ الله قد أوحى إليّ: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ولن يَغلِب عُسرٌ يُسريْن»"[1].

قوله تعالى:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥]، أي:" فلا يَثْنِكَ أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجًا"[2].

قال الكلبي: "مَعَ الفقر سعة"[3].

قال مقاتل: " إن مع الشدة الرخاء"[4].

قال مجاهد:" يتبع اليسرُ العُسَر"[5]. وفي رواية:" أتْبَع العُسرَ يُسرًا"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإنّ مع الشدّة التي أنت فيها من جهاد هؤلاء المشركين، ومن أوّله ما أنت بسبيله رجاء وفرجا بأن يُظْفِرَكَ بهم، حتى ينقادوا للحقّ الذي جئتهم به طوعا وكَرها"[7].

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "نزل المعونة من السماء على قدر المؤونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة"[8].

ومما يروى عن الشافعي، رضي الله عنه، أنه قال[9]:

صَبرا جَميلا ما أقرَبَ الفَرجا... مَن رَاقَب الله في الأمور نَجَا

مَن صَدَق الله لَم يَنَلْه أذى... وَمَن رَجَاه يَكون حَيثُ رَجَا

وقال ابن دُرَيد : أنشدني أبو حاتم السجستاني[10]:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ... وضاق لما به الصدر الرحيبُ

وأوطأت المكاره واطمأنت... وأرست في أماكنها الخطوبُ

---

(١)أخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٢٣٦ - ، من طريق يحيى بن محمد بن هانئ، عن محمد بن إسحاق، ثني الحسن بن عطية العَوفيّ، عن أبيه، عن جابر به.

إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه يحيى بن محمد بن هانئ، قال عنه ابن حجر في التقريب (٧٦٣٧): «ضعيف، وكان ضريرًا يتلقن». وفيه أيضًا الحسن بن عطية العَوفيّ، قال عنه ابن حجر في التقريب (١٢٥٦): «ضعيف». وفيه أيضًا أبوه عطية العَوفيّ، قال عنه الذهبي في المغني ٢/ ٤٣٦: «مُجمع على ضعفه».

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣) نقلا عن : الوسيط، للواحدي: ٤/ ٥١٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٦)تفسير مجاهد ص ٧٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٤.

(٨) رواه الحسن بن سفيان كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٨، ورواه البزار في مسنده برقم (١٥٠٦) "كشف الأستار" وابن عدي في الكامل (١١٥/٤) من طريق عبد العزيز الدراوردي عن طارق وعباد بن كثير، عن أبي الزناد به. وقال البزار : "لا نعلمه عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد". وقال ابن عدي : "وطارق بن عمار يعرف بهذا الحديث". والحديث معلول. انظر : العلل لابن أبي حاتم (١٢٦/٢، ١٣٣) والكامل لابن عدي (٢٣٨/٦، ٤٠٢، ٣٧/٢، ١١٥/٤).

(٩) ديوان الإمام الشافعي: ٨، وانظر: الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا: ٨١، وتفسير ابن كثير: ٤٣٢/٨.

(١٠)الأبيات دون نسبة في التذكرة الحمدونية ٤٣/٨ تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، ط صادر بيروت. ١٩٩٦ والفرج بعد الشدة ٤٦/٥ تحقيق عبود الشالجي، ط. صادر بيروت ١٩٧٨ ، وهي لحسان في: الحماسة البصرية: ١/٢.

ولم تر لانكشاف الضر وجها... ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قُنوط منك غَوثٌ... يمن به اللطيف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت... فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر [١]:

وَلَرُب نازلة يضيق بها الفتى... ذرعا وعند الله منها المخرج.
كملت فلما استحكمت حلقاتها... فرجت وكان يظنها لا تفرج

قوله تعالى:{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٦]، أي:" إن مع الضيق فرجًا"[٢].

وفي تكرار قوله تعالى: {مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥، ٦]، وجهان :

أحدهما : من اجل إفراد «العسر» وتثنية «اليسر»-بدخول الألف واللام على «العسر» وحذفها من «اليسر»-[٣]، وذلك ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر، قاله ثعلب[٤]. وفي لفظ:" :«لن يغلب- إن شاء الله- عسر واحد يسرين أبدا»"[٥].

قال ابن عباس:" لا يغلب يسرين عسر واحد"[٦].

قال الحسن:" كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين"[٧].

قال ابن مسعود : " لو دخل العسر في جُحْر، لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}"[٨].

عائذ بن شريح قال: "سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم- جالسا وحياله حجر فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه، فأنزل الله عز وجل: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥ - ٦]"[٩].

قال الحسن:" خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول: « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥ - ٦]»"[١٠]. وفي لفظ: «أَبْشِرُوا أَتَاكُمُ الْيُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[١١].

---

(١) البيتان في ديوان ابن العباس الصولي: ١٧١، وضمن الطرائف الأدبية، وأمالي المرتضى: ٤٨٦/١، وشرح ابيات المغني: ٢١٥/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٤١/٥، قال الزجاج:" فذكر العسر مع الألف واللام ثم ثنى ذكره، فصار المعنى إن مع العسر
يسرين".
قال الماوردي:" وإنما كان العسر في الموضعين واحداً ، واليسر اثنين ، لدخول الألف واللام على العسر وحذفها من اليسر". [النكت والعيون: ٢٩٨/٦]

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٩٨/٦.

(٥) نقلا عن: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٤.

(٦) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٧٥/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٦):ص٣٤٤٦/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٥):ص٣٤٤٦/١٠.

(١٠)رواه الحاكم في "المستدرك"( ٣٩٥٠):ص٥٧٥/٢: كتاب التفسير: باب سورة ألم نشرح، وقال عنه: إسناده مرسل، ووافقه الذهبي.
وقال ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن الحسن به مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم، والبيهقي في الشعب، ورواه الطبري من طريق أبي ثور، عن معمر. وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف. الكافي الشاف: ٤/ ١٨٦.
وانظر: "شعب الإيمان" ٧/ ٢٠٦ ح ١٠٠١٣، كما ورد في "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٣٨٠، و"تفسير الطبري" ٤٩٥/٢٤، و"بحر العلوم" ٣/ ٤٩٠، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١١٤ ب، و"فتح الباري" ٨/ ٧١٢، و"أحكام القرآن" للجصاص ٣/ ٤٧٣، و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٢، و"الكشاف" ٤/ ٢٢٣، و"تفسير القرطبي" ٢٠/ ١٠٧، و"لباب التأويل" ٤/ ٣٨٩، و"تفسير ابن كثير " ٤/ ٥٦١ - ٥٦٢، و"الدر المنثور" ٨/ ٥٥١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٤.

قال الزجاج:" وذلك أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا في ضيق شديد، فأعلمهم الله أنهم سيوسرون وأن سيفتح عليهم، وأبدلهم بالعسر اليسر"[١].

قال سهل:" عظم الله تعالى حال الرجاء في هذه الآية بكرمه وخفي لطفه، فذكر اليسر مرتين"[٢].

الثاني : للإطناب والمبالغة والتغليظ، كما قالوا في تكرار الجواب، فيقال: «بلى بلى»، «لا لا»، قاله الفراء[٣]، ومنه قول خنساء[٤]:

هَمَمْتُ بنَفْسِيَ كلَّ الهُمُوم ... فأوْلَى لنَفْسِيَ أوْلَى لها

قال ابن كثير:" أخبر تعالى أن مع العسر يوجَدُ اليسر، ثم أكد هذا الخبر"[٥].

وفي قراءة عبد الله :{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ،مرة واحدة ليست بمكررة"[٦].

**القرآن**

**{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)} [الشرح : ٧-٨]**

التفسير:

فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فَجِدَّ في العبادة، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

قوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} [الشرح : ٧]، أي:" فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فَجِدَّ في العبادة"[٧].

قال ابن العربي:" اتفق الموحدون والمفسرون على أن معناه: إذا فرغت من الصلاة فانصب للأخرى بلا فتور ولا كسل، وقد اختلفوا في تعيينهما..."[٨].

---

(١) معاني القرآن: ٣٤١/٥.

(٢) تفسير التستري: ١٩٨.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٨٨/٣.

(٤) البيت للخنساء في ديوانها: ص ٨٤؛ ولسان العرب ١٥/ ٤١٢، مادة «ولي».

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٨.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٨) أحكام القرآن: ٤١٢/٤. قال:" اختلفوا في تعيينهما على أربعة أقوال:

الأول إذا فرغت من الفرائض فتأهب لقيام الليل.

الثاني: إذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء.

الثالث: إذا فرغت من الجهاد فاعبد ربك.

الرابع إذا فرغت من أمر دنياك فانصب لأمر آخرتك.

ثم قال ابن العربي:" ومن المبتدعة من قرأ هذه الآية فأنصب بكسر الصاد والهمز في أوله، وقالوا: معناه أنصب الإمام الذي يستخلف؛ وهذا باطل في القراءة، باطل في المعنى؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يستخلف أحدا. وقرأها بعض الجهال فانصب بتشديد الباء معناه إذا فرغت من الغزو فجد إلى بلدك.

وهذا باطل أيضا قراءة لمخالفة الإجماع، لكن معناه

صحيح؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع إلى أهله».

وأشد الناس عذابا وأسوأهم مآبا ومباء من أخذ معنى صحيحا، فركب عليه من قبل نفسه قراءة أو حديثا، فيكون كاذبا على الله، كاذبا على رسوله، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا". [أحكام القرآن: ٤١٢/٤-٤١٣]

والحديث: أخرجه أبو مصعب الزهري، ٢٠٦٣ في الجامع؛ والشيباني، ٩٧٧ في العتاق؛ وابن حنبل، ٧٢٢٤ في م٢ ص٢٣٦ عن طريق عبد الرحمن، وفي، ٩٧٣٨ في م٢ ص٤٤٥ عن طريق وكيع؛ والبخاري، ١٨٠٤ في العمرة عن طريق عبد الله بن مسلمة، وفي، ٣٠٠١ في الجهاد عن طريق عبد الله بن يوسف، وفي، ٥٤٢٩ في الأطعمة عن طريق أبي نعيم؛ ومسلم، الإمارة: ١٧٩ عن طريق عبد الله بن مسلمة بن قعنب وعن طريق يحيى بن يحيى التميمي وعن طريق إسماعيل بن أبي أويس وعن طريق أبي مصعب الزهري وعن طريق منصور بن أبي مزاحم وعن طريق قتيبة بن سعيد؛ وابن ماجه، ٢٩١٢ في المناسك عن طريق هشام بن عمار وعن طريق أبي مصعب الزهري وعن طريق سويد بن سعيد؛ وابن حبان، ٢٧٠٨ في م٦ عن طريق عمر بن

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} [الشرح : ٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : فإذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل، قاله ابن مسعود[١].
قال مكي:" فيكون هذا -على قوله - منسوخاً بما نسخ قيام الليل"[٢].
الثاني : فإذا فَرغت من صلاتك، فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والضحاك[٦].
عن ابن عباس:"{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}، يقول: في الدعاء"[٧].
قال ابن عباس:" يقول: فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل الله، وارغب إليه، وانصب له"[٨].
قال مجاهد:" إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك إلى ربك"[٩].
عن قتادة:"{فَإِذَا فَرَغْتَ}، من صلاتك، {فَانْصَبْ}، في الدعاء"[١٠].
قال قتادة:" أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه"[١١].
قال عامر الشعبي: "إذا فرغتَ من التشَهُّد فادعُ لدنياك وآخرتك"[١٢].
قال الضحاك:" يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن تسلّم، فانصَب"[١٣].
عن الضحاك قال: "كان ابن مسعود يقول: أيما رجل أحدث في آخر صلاته فقد تمت صلاته، وذلك قوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}، قال: فراغك من الركوع والسجود، {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}، قال: في المسألة وأنت جالس"[١٤].
قال ابن قتيبة:""{فَإِذَا فَرَغْتَ} من صلاتك، {فَانْصَبْ} في الدعاء، وَارْغَبْ إلى الله"[١٥].
الثالث : فإذا فرغت من جهادك عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن[١٦]، وزيد بن اسلم[١٧].
قال الحسن: "إذا فرغت من غزوك وجهادك، فتعبد لله تعالى"[١٨].
قال الحسن:" أمره إذا فرغ من غزوه، أن يجتهد في الدعاء والعبادة"[١٩].
قال ابن زيد:" إذا فرغت من الجهاد فتعبد"[٢٠].
قال زيد بن اسلم:" فإذا فرغت من الجهاد، جهاد العرب، وانقطع جهادهم، فانصب لعبادة الله {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}"[١].

---

سعيد بن سنان عن أحمد بن أبي بكر؛ والدارمي، ٢٦٧٠ في الاستئذان عن طريق خالد بن مخلد؛ والقابسي، ٤٣٥، كلهم عن مالك به.
(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٩٩):ص٣٤٤٦/١٠.
(٢) الهداية غلى بلوغ النهاية: ٨٣٣٧/١٢. وانظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٧٧٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٩٧):ص٣٤٤٦/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(١٢)تفسير البغوي ٨/ ٤٦٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٨):ص٣٤٤٦/١٠.
(١٥) غريب القرآن: ٥٣٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤-٤٩٧.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(١٨) عزاه إليه النحاس في "الناسخ والمنسوخ": ٧٧٢.
(١٩) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤-٤٩٧.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٠١):ص٣٤٤٦/١٠.

الرابع : فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك ، قاله مجاهد[٢].

قال مجاهد:" إذا فرغت من أمر دنياك فانصب، فصّل"[٣].

قال مجاهد:" إذا فرغت من أسباب نفسك، فصلّ"[٤].

قال مجاهد:" إذا فرغت من أمر الدنيا، وقمت إلى الصلاة، فاجعل رغبتك ونيتك له"[٥].

قال الجصاص:" وهذه المعاني كلها محتملة، والوجه حمل اللفظ عليها كلها فيكون جميعها مرادا، وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فإن المراد به جميع المكلفين"[٦].

قال النحاس:" المعاني في الآية متقاربة، أي: إذا فرغت من شغلك بما يجوز أن تشتغل به من أمور الدنيا أو الآخرة فانصب، أي: انتصب لله تعالى واشتغل بذكره ودعائه والصلاة له، ولا تشتغل باللهو وما يؤثم"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الله تعالى ذكره، أمر نبيه أن يجعل فراغه من كلّ ما كان به مشتغلا من أمر دنياه وآخرته، مما أدّى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قرّبه إليه، ومسألته حاجاته، ولم يخصص بذلك حالا من أحوال فراغه دون حال، فسواء كلّ أحوال فراغه، من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلا لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ، دون حال أخرى"[٨].

قال ابن كثير قوله: "{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}:" أي : إذا فَرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطا فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة. ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته : «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان»[٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم : «إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء، فابدءوا بالعَشَاء»[١٠]"[١١].

قوله تعالى:{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]، أي:" وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده"[١٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]، وجوه:

أحدها : فارغب إليه في دعائك. قاله ابن مسعود[١٣].

قال عطاء:" تضرع إليه راهبا من النار راغبا في الجنة"[١٤].

قال السمعاني:" قوله: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} هو الحثّ على الدعاء والمسألة"[١٥].

الثاني : في معونتك. حكاه الماوردي[١٦].

الثالث : في إخلاص نيتك، قاله مجاهد[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٠٠):ص٣٤٤٦/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.

(٦) أحكام القرآن: ٦٣٩/٣.

(٧) الناسخ والمنسوخ: ٧٧٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.

(٩)مسلم في صحيحه برقم (٥٦٠) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(١٠)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٤٦٥) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣٣/٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٩٩/٦.

(١٤) عزاه إليه البغوي في "التفسير": ٤٦٧/٨.

(١٥) تفسير السمعاني: ٢٥٢/٦.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٩/٦.

عن مجاهد: "{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}، قال: إذا قمت إلى الصلاة"[٢].
قال مجاهد:" اجعل نيتك ورغبتك إلى الله"[٣].
قال مجاهد:" اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك"[٤].
قال الزجاج:" أي: اجعل رغبتك إلى الله وحده"[٥].
قال ابن عطية:" أمر بالتوكل على الله تعالى وصرف وجه الرغبات إليه لا إلى سواه"[٦].
قال مكي:" أي: واجعل رغبتك إلى ربك دون من سواه من خلقه"[٧].
قال الطبري: المعنى: " وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد"[٨].
عن أبي حصين، قال: مر شريح برجلين يصطرعان، فقال: «ليس بهذا أمر الفارغ، إنما قال الله تبارك وتعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)} [الشرح : ٧ - ٨]»، - قال الفراء-:فكأنه في قول شريح: إذا فرغ الفارغ من الصلاة أو غيرها"[٩].
قال ابن العربي: « عن شريح أنه مر بقوم يلعبون يوم عيد، فقال: ما بهذا أمر الشارع»[١٠].
وعن الشعبي: "أنه رأى رجلا يشيل حجرا، فقال: ليس بهذا أمر الفارغ"[١١].
قال الزمخشري:" وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه: من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة"[١٢].
قال عبد الله بن مسعود «إني لأمقت الرجل أراه فارغا ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخرة»[١٣].
فوائد السورة الكريمة:
١- بيان ما أكرم الله تعالى به رسوله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شرح صدره ومغفرة ذنوبه ورفع ذكره.
٢- بيان أن انشراح صدر المؤمن للدين واتساعه لتحمل الأذى في سبيل الله نعمة عظيمة.
٣- بيان أن مع العسر يسرا دائما وأبدا، ولن يغلب عسر يسرين فرجاء المؤمن في الفرح دائم.
٤- بيان أن حياة المؤمن ليس فيها لهو ولا باطل ولا فراغ لا عمل فيه أبدا ولا ساعة من الدهر قط وبرهان هذه الحقيقة أن المسلمين من يوم تركوا الجهاد والفتح وهم يتراجعون إلى الوراء في حياتهم حتى حكمهم الغرب وسامهم العذاب والخسف حتى المسخ والنسخ وقد نسخ إقليم الأندلس ومسخت أقاليم في بلاد الروس والصين حتى الأسماء غيرت.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤-٤٩٨.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٣٤١/٥.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٩٨/٥.
(٧) الهداية غلى بلوغ النهاية: ٨٣٣٧/١٢.
(٨) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٩) أخرجه الفراء في "معاني القرآن: ٢٧٦/٣.
(١٠) أحكام القرآن: ٤١٣/٤، ونقله عنه القرطبي في "التفسير":٢٠/ ١٠٩. وقال ابن العربي:" وفيه نظر؛ فإن «الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد، والنبي - صلى الله عليه وسلم - ينظر»". ثم قال:" وليس يلزم الدءوب على العمل، بل هو مكروه للخلق، حسبما تقدم بيانه في غير موضع".
(١١) نقلا عن: الكشاف: ٧٧٢/٤.
(١٢) الكشاف: ٧٧٢/٤.
(١٣) الزهد لوكيع(٣٦٩):ص٦٥٢، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٤٥٦٢):ص١٠٨/٧، والزهد لهناد بن السري: ٣٥٧/٢، والزهد لأبي داود(١٧٤):ص١٧١، كلهم من طريق المسيب بن رافع.

**«آخر تفسير سورة (الشرح)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «التين»**

«سورة التين»: هي السورة الخامسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البروج»، وآياتها ثمان. وكلماتها أربع وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «من»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة التين»:**

وسماها أكثر المفسرين[٢] باسم: «سورة التين»، بدون «واو»، لأن فيها لفظ «التين» في أولها، قال تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، وكما قالوا: «سورة البقرة»، وبذلك عنونها «الترمذي»[٣]، والنسائي[٤]، وبعض المصاحف.

وسميت أيضا في بعض من كتب التفسير[٥]، والمصاحف: «سورة والتين» بإثبات «الواو»، تسمية بأول كلمة فيها، وكما سيأتي في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-[٦].

- **ثانيا:-أسمها الاجتهادي: سورة «والتين والزيتون»:**

وردت هذا الاسم في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-، كما في حديث البراء[٧]، وهي تسمية اجتهادية، لم تثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله الجمهور[٨]، منهم الحسن[٩]، وعكرمة[١٠]، وعطاء[١١]، وجابر[١٢]. وهو المشهور من كلام ابن عباس[١٣].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول الجمهور"[١٤].

عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة"[١٥].

الثاني: أنها مدنيّة، حكاه الماورديّ عن ابن عباس[١٦]، وقتادة[١٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٤٩٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٧٠/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٥/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٤٥/٥، والكشف والبيان: ٢٣٨/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٨، والوسيط للواحدي: ٥٢٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٣/٦، وتفسير البغوي: ٤٦٨/٨، والكشاف: ٧٧٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٩٩/٥، ومفاتيح الغيب: ٢١٠/٣٢، وغيرها.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٣٠٠/٥.

(٤) انظر: سنن النسائي: ٣٣٩/١٠.

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٤١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٣٩/١٢، وتفسير البيضاوي: ٣٢٣/٥، وتفسير السعدي: ٩٢٩، وغيرها.

(٦)عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة ، انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧) كما سياتي في فضائل السورة.

(٨) انظر: البحر المحيط: ٥٠٢/١٠، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٤) البحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة حال أكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم، وذكر هنا حال النوع الإنساني وما ينتهى إليه أمره، وما أعد سبحانه لمن آمن برسوله[1].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- تبدأ السورة بذكر فاكهة التين وهي فاكهة طازجة يصعب حفظها حيث أنها لا تلبث فترة طويلة حتى تفسد وهي تُشير إلى حال الإنسان الذي ينتكث عن الفطرة السليمة.

٢- هناك ارتباط بين التين الذي يعتبر أحسن الفواكه من حيث الغذاء والتحلي والتداوي وبين الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم.

٣- يُشير الزيتون إلى حالة الثبات على الفطرة السليمة والبقاء على الدين الصحيح، حيث أنه يمثل خيرًا كبيرًا يمكن الانتفاع به لفترة طويلة، ولذلك عبر القرآن الكريم عن شجرة الزيتون بأنها مثال للهدى والنور.

٤- تدل سورة التين على أن مكة المكرمة هي مركز رسوخ الدين، حيث ارتضى الله تعالى أن يحتضن هذا البلد الأمين الإسلام الذي يعتبر الدين الوحيد الذي لا يتغير ولا يتبدل.

٥- يرمز قوله تعالى : {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، إلى أرض بيت المقدس التي خرجت منها رسالة عيسى بن مريم، بينما يُشير طور سنين إلى الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى، أما البلد الأمين فالمقصود به مكة موطن النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- أقسم الله بالأماكن الثلاثة التي كانت مراكز للأديان السماوية الثلاثة بحسب الترتيب بين هذه الأماكن في الشرف.

٧- بعد أن كنى الله عن أصل الفطرة بذكر التين والزيتون، صرح بخلق الإنسان في أحسن تقويم حيث هداه الله إلى الفطرة السليمة.

٨- ليس هناك خلق أحسن من الإنسان، فقد خلقه الله تعالى مريدًا قادرًا على السمع والبصر والكلام كما خلقه متكامل الأعضاء حسن الخلقة.

٩- يُذكر الله تعالى عباده من البشر بأول خسران لهم حينما عصى آدم ربه، فكان مصيره هو الخروج من الجنة ونزول الأرض.

١٠- خُلق الإنسان من روح وجسد، وعندما يُلبي الإنسان نداء جسده دون اهتمام بضوابط الشرع، يكون مصيره هو الهبوط إلى أسفل سافلين.

١١- ينطوي قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، لتطور خلق الإنسان فهو يكبر حتى يصبح شابًا قويًا في أحسن تقويم ثم يُرد إلى أرذل العمر.

**دروس مستفادة من سورة التين:**

١- **تبشير المؤمنين بالأجر**، وذلك كما مبين أدناه:

أ- يُراد من قوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦] أن الإنسان عندما لا يغتر بوجوده على الأرض في الدنيا ويُدرك أن مقامه الأخروي يجب أن يكون في الجنة، فإنه ينال من الله تعالى الأجر غير منقوص.

ب- إذا كان المؤمن يعيش بجسده في دار الدنيا، فإنه بروحه مع الملائكة المقربين عند الله تعالى، ومن أهم الأعمال الصالحة التي تقي الإنسان من الرد إلى أسفل سافلين هي قراءة القرآن الكريم والعمل به.

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٩٣/٣٠.

**٢- استنكار الله من تكذيب العصاة:**

أ- يستنكر الله تعالى أن يُنكر العبد لقائه رغم أنه هو الذي خلقه والقادر على إعادته إليه؛ لذلك يقول الله تعالى: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ} [التين : ٧].

ب- عندما يرى الإنسان دلائل وجود الله تعالى ثم يبقى تائهًا في ظلام الشك والطغيان، فإنه يستحق ما يحل عليه من العذاب نتيجة عناده وغفلته.

**٣- الله تعالى هو أحكم الحاكمين:**

أ- يكفي للإنسان أن يتدبر في خلق الله وقضائه؛ ليعلم أن الله تعالى هو أحكم الحاكمين؛ لذلك يجب على الإنسان أن يلجأ إلى حكم الله في جميع أمور حياته ولا يعرض عن حكمه إلى غيره.

ب- كان الصحابي الجليل أبو هريرة يقول: «فإذا قرأ أحدكم {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} فأتى على آخرها: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[١].

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: القسم على حسن خلقة الإنسان، ورجوع الكافر إلى النيران، وإكرام المؤمنين بأعظم المثوبات الحسان، وبيان أن الله حكيم وأحكم في قوله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسختها آية السيف[٣].

قال هبة الله:" جميعها محكم إلا آية واحدة في آخرها نسخ معناها لا لفظها وهي قوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين : ٨]، نسخ المعنى فيها بآية السيف أي دعهم وخل عنهم"[٤].

- **فضائل السورة:**

- عن البراء بن عازب قال: «صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة، فقرأ فيها بالتين والزيتون»[٥].
- عن البراء بن عازب :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر فقرأ في العشاء الآخرة في إحدى الركعتين بـ«التين والزيتون»"[٦].

---

(١)أخرجه أبو داود (٢٣٤/١، رقم ٨٨٧) ، والترمذى (٤٤٣/٥، رقم ٣٣٤٧) وقال: هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابى ولا يسمى. والبيهقى (٣١٠/٢، رقم ٣٥٠٨) . وأخرجه أيضا: البيهقى فى شعب الإيمان (٣٧٧/٢، رقم ٢٠٩٧).

(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٧/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٠.

(٥) سنن النسائي(١٠٠٠):ص١٧٣/٢.

(٦) المسند(١٨٥٠٣): ص٤٦٢/٣٠، إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو يعلى (١٦٦٥) من طريق بهز، بهذا الإسناد.

وأخرجه عبد الرزاق (٢٧٠٩) ، والبخاري (٧٦٧) و (٤٩٥٢) ، ومسلم (٤٦٤) ، وأبو داود (١٢٢١) ، والنسائي في "المجتبى" ١٧٣/٢، وابن خزيمة، (٥٢٤) ، وأبو عوانة ١٥٥/٢، وابن حبان (١٨٣٨) ، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٣٩٣/٢ من طرق، عن شعبة، به.

وعند النسائي أنه قرأ في العشاء في الركعة الأولى بالتين والزيتون، وخالفهم عن شعبة الطيالسي (٧٣٣) ، فذكر المغرب بدل العشاء.

وأخرجه ابن خزيمة (٥٢٥) من طريق محمد بن بكر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء، به.

وأخرجه الإمام احمد في المسند بطرق أخرى بالأرقام: (١٨٥٢٧) و (١٨٥٢٨) و (١٨٥٦٦) و (١٨٦٣٩) و (١٨٦٨١) و (١٨٦٨٨) و (١٨٦٩٨) و (١٨٧٠٨).

- عن مسروق بن الأجدع قال: "صليت مع عثمان العشاء الآخرة فقرأ بـ«النجم»، فسجد فيها، ثم قام فقرأ بـ«التين والزيتون»"[١].
- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر، صلاة المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بـ«التين والزيتون»، وفي الركعة الثانية: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» و«لإيلاف قريش»"[٢].
- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة وَالتِّينِ أعطاه الله سبحانه خصلتين: العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، فإذا مات أعطاه الله سبحانه من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم»[٣].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٤٣٩٣):ص٣٨٢/١.

(٢)مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٩٣):ص٣١٤/١.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٣٨/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٢/١٠.[موضوع]

**القرآن**

**{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)} [التين : ١-٦]**

التفسير:

أقسم الله بالتين والزيتون، وهما من الثمار المشهورة، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلَّم الله عليه موسى تكليمًا، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي «مكة» مهبط الوحي. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل، لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص.

قوله تعالى:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، أي: أقسم" بالتين والزيتون"[١].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، على أقوال:

أحدها : أنهما التين والزيتون المأكولان، قاله الحسن[٢]، وعكرمة[٣]، ومجاهد[٤]، وإبراهيم[٥]، والكلبي[٦].

عن مجاهد:"{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}، قال: الفاكهة التي تأكل الناس"[٧].

قال مجاهد، وإبراهيم:" التين الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر"[٨].

قال مجاهد:" هو تينكم وزيتونكم"[٩].

قال عكرمة:" تينكم وزيتونكم"[١٠].

قال عكرمة:" التين: هو التين، والزيتون: الذي تأكلون"[١١].

قال الحسن:" تينكم هذا الذي يؤكل، وزيتونكم هذا الذي يُعْصر"[١٢].

قال الحسن:" التين تينكم، والزيتون زيتونكم هذا"[١٣].

قال الكلبي:" هو الذي ترون"[١٤].

الثاني : أن التين: دمشق ، والزيتون: بيت المقدس ، قاله كعب الأحبار[١٥]، وابن زيد[١٦].

وقال قتادة:" ذُكر لنا أن التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الذي عليه بيت المقدس"[١٧].

الرابع : أن التين: مسجد دمشق ، والزيتون: مسجد بيت المقدس ، قاله الحارث[١٨]، وابن زيد- أيضا[١٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤-٥٠٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.

قال ابن زيد:" التين: مسجد دمشق، والزيتون، مسجد إيلياء"[١].
الخامس : الجبل الذي عليه التين ، والجبل الذي عليه الزيتون ، قاله ابن قتيبة[٢]، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور: زيتا ، وللآخر طور: تيناً، وهو تفسير الربيع[٣].
وقال عكرمة:" هما جبلان"[٤].
قال ابن قتيبة:" سمِّيا بالتين والزيتون، لأنهما يُنبتانهما"[٥].
وحكى ابن الأنباري:" أنهما جبلان بين حلوان وهمدان"[٦]، قال الماوردي :"وهو بعيد"[٧].
السادس : أن التين مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد ايليا ، قاله محمد بن كعب[٨].
السابع : أن التين: مسجد نوح -عليه السلام- الذي بني على الجودي، والزيتون: مسجد بيت المقدس ، قاله ابن عباس[٩].
وقال ابن عباس:" التين والزيتون وطور سينين: ثلاثة مساجد بالشام"[١٠].
الثامن : أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همذان، والزيتون: جبال الشام، حكاه الفرّاء[١١].
قال الفراء: "وسمعت رجلا من أهل الشام وكان صاحب تفسير قال: التين جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام، {وطور سينين}: جبل"[١٢].
التاسع : أنه أراد بهما نعم الله تعالى على عباده التي منها التين والزيتون ، لأن التين طعام ، والزيتون إدام. ذكره الماوردي[١٣].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يقال له زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوّز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون"[١٤].
قوله تعالى:{وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢]، أي:" ، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلَّم الله عليه موسى تكليمًا"[١٥].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢] أقوال:
أحدها : أنه الجبل. قاله مجاهد[١٦]، وعكرمة[١٧]، والكلبي[١٨].
قال الكلبي:" هو الجبل ذو الشجر"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٢) انظر: غريب القرآن: ٥٣٢.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤-٥٠٣.
(٥) غريب القرآن: ٥٣٢.
(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٧) النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٩٤٠٤:ص٣٤٤٧/١٠).
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٧٦/٣.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٧٦/٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.

عن مجاهد: "{وَطُورِ سِينِينَ}: جبل"[٢]. وفي لفظ:" الجبل"[٣].
قال عكرمة:" طُور: جبل"[٤].
عن عكرمة: "{وَطُورِ سِينِينَ}، قال: سواء علي نبات السهل والجبل"[٥].
عن عمرو بن ميمون، قال: "صليت خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه المغرب، فقرأ في أوّل ركعة: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ}، قال: هو جبل"[٦].
الثاني : أنه جبل بالشام ، قاله قتادة[٧].
الثالث : أنه الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، قاله كعب الأحبار[٨].
قال الزمخشري:" الطور: المكان الذي نودي منه موسى"[٩].
عن كعب:" {وَطُورِ سِينِينَ}، قال: جبل موسى صلى الله عليه وسلم-"[١٠].
عن ابن عباس: "{وَطُورِ سِينِينَ}، قال: هو الطُّور"[١١].
وقال ابن زيد:" مسجد الطور"[١٢].
عن قتادة، عن قزعة، قال: قلت لابن عمر: "إني أريد أن آتي بيت المقدس {وَطُورِ سِينِينَ}، فقال: لا تأت طور سينين، ما تريدون أن تدعوا أثر نبيّ إلا وطئتموه. قال قتادة {وَطُورِ سِينِينَ}: مسجد موسى صلى الله عليه وسلم"[١٣].
وفي قوله: «سينين»، أربعة وجوه :
أحدها : أنه الحسن -بلغة الحبشة-، ونطقت به العرب، قاله الحسن[١٤]، وعكرمة[١٥].
قال عكرمة:" وهي لغة الحبشة، يقولون للشيء الحسن: سِينا سِينا"[١٦].
قال عكرمة: "الطور: الجبل، والسينين: الحسن، كما ينبت في السهل، كذلك ينبت في الجبل"[١٧].
قال مقاتل:" يعني: الجبل الحسن وهو بالنبطية، وهو الجبل الذي كلم الله- تعالى- عليه موسى- عليه السلام- يوم أخذ التوراة، وكل جبل لا يحمل الثمر لا يقال له سيناء"[١٨].
الثاني : أنه المبارك ، قاله مجاهد[١٩]، وقتادة[٢٠].
قال قتادة:" جبل مبارك بالشام"[٢١].
قال قتادة:" جبل بالشام، مُبارك حسن"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٩) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤.

الثالث : أنه اسم البحر، حكاه ابن شجرة[٢].
الرابع : أنه اسم للشجر الذي حوله ، قاله عطية[٣].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتا للطور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منّونا، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته، لغير علة تدعو إلى ذلك"[٤].
قوله تعالى:{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين : ٣]، أي:" وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي «مكة» مهبط الوحي"[٥].
قال الفراء: " مكة، يريد: الآمن، والعرب تقول للآمن. الأمين، قال الشاعر[٦] :
ألمْ تَعْلَمي يا أسْمَ وَيحَكِ أنَّنِي ... حَلَفْتُ يمِينا لا أخُونُ أمِينِي؟
يريد: آمني"[٧].
قال مقاتل:" يعني: مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد في الجاهلية والإسلام ولا تقام فيه الحدود"[٨].
قال الطبري:" يقول: وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله، أو يغزوهم، وهو مكة"[٩].
قال الزمخشري:" مكة: مكان البيت الذي هو هدى للعالمين، ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه"[١٠].
عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، وإبراهيم: "{وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ}، قال: مكة"[١١].
عن كعب، والحسن، وعكرمة: "{وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ}، قال: البلد الحرام"[١٢].
وقال ابن زيد:" المسجد الحرام"[١٣].
وقال بعض الأئمة : "هذه مَحَالٌّ ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول : محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم. والثاني : طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران. والثالث : مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا، وهو الذي أرسل فيه محمدا صلى الله عليه وسلم-قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من سَاعيرَ - يعني بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعني : جبال مكة التي أرسل الله منها محمدًا - فذكرهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم بالأشرف منهما"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٤) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٦)الشاهد بلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ١٣٤، وتاج العروس (أمن)، وتفسير الطبري ٣٠/ ٢٤١.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٧٦/٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(١٠) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤/ ٥٠٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤-٥٠٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٤.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٨-٤٣٥.

قوله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، أي:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة"(١).

قال الطبري:" وهذا جواب القسم، يقول تعالى ذكره: والتين والزيتون، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"(٢).

قال قتادة:" وقع القسم -ها هنا-: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}"(٣).

وفي المراد بـ«الإنسان» -ها هنا-، قولان (٤):

أحدهما : أنه أراد عموم الناس، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما يعم لجميع الناس. وهو قول الجمهور(٥).

الثاني : أنه أراد إنساناً بعينه عناه بهذه الصفة، وإن كان صفة الناس.

واختلف فيمن أراده الله تعالى، على خمسة وجوه :

أحدها : أنه كَلَدَة بن أسيد، قاله ابن عباس(٦).

الثاني : أبو جهل بن هشام، قاله مقاتل(٧).

والثاني: الوليد بن المغيرة، قاله عطاء(٨).

الرابع: عتبة، وشيبة. حكاه الماوردي(٩).

الخامس: أنه عنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(١٠).

وفي قوله تعالى: {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، أربعة أقوال:

أحدها : في أعدل خلق ، قاله ابن عباس(١١)، .

الثاني : في أحسن صورة ، قاله أبو العالية(١٢)، وقتادة(١٣)، وإبراهيم(١٤)، والكلبي(١٥).

قال مقاتل:" يعني: يمشي على رجلين وغيره يمشي على أربع، وأحسن التقويم الشباب وحسن الصورة"(١٦).

الثالث: في أحسن خَلْقٍ. قاله مجاهد(١٧)، وإبراهيم-أيضا-(١٨).

الثالث : في شباب وقوة ، قاله ابن عباس-أيضا-"(١٩)، وعكرمة-أيضا-(٢٠).

عن عكرمة:"{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، قال: الشاب القويّ الجَلْد"(٢١).

عن ابن عباس: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، قال: شبابه أوّل ما نشأ"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٥) انظر: زاد المسير: ٤٦٤/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وزاد المسير: ٤٦٤/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وزاد المسير: ٤٦٤/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وزاد المسير: ٤٦٤/٤.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٦٤/٤، وعزاه إلى الماوردي.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٤.

الرابع : منتصب القامة ، لأن سائر الحيوان مُنْكَبٌّ غير الإنسان ، فإنه منتصب ، رواه عكرمة عن ابن عباس[٢].

قال ابن عباس:" خلق كلّ شيء منكبا على وجهه، إلا الإنسان"[٣].

قال ابن كثير:" وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سَويّ الأعضاء حسنها"[٤].

قال الزمخشري:" في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه"[٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها؛ لأن قوله: {أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم"[٦].

قال ابن العربي:" ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا، مريدا، متكلما، سميعا، بصيرا، مدبرا، حكيما، وهذه صفات الرب، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: «إن الله خلق آدم على صورته»[٧]، يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها، وفي رواية : «على صورة الرحمن»[٨]. ومن أين تكون للرجل صفة مشخصة، فلم يبق إلا أن تكون معاني، وقد تكلمنا على الحديث في موضعه بما فيه بيانه"[٩].

ثم قال ابن العربي:" قد أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الأزدي، أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه قال: كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجه حبا شديدا قال لها يوما: أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر، فنهضت واحتجبت عنه، وقالت: طلقني. وبات بليلة عظيمة. ولما أصبح غدا إلى دار المنصور، فأخبره الخبر [وقال: يا أمير المؤمنين، إن تم علي طلاقها تصلفت نفسي غما، وكان الموت أحب إلي من الحياة]؛ وأظهر للمنصور جزعا عظيما، فاستحضر الفقهاء، واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طلقت، إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة، فإنه كان ساكتا، فقال له المنصور: مالك لا تتكلم؟ فقال له الرجل: بسم الله الرحمن الرحيم: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)} [التين : ١ - ٤]. يا أمير المؤمنين، الإنسان أحسن الأشياء، ولا شيء أحسن منه [فقال المنصور لعيسى بن موسى: الأمر كما قال؛ فأقبل على زوجك]، فأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجه أن أطيعي زوجك، ولا تعصيه، فما طلقك.

فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا و هو أحسن خلق الله ظاهرا جمال هيئة، وبديع تركيب: الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه؛ ولذلك قالت الفلاسفة: إنه العالم الأصغر؛ إذ كل ما في المخلوقات أجمع فيه هذا على الجملة وكيف على التفصيل، بتناسب المحاسن، فهو أحسن من الشمس والقمر بالعينين جميعا. وقد بينا القول في ذلك في كتاب المشكلين، وبهذه الصفات الجليلة التي ركب عليها الإنسان استولى على جماعة الكفران، وغلب على طائفة الطغيان، حتى قال: أنا ربكم الأعلى، وحين علم الله هذا من عبده، وقضاؤه صادر من عنده، رده أسفل سافلين وهي:

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٨.
(٥) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.
(٦) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٤.
(٧) صحيح البخاري الاستئذان (٦٢٢٧)، صحيح مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤١)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣١٥).
(٨) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٧).
(٩) أحكام القرآن: ٤١٥/٤.

الآية الرابعة بأن جعله مملوءا قذرا، مشحونا نجاسة، وأخرجها على ظاهره إخراجا منكرا على وجه الاختيار تارة، وعلى وجه الغلبة أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قدره"[١].

قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، أي:" ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل"[٢].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : ثم رددناه إلى أرذل العمر. قاله ابن عباس[٣]، وعكرمة[٤]، وإبراهيم[٥].

قال مقاتل:" {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ} بعد الشباب والصورة الحسنة { أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، يعني: من الصورة لأنه يسقط حاجباه، ويذهب شبابه، وعقله، وقوته، وصوته، وصورته، فلا يكون شيئا أقبح منه، وما خلق الله شيئا أحسن من الشباب"[٦].

عن عكرمة: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)، قال: الشيخ الهَرِم، لم يضرّه كبرُه إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل"[٧].

قال عكرمة:" ردّوا إلى أرذل العمر"[٨].

قال قتادة:" رددناه إلى الهرَم"[٩].

عن ابن عباس:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، يقول:" يرّد إلى أرذل العمر، كبر حتى ذهب عقله، وهم نفر رُدّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم"[١٠].

وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة"[١١].

قال الماوردي: :"ويكون «أسفل»، بمعنى: بعد التمام"[١٢].

قال ابن قتيبة: "أي: إلى الهرم، والسافلون: هم: الأطفال والزَّمْنَى والهَرْمَى"[١٣].

قال ابن الجوزي:" والسافلون: هم الضعفاء، والزَّمنى، والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً"[١٤].

قال الزمخشري:" ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل: حيث نكسناه في خلقه، فقوّس ظهره بعد اعتداله، وابيض شعره بعد سواده، وتشنن[١٥] جلده وكان بضا، وكلّ سمعه وبصره وكانا حديدين، وتغير كل شيء منه: فمشيه دليف[١٦]، وصوته خفات، وقوته ضعف، وشهامته خرف[١٧]"[١٨].

---

(١) أحكام القرآن: ٤/٤١٥-٤١٦، ونقله القرطبي في "تفسيره": ٢٠/١١٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٠٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٠٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٠٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٧٥١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٨.

(١١) نقلا عن: النكت والعيون: ٦/٣٠٢، وزاد المسير: ٤/٤٦٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٠٢.

(١٣) غريب القرآن: ٥٣٢-٥٣٣.

(١٤) زاد المسير: ٤/٤٦٥.

(١٥)قوله «وتشنن جلده» في الصحاح التشنن: التشيخ واليبس في جلد الإنسان، والضاضة: رقة الجلد ورخوصته.

(١٦)قوله «فمشبه دليف» أى مشى رويد متقارب الخطو.

(١٧) قال المحقق: «وشهامته خوف» لعله: خوف.

(١٨) الكشاف: ٤/٧٧٤-٧٧٥.

الثاني : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة، وذلك إن لم يطع الله ويتبع الرسل. قاله الحسن[١]، ومجاهد[٢]، وأبو العالية[٣]، وابن زيد[٤]، ويكون «أسفل السافلين»: محمولاً على الدرك الأسفل من النار.

عن الحسن:" {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: في النار"[٥].

قال الحسن: جهنم مأواه"[٦].

قال ابن زيد:" إلى النار"[٧].

عن مجاهد: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: النار"[٨]. وفي لفظ:" إلى النار"[٩].

عن أبي العالية: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: في شرّ صورة في صورة خنزير"[١٠].

قال ابن كثير:" ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال :{إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}"[١١].

قال الزجاج:" وقيل إلى الضلال، كما قال عز وجل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر : ٢ - ٣]، وهو - والله أعلم - أن خلق الخلق على الفطرة فمن كفر وضل فهو المردود إلى أسفل السافلين[١٢].

قال الزمخشري:" ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية: أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا، يعني: أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة، وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات"[١٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة، وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الخَرْفَى، الذين ذهبت عقولهم من الهرَم والكِبر، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر وذهاب العقل، وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجا بذلك على مُنكري قُدرته على البعث بعد الموت، ألا ترى أنه يقول: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ}، يعني: بعد هذه الحُجَج. ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين. وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه، مما يعاينونه ويحسُّونه، أو يقرّون به، وإن لم يكونوا له مُحسين. وإذْ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار- التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة- مُنكرين، وكانوا لأهل الهرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلد شاهدين، علم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين، من تصريفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهرَم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخَرَف"[١٤].

قال ابن كثير:" وقال بعضهم :{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، أي : إلى أرذل العمر. رُوي هذا عن ابن عباس، وعكرمة - حتى قال عكرمة : «من جمع القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر». واختار ذلك ابن جرير، ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهَرَم

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٩//٢٤-٥١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٨.
(١٢) معاني القرآن/ ٣٤٣/٥.
(١٣) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٤.

قد يصيبُ بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه، كقوله :{وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [ العصر : ١ - ٣ ]"[١].

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، أي:" لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص"[٢].

وللمفسرين في معنى الاستثناء في هذه الآية، قولان:

أحدهما: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى الخَرَف، وأرْذَل العُمُر وإن عُمِّروا طويلاً، وهذا على القول الأول[٣].

عن عكرِمة، قال: "من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال: لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئا"[٤]." ولا ينزل تلك المنزلة أحد قرأ القرآن وذلك قوله: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، الآية. قال: هم أصحاب القرآن"[٥].

قال ابن عباس: "من قرأ القرآن لم يُردّ إلى أرذل العمر"[٦].

قال ابن عباس:" فأيما رجل كان يعمل عملا صالحا وهو قوي شاب، فعجز عنه، جرى له أجر ذلك العمل حتى يموت"[٧].

قال ابن عباس:" يقول: إذا كان يعمل بطاعة الله في شبيبته كلها، ثم كبر حتى ذهب عقله، كُتب له مثل عمله الصالح، الذي كان يعمل في شبيبته، ولم يُؤاخذ بشيء مما عمل في كبره، وذهاب عقله، من أجل أنه مؤمن، وكان يطيع الله في شبيبته"[٨].

قال ابن عباس:" هم الذين أدركهم الكبر، لا يؤاخذون بعمل عملوه في كبرهم، وهم هَرْمَى لا يعقلون"[٩].

قال عكرمة:" يوفيه الله أجره أو عمله، ولا يؤاخذه إذا رُدّ إلى أرذل العمر"[١٠].

قال عكرمة:" الشيخ الهرم لم يضرّه كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل"[١١].

قال قتادة:" من أدركه الهرم، وكان يعمل صالحا، كان له مثل أجره إذا كان يعمل"[١٢].

قال إبراهيم:" فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر، كُتِبَ له كأحسن ما كان يعمل في شبابه وصحته، فهو قوله: {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}"[١٣].

قال ابن قتيبة: "أي: إلى الهرم، والسافلون: هم: الأطفال والزَّمْنَى والهَرْمَى"[١٤].

وقال ابن قتيبة: المعنى: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، فمَن أدركه الهَرَمُ كان له مثلُ أجره، إذا كان يعملُ"[١٥].

قال ابن الجوزي:" لأنّ الله عزّ وجلّ يعلم أنه لو لم يسلبهم القوَّة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٣) أقصد قول من فسّر {أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، بأرذل العمر.
(٤) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٤-٥١١.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٤٤٨/٢٤.
(٦) نقلا عن: زاد المسير: ٤٦٥/٤.
(٧) أخرجه الطبري ٥١١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري ٥١١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري ٥١٢/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري ٥١٢/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري ٥١٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري ٥١٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري ٥١١/٢٤-٥١٢.
(١٤) غريب القرآن: ٥٣٢-٥٣٣.
(١٥) غريب القرآن: ٥٣٣.

الثاني: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار. وهذا على القول الثاني[٢].

عن مجاهد :"{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إلا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا من آمن"[٣].

عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}: في النار {إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال الحسن: هي كقوله: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}"[٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم، فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، إلى أرذل العمر"[٥].

وفي قوله تعالى:{فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، وجوه:

أحدها : معناه: لهم أجر غير منقوص، قاله ابن عباس[٦]،والسدي[٧]، ومقاتل[٨]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[٩]:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا ترقا

وقول الآخر [١٠]:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةً ... ما فِي عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَف

يعني: أنه ليس فيه نقص، ولا خطأ؟

قال مقاتل:" عني غير منقوص، لا يمن به عليهم، يقول ليس الأجر في الهرم إلا للمؤمنين، وذلك أن المؤمن إذا كبر ومرض كتب له حسناته في كبره وما كان يعمل فى شبابه وصحته لا ينقصه، ولا يمن به عليه، وأما الكافر فإنه إذا شاخ وكبر ختم له بالشرك، ووجبت له النار فيموت والله- تبارك وتعالى- عليه غضبان والملائكة والسموات والأرض"[١١].

الثاني : غير محسوب ، قاله مجاهد[١٢]، وإبراهيم[١٣]، ويحيى بن سلام[١٤].

الثالث : : ليس فيه منّ. أي: لا يمتن به عليهم أحد - سوى الله - منة تكدر النعمة عليهم. قاله الحسن[١٥]، وأبو عبيدة[١٦]، والزجاج[١٧]، والنحاس[١].

---

(١)زاد المسير: ٤٦٥/٤.

(٢) أقصد قول من فسّر {أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، بالنار.

(٣) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤.

(٩) ديوانه: ٤٢.

أراد أن الممدوح فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل. الجياد: الواحد جواد، الذي يجود بما عنده من الجري. الممنون: المقطوع. الترق: الذي يبطئ بعد الجري والذي يعطي ثم يكف.

(١٠)لجرير في ديوانه ص١٧٤؛ ولسان العرب ٣/ ٤٣٧ (هند)، ٤/ ٤١ (بحر)، ٩/ ١٤٩ (سرف)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٨٣؛ وجمهرة اللغة ص٦٨٧؛ ومقاييس اللغة ٣/ ١٥٣، ٦/ ٦٩، والمخصّص ٣/ ٣٥؛ وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٩٨؛ ومجمل اللغة ٣/ ١٣٥؛ وتاج العروس ٩/ ٣٤٨ (هند)، ٢٣/ ٤٢٨ (سرف).

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥١/٤-٧٥٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥١٣/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٤٥٣/١.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.

(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٩٢/٢.

(١٧) انظر: معاني القرآن: ٣٠٦/٥.

وقال الحسن:" غير ممنون عليهم من أذًى"[٢].
وقال عكرمة:" ولا يمن به عليهم"[٣].
قال ابن كثير:" وقال بعضهم :{غَيْرُ مَمْنُونٍ} عليهم، وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائما سرمدًا، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس :{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]"[٤].
الرابع : غير مقطوع ، قاله ابن عباس[٥]، والفراء[٦]، وابن قتيبة[٧]. وعزاه الماوردي لابن عيسى[٨].
قال الفراء:" والعرب تقول: ضعفت منتي عن السفر، ويقال للضعيف: المنين، وهذا من ذلك"[٩].
قال أبو عبيدة:" ويجيء أيضا «مَمْنُونٍ»: مقطوع، والحبل المقطوع: ممنون[١٠].
قال الزجاج:" قال أهل اللغة: «غير ممنون»: غير مقطوع، يقال: منيت الحبل. إذا قطعته"[١١].
الخامس : أجر بغير عمل ، قاله الضحاك[١٢].
وحكي:" أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح"[١٣].
السادس : أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره ، قاله ابن مسعود[١٤].

**القرآن**
**{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)} [التين : ٧]**
التفسير:
أيُّ شيء يحملك -أيها الإنسان- على أن تكذِّب بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟
اختلف في تفسير الآية الكريمة، على ثلاثة أقوال:
أحدها: معناه: فمن يكذّبك يا محمد بعد هذه الحجج التي احتججنا بها، بطاعة الله، وما بعثك به من الحقّ، وأن الله يبعث من في القبور؟. حكاه الطبري[١٥].
الثاني: معناه: فما يكذّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين. وهذا قول مجاهد[١٦]، والكلبي[١٧].

---

(١) انظر: إعراب القرآن: ١١٨/٥.
(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٦ -.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤١٢):ص٣٤٤٩/١٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٨.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.
(٦) انظر: معاني القرآن: ١٧٢/٣-١٧٣.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٢١.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.
(٩) معاني القرآن: ١٧٣/٣.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٩٢/٢.
(١١) معاني القرآن: ٣٠٦/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وتفسير البغوي ٨/ ٤٧٣.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/١٤، رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٥/٨.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/١٤، رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٥/٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/١٤.

قال مقاتل:" يعني: عدي ابن ربيعة { بِالدِّينِ}، يعني: بالبعث بعد الصورة الحسنة والشباب، وبعد الهرم، وفيه نزلت هذه الآية"[١].

قال الكلبي:" إنما يعني: الإنسان، يقول: خلقتك في أحسن تقويم، فما يكذّبك أيها الإنسان بعد بالدين"[٢].

عن منصور قال : "قلت لمجاهد :{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ} عنى به النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَعَاذ الله! عنى به الإنسان"[٣].

قيل لمجاهد -من طريق سفيان-: "{فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ} و {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون: ١] عُني به النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: معاذ الله! إنما عُني بهما الإنسان"[٤].

قال ابن كثير:" {فَمَا يُكَذِّبُكَ} يعني : يا ابن آدم {بَعْدُ بِالدِّينِ} ؟ أي : بالجزاء في المعاد وقد علمت البدأة، وعرفت أن من قدر على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟"[٥].

قال الزمخشري:" هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات، أي: فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل، يعنى أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء، لأنّ كل مكذب بالحق فهو كاذب، فأىّ شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}، والمعنى: أنّ خلق الإنسان من نطفة، وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر: لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق، وأن من قدر من الإنسان على هذا كله: لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع"[٦].

الثالث : إنما عني بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقيل له: استيقن مع ما جاءك من الله من البيان، أن الله أحكم الحاكمين. وهذا قول قتادة[٧].

عن قتادة، قوله: "{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ}، أي: استيقن بعد ما جاءك من الله البيان"[٨].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى«ما» معنى «مَنْ»، ووجه تأويل الكلام إلى: فمن يكذبك يا محمد بعد الذي جاءك من هذا البيان من الله بالدين؟ يعني: بطاعة الله، ومجازاته العباد على أعمالهم. وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية بمعنى: فما الذي يكذّبك بأن الناس يدانون بأعمالهم؟ وكأنه قال: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب، بعد ما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا"[٩].

واختلفوا في تفسير قوله تعالى:{بِالدِّينِ} [التين : ٧]، على قولين:

أحدهما: بالحساب. قاله عكرمة[١٠].

الثاني: بحكم الله. قاله ابن عباس[١١].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الدين في هذا الموضع: الجزاء والحساب، وذلك أن أحد معانى الدين في كلام العرب: الجزاء والحساب؛ ومنه قولهم:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥٢/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٥/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤٥٧ - . وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٨.

(٦) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٩) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

كما تدين تُدان. ولا أعرف من معاني الدين "الحكم" في كلامهم، إلا أن يكون مرادا بذلك: فما يكذّبك بعد بأمر الله الذي حكم به عليك أن تطيعه فيه؟ فيكون ذلك"[١].

**القرآن**

**{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)} [التين : ٨]**

التفسير:

أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس بأحكم الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى. فهل يُترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ لا يصحُّ ذلك ولا يكون.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه، وفصل قضائه بين عباده؟"[٢].

قال ابن كثير: " أي : أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن عَدْله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه "[٣].

قال مقاتل:" على أن يحكم بينك وبين أهل مكة"[٤].

قال السعدي:" فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمون"[٥].

قال الزمخشري:" وعيد للكفار، وأنه يحكم عليهم بما هم أهله"[٦].

عن ابن عباس:" {فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِينَ} إذ بعثك فيهم نبيًّا، وجمعك على التقوى، يا محمد"[٧].

عن سعيد بن جُبير، قال: "كان ابن عباس إذا قرأ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، قال: سبحانك اللهمّ، وبلى"[٨].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»"[٩].

عن معمر، قال: "كان قتادة إذا تلا: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، أحسبه كان يرفع ذلك؛ وإذا قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}؟ قال: بلى، وإذا تلا: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}، قال: آمنت بالله، وبما أنزل"[١٠].

عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ: «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» فقال: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: ٥٠] ، فليقل: آمنا بالله، ومن قرأ: «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ»، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤-٥١٦.
(٢) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٥٢/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٩٢٩.
(٦) الكشاف: ٧٧٤/٤-٧٧٥.
(٧)أخرجه الخطيب ٢/ ٩٧، وابن عساكر ١/ ٢١٤ بسند فيه مجهول.
قال الخطيب: «هذا الحديث بهذا الإسناد باطل لا أصل له يصح فيما نعلم، والرجال المذكورون في إسناده كلهم أئمة مشهورون غير محمد بن بيان، ونرى العلّة من جهته».
(٨) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.
(١١) المسند(٧٣٩١):ص٣٥٣/١٢، إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة.

فوائد السورة الكريمة:
١- بيان منافع التين والزيتون واستحباب غرس هاتين الشجرتين والعناية بهما.
٢- بيان شرف مكة. وحرمها.
٣- بيان فضل الله على الإنسان في خلقه في أحسن صورة وأقوم تعديل.
٤- تقرير فضل الله على الإنسان المسلم وهو أنه يطيل عمره فإذا هرم وخرف كتب له كل ما كان يعمله من الخير ويجانبه من الشر.
٥- مشروعية قول: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»، بعد قراءة «والتين»، إذ كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول ذلك.
**«آخر تفسير سورة (التين)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

وأخرجه الحميدي (٩٩٥) ، وأبو داود (٨٨٧) ، والترمذي (٣٣٤٧) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٤٣٦) ، والبيهقي ٣١٠/٢-٣١١، والبغوي (٦٢٣) من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد. ورواية الترمذي مقتصرة على ما يتعلق بـ (والتين والزيتون) ، وقال: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي، عن أبي هريرة، ولا يسمى.

وأخرج الحاكم ٥١٠/٢ من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، قال: "بلى"، وإذا قرأ: (أليس الله بأحكم الحاكمين) ، قال: "بلى".

ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ أحمد شاكر: أبو اليسع هذا الذي سماه يزيد بن عياض في روايته عن إسماعيل بن أمية عند الحاكم: رجل مجهول قال الذهبي في "الميزان" ٣٨٨/٣، وتبعه الحافظ في "لسان الميزان" ٤٥٤/٦: " لا يدرى من هو! والسند بذلك مضطرب"، فمن عجب بعد ذلك أن يوافق الذهبي على تصحيح الحاكم إياه دون تعقيب!

وفي الباب عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله عنه. أخرجه أبو داود (٨٨٤) ، ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (٦٢٤) عن محمد بن المثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة. وموسى هذا ثقة إلا أنه لم يرو عن أحد من
الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين.

وفيه أيضا عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها (يعني قوله تعالى: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)) ، قال: "سبحانك وبلى". وهذا مرسل

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «العلق»**

«سورة العلق»: هي السورة السادسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، وهى أول ما نزل من القرآن الكريم، وآياتها ثمان عشرة في الشامي، وتسع عشرة في العراقي، وعشرون في الحجازي. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها مائتان وثمانون والمختلف فيها آيتان: {عَلَقٍ} [العلق : ٢]، {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

**١-«سورة العلق»:**

سميت في المصاحف ومعظم التفاسير[٢] «سورة العلق»، لوقوع لفظ «العلق» في أوائلها، قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢].

**٢-سورة «اقرأ باسم ربك»:**

اشتهرت تسمية هذه السورة في عهد الصحابة والتابعين[٣] باسم «سورة اقرأ باسم ربك». وبذلك عنونها الترمذي[٤]. وعنونها البخاري: «سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق»[٥]، وكذلك وردت في بعض كتب التفسير[٦].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

**١-سورة « سورة اقرأ»:**

وتسمى: «سورة اقرأ»، لوقوع هذا للفظ في أول السورة، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]، وبذلك سماها الماتريدي[٧]، ومحمد صديق خان القِنَّوجي[٨]، والسعدي[٩] في تفاسيرهم.

قال ابن عاشور :"وسماها الكواشي في «التخليص» «سورة: اقرأ والعلق»"[١٠].

**٢-سورة « سورة القلم»:**

سميت «سورة القلم»، لوقوع هذا اللفظ في أولها، قال تعالى: {الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، وعنونها بها ابن العربي في "أحكام القرآن"[١١]، وذكرها ابن الجوزي في "زاد المسير"[١٢]، وهذا اسم سميت به: «سورة ن»، لكن ميّزت الأخيرة باسم «ن والقلم».

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " أول ما نزل من القرآن بمكة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[١٣].

عن ابن عباس قال: أول سورة نزلت على محمد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[١٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٩٧/٣، والكشف والبيان: ٢٤٢/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٤٩/١٢، و النكت والعيون: ٣٠٤/٦، والوسيط للواحدي: ٥٢٧/٤، وتفسير السمعاني: ٢٥٥/٦، وتفسير البغوي: ٤٧٤/٨، والكشاف: ٧٧٥/٤، وغيرها.

(٣) كما سياتي في مكان نزول السورة.

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٣/٢.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٣/٦.

(٦) وردت بهذه التسمية في تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٧/٥، وتفسير ابن فورك: ٣٤٥/٣ .

(٧) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٧٥/١٠.

(٨) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٠٧/١٥.

(٩) انظر: تفسير السعدي: ٩٢٩.

(١٠) المحرر الوجيز: ٤٣٣/٣٠.

(١١) انظر: أحكام القرآن: ٣٤٢/٢.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٦٦/٤.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه من طرق.

(١٤) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

عن ابن عباس قال: "أول شيء أنزل من القرآن خمس آيات: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى قوله: {مَا لَمْ يَعْلَم}"[١].

عن الزهري وعمرو بن دينار:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَم}"[٢].

عمرو بن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَم}"[٣].

عن عائشة، قالت: "أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٤].

عن عائشة، قالت: كان أول ما نزل عليه بعد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} {ن والقلم} و {يا أيها المدثر} {والضحى}"[٥].

عن أبي موسى الأشعري قال: كانت {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} أول سورة أنزلت على محمد"[٦].

عن مجاهد قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، ثم {ن والقلم}"[٧].

عن عبيد بن عمير قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ثم «ن»"[٨].

عن ابن شهاب:" حدثني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض علمائهم يقول: "كان أول ما أنزل الله على نبيه {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} إلى: {مَا لَمْ يَعْلَم}، فقالوا: هذا صدرها الذي أنزل يوم حراء ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك ما شاء الله"[٩].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع. وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره، وروي من طريق جابر بن عبد الله أن أول ما نزل: {يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١]، وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل: «أول ما نزل فاتحة الكتاب»، والقول الأول أصح، والترتيب في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك"[١٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنما أنزل عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل"[١١].

قال الماوردي: "وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث ، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال : بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول ، فكان أول ما نزل فيما بلغنا : «اقرأ باسم ربك»، ثم «ن والقلم ، المزمل ، المدثر ، تبّت ، إذا الشمس كورت ، سبّح اسم ربك ، الليل ، الفجر ، الضحى ، ألم نشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، ألهاكم ، أرأيت ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، والشمس ، البروج ، التين ، لإيلاف ، القارعة ، القيامة ، الهُمزة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحى ، يس ، الفرقان ، الملائكة ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن ، حم السجدة ، عسق ،

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى الحاكم.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٦١/٨، وعزاه إلى ابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وصححه.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.
(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل.
(١٠) المحرر الوجيز: ٥/٥-١.
(١١) زاد المسير: ٤٦٦/٤.

الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، إبراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبأ ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين». فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة: «البقرة» ، ثم «الأنفال ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة ، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ، هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون ، المجادلة ، الحجرات ، التحريم ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة ، براءة».

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته"[١].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر هناك خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وذكر هنا خلق الإنسان من علق، إلى أنه ذكر هنا من أحوال الآخرة ما هو كالشرح والبيان لما سلف[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من مقاصد السورة الكريمة:

١- أن الأمر بالقراءة أول ما أمر الله به نبيه الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، حيث يجب على الإنسان أن يبحث عن طريق الله تعالى بالعلم والقراءة.

٢- تشتمل السورة على تعظيم شأن الكتابة أيضًا حيث يبين الله أنه هو من علّم الإنسان بالقلم ما لم يكن يعرفه لولا توفيق الله له.

٣- تعدّ القراءة والكتابة من العناصر الأساسية لقيام الدول والشعوب، فكانت البداية بهما في مستهل الرسالة دليل على قيام حضارة إسلامية متى تمسكت الأمة بالعلم.

٤- تُشير بداية الرسالة بالقراءة والكتابة إلى تكريم الإنسان ومدى علة شأنه عند الله تعالى، فهو الكائن الوحيد الذي منحه الله العقل لكي يقرأ ويتعلم وبالتالي يعرف الصواب من الخطأ.

٥- يجب على الإنسان أن يستعين بالله تعالى عند القراءة حتى يحصل على منافع العلم مع ضرورة صدق النية والإخلاص، لذلك قال الله تعالى "اقرأ باسم ربك" أي مستعينًا به.

٦- على الإنسان أن يُقبل على العلم دون أن يخاف من عدم الفهم، لأنه إذا توكل على الله، أكرمه وفتح عليه، ولذلك اختار الله صفة الكرم في قوله: {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق : ٣].

٧- بيان طغيان الإنسان في الأرض، فإنه بمجرد ما يحصل الإنسان على العلم أو المال، ينسى أن الله تعالى هو الذي منحه هذه النعم، ويستغني بجهله عن خالقه.

٨- من حق الله تعالى على الناس، أن يقابلوا نعم الله عليهم بالشكر، ويحتاج الإنسان إلى التحلي بالإيمان والتقوى حتى لا يطغى، ويكتسب الإنسان هذه الصفات من خلال العلم ومعرفة الله تعالى.

٩- مهما طال بقاء الإنسان في الدنيا، يجب أن يُدرك أنه إلى فناء، وعندما يموت فإنه لا يصير إلى العدم، بل الله تعالى قادر على إعادته كما خلقه ابتداءً.

١٠- يُمكن أن يحتمل المعنى الرجوع إلى الله تعالى في الحياة الدنيا، حيث أن الإنسان مهما بالغ في طغيانه نتيجة ثرائه وعلمه، لكن بمجرد أن يبتليه الله ويُصاب بمرض أو مشكلة، فإنه يرجع مرة أخرى إلى الله.

---

(١) النكت والعيون: ٦/٣١٠-٣١١.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ٣٠/١٩٧.

**دروس مستفادة من سورة العلق:**

**١- قصة أبو جهل مع الرسول:**

أ- لم يؤمن أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم بسبب عناده واستكباره لأن النبي كان من بني عبد مناف وهو من بني مخزوم، فكان حقده سببًا في عدم الدخول في الإسلام.

ب- توعّد أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى عند البيت، وأراد أن يطأ رقبته، فما كان منه إلا أن عاد إلى قومه وهو ينكص على عقبيه لأنه رأى خندقًا من نار بينه وبين الرسول.

ت- يستنكر الله تعالى تصرف أبي جهل مع النبي فيقول: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢)} [العلق : ١١ - ١٢]، أي: أن من تنهاه عن الصلاة هو من يسير على الطريق المستقيمة.

ث- من أبرز فوائد قصة أبو جهل مع الرسول هو أن نُدرك أن الله تعالى يعلم ويرى، ورغم أن القصة كانت مرتبطة بالرسول لكنها جاءت بالتنكير لتدل على تعميمها في كل زمان ومكان.

**٢- التهديد والوعيد لكل من تحدى الله تعالى:**

أ- خلق الله تعالى العباد لكي يُطيعوه، بينما إذا خالف الإنسان ربه وأصر على مخالفته بل وقام أيضًا بإيذاء عباده، فإن الله توعده بالعذاب المهين.

ب- على الإنسان ألا يغتر بصحبته في الدنيا، حيث أن أبا جهل كان له نادٍ يجتمع فيه الناس، ولكن هذا النادي لم يغني عنه من عذاب الله شيئًا حينما أصر على عناده وكفره؛ لأن الله عنده الزبانية التي تأخذ الإنسان بالعذاب.

**٣- التمسك بالرسالة رغم المصاعب**

رغم ما كان يتعرض له النبي من إيذاء المشركين إلا أن الله أمره بالسجود والعبادة ومواصلة الدعوة لأنه منصور بقوة الله.

قال الفيروزآبادي :" ابتداء في جميع الأمور باسم الخالق الرب - تعالى - جلت عظمته، والمنة على الخلق بتعليم الكتابة، والحكمة، والشكاية من أهل الضلالة، وتهديد أهل الكفر والمعصية، وتخويف الأجانب بالعقوبة، وبشارة الساجدين بالقربة، في قوله: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]"[(١)].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[(٢)].

- **فضائل السورة:**

– عن جابر أنه قال: "صلى معاذ بن جبل الأنصاري لأصحابه العشاء. فطول عليهم فانصرف رجل منا. فصلى فأخبر معاذ عنه فقال: إنه منافق فلما بلغ ذلك الرجل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ما قال معاذ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أتريد أن تكون فتانا يا معاذ؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ {الشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَ{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، وَ{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، وَ{اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}»"[(٣)].

– عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فكأنّما قرأ المفصّل كله»[(٤)].[موضوع]

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٣) صحيح مسلم(٤٦٥):ص٣٤٠/١.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٢/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٣٩٦/١٠.[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

**القرآن**

**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق : ١٠٥]**

التفسير:

اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتَتِحًا باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر. اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علَّم خلقه الكتابة بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]، أي:" اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتَتِحًا باسم ربك المتفرد بالخلق"(١).

قال الطبري:" يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك {الَّذِي خَلَقَ}... وقيل: إن هذه أوّل سورة نزلت في القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٢).

قال الفراء:" هذا أول ما أنزل على النبي صلى الله عليه من القرآن"(٣).

قال مجاهد:" أوّل ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، وزاد ابن مهدي: و{ن وَالْقَلَمِ}"(٤).

قال مجاهد:" إن أوّل سورة أُنزلت: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، ثم{ن وَالْقَلَمِ}"(٥).

قال أبو رجاء العُطارديّ: "كنا في المسجد الجامع، ومقرئنا أبو موسى الأشعري، كأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين؛ قال أبو رجاء: عنه أخذت هذه السورة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، وكانت أوّل سورة نزلت على محمد"(٦).

عن عطاء بن يسار، قال: أوّل سورة نزلت من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}"(٧).

عن عمرو بن دينار , قال: سمعت عبيد بن عمير , يقول: " أول سورة أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق: ١]"(٨).

عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، عن بعض علمائهم، أن أول ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] إلى قوله {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] . قالوا: هذا صدرها الذي أنزل عليه يوم حراء، ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك"(٩).

عن الزهري , في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١] قال: فتر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم , فترة وقال: كان أول شيء أنزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق: ١-٢] حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥]، فلما فتر عنه الوحي حزن حزنا, حتى جعل يغدو مرارا إلى رءوس شواهق الجبال ليتبين خلفها, وكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول: «إنك لنبي حقا, فيسكن لذلك جأشه, وترجع إليه نفسه»(١٠).

عمرو بن دينار , والزهري, أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان بحراء إذ أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] إلى قوله: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥]"(١١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٧٨/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٥٢١/٢٤-٥٢٢، وفضائل القرآن للقاسم بن سلم: ٣٦٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٤.
(٨) تفسير عبدالرزاق(٣٦٦٠):ص٤٤٤/٣، وتفسير الطبري: ٥٢٢/٢٤.
(٩) فضئل القرآن للقاسم بن سلام: ٣٦٤.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٣٣٧٦):ص٣٦٠/٣.
(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٩):ص٤٤٤/٣.

عن عروة، عن عائشة أنها قالت :" كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة؛ كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتى فجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله: "فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وأنا قائِمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، حتى ذَهَبَ عنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أتانِي فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيُل وأنْتَ رَسُولُ اللهِ، قال: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أنْ أطْرَحَ نَفسِي مِنْ حالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَمَثَّل إليَّ حِينَ هَمَمْتُ بذلكَ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيلُ، وأنْتَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قالَ: اقْرأ، قُلْتُ: ما أقْرأ؟ قال: فأخَذَنِي فَغطَّنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ قالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فَقَرأتُ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أشْفَقْتُ عَلى نَفْسِي، فأخْبَرْتُها خَبَرِي، فَقالَتْ: أبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ الله أبدًا، وَوَاللهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الأمانَةَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الْحَقّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِي إلى وَرَقَةَ بن نَوْفَل بن أسَدٍ، قالَتْ: اسْمَعْ مِن ابْنِ أخِيكَ، فَسألَنِي، فأخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقالَ: هَذا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزلَ عَلى مُوسَى صَلى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ، لَيْتَنِي فِيها جَذَعٌ، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟ قال: نَعَمْ، إنَّهُ لَمْ يَجِئ رَجُلٌ قَطّ بِمَا جِئْتَ بِهِ، إلا عُودِيَ، وَلَئِنْ أدْرَكَنِي يَوْمُك أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ كانَ أوَّل ما نزلَ عَليَّ مِنَ القُرْآن بَعْدَ: {اقرأ}: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ}، و{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ}، {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}"[1].

قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢]، أي:" الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر"[2].

قال الطبري:" يعني: من الدم"[3].

قوله تعالى:{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق : ٣]، أي:" قرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود"[4].

قال الطبري:" يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم"[5].

قال السعدي:" أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، الذي من كرمه أن علم بالعلم"[6].

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَمُ}، يعني: الحليم عن جهل عباده، فلا يعجل عليهم بالعقوبة"[7].

قوله تعالى:{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، أي:" الذي علَّم خلقه الكتابة بالقلم"[8].

قال الزجاج:" أي: الذي علم الكتابة"[9].

قال الطبري: يعني:" خَلْقَهُ للكتابة والخط"[10].

قال السعدي:" فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم. فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٤، وانظر: المسند (٢٣٢/٦) وصحيح البخاري برقم (٣، ٤، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢، ٤٩٥٥، ٣٣٩٢) وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.

(٦) تفسير السعدي: ٩٣٠.

(٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٤٥، وتفسير البغوي ٨/ ٤٧٩.

(٨) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٩) معاني القرآن: ٣٤٥/٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.

على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور، ثم من عليهم بالغنى وسعة الرزق"[١].

عن قتادة: "{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، قرأ حتى بلغ: {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}، قال: القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش"[٢].

قوله تعالى:{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق : ٥]، أي:" علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم"[٣].

قال الطبري:" علَّم الإنسان الخطّ بالقلم، ولم يكن يَعْلَمُهُ، مع أشياء غير ذلك، مما علمه ولم يكن يعلمه"[٤].

عن قتادة: "{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، قال: الخط"[٥].

قال ابن زيد:" علَّم الإنسان خطا بالقلم"[٦].

قال ابن كثير:" فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كَرَمه تعالى أن عَلّم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال :{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، وفي الأثر : «قيدوا العلم بالكتابة»[٧]. وفيه أيضا : «من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن يعلم»"[٨].

عن عبد الله بن عمرو، قال: "قلتُ: يا نبي الله، أكتب ما أسمع منك مِن الحديث؟ قال: «نعم، فاكتب، فإنّ الله علَّم بالقلم»"[٩].

عن علي-رضي الله عنه-، أنه قال:" يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالستهم تلك إلى الله"[١٠].

عن الزُّهريّ، وعمرو بن دينار: أنّ النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان بحراء، إذ أتاه ملك بنَمَط من ديباج، فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى: {ما لَمْ يَعْلَمْ}"[١١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٣٠.
(٢) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٤) تفسير الطبري: ٥٢٢/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤١٦):ص٣٤٥٠/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢٤.
(٧)جاء عن عمر - رضي الله عنه - موقوفا، رواه الحاكم في المستدرك (١٠٦/١) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٩/٩) والدارمي في السنن برقم (٥٠٣). وعن أنس موقوفا، رواه الحاكم في المستدرك (١٠٦/١) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٣٦٨)، وجاء مرفوعا من حديث أنس، رواه الخطيب في تقييد العلم (ص ٧٠) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٣٦٨). ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الحاكم في المستدرك (١٠٦/١) وابن عبد البر في جمع بيان العلم (٧٣/١) والموقوف أصح.
(٨) تفسير ابن كثير:٨/ ٤٣٧.
(٩)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٤٥، من طريق محمد بن أيوب بن هشام المزني، عن أبي الحسن عاصم بن علي بن عاصم، وعبد الله بن عاصم الجماني، عن محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.
وأخرجه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين ٢/ ٣٧، من طريقه إلا أنه قال: «عن عاصم بن علي بن عاصم وحده».
(١٠)أخرجه الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٨٩/١، رقم ٣١) ، وابن عساكر (٥٠٩/٤٢).
(١١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عن ثوبان، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم، أعِزّ الإسلام بعمر بن الخطاب». وقد ضرب أخته أول الليل وهي تقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حتى ظنّ أنه قتلها، ثم قام من السَّحَر، فسمع صوتها تقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}. فقال: واللهِ، ما هذا بشعرٍ ولا همهمة. فذهب حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فوجد بلالًا على الباب، فدفع الباب، فقال بلال: مَن هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقال: حتى أستأذن لك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فقال بلال: يا رسول الله، عمر بالباب. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن يُرد الله بعمر خيرًا أدخَله في الدين». فقال لبلال: «افتح» وأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بضَبْعَيه، فهَزّه، فقال: «ما الذي تريد؟ وما الذي جئتَ له؟». فقال عمر: اعرِض عليّ الذي تدعو إليه. قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله». فأسلم عمر مكانه، وقال: «اخرج»"[1].

فوائد الآيات: [١-٥]:

١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات النبوة المحمدية.

٢- مشروعية ابتداء القراءة بذكر اسم الله ولذا افتتحت سور القرآن ما عدا التوبة ببسم الله الرحمن الرحيم.

٣- بيان تطور النطفة في الرحم إلى علقة ومنها يتخلق الإنسان.

٤- اعظام شأن الله تعالى وعظم كرمه فلا أحد يعادله في الكرم.

٥- التنويه بشأن الكتابة والخط بالقلم إذ المعارف والعلوم لم تدون إلا بالكتابة والقلم.

٦- بيان فضل الله تعالى على الإنسان في تعليمه ما لم يكن يعلم بواسطة الكتابة والخط.

**القرآن**

**{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨)} [العلق : ٦-٨]**

التفسير:

حقًا أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى، فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كلَّ إنسان بعمله.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦-٧]، أي:" حقًا أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى"[2].

قال ابن قتيبة:" أي: يَطغى أنْ رأى نفسَه استغنَى"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن يُنْعِم عليه ربُّه بتسويته خَلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كُفءَ له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك، ويطغى عليه، لأن رأى نفسه استغنت"[4].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"[5].

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغى أنْ رَآهُ اسْتَغْنى}، يعني: يرتفع مِن منزلة إلى منزلة"[6].

عن السدي: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى}، قال: " ليرتفع من منزلة إلى منزلة"[1].

---

(١)أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ٩٧ (١٤٢٨).

قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٦٢ (١٤٤٠٨): «فيه يزيد بن ربيعة الرحبي، وهو متروك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. وبقية رجاله ثقات».

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣) غريب القرآن: ٥٣٤.

(٤) تفسير الطبري: ٥٢٢/٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير:٨/ ٤٣٧.

(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٧ -.

عن ابن عباس:" {أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}، أي: عن ربه"[٢].

قال الحسن: "{كَلَّا} معناها: حقًّا"[٣].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٤].

قال ابن عطية:" {كَلَّا}: هي ردّ على أقوال أبي جهل وأفعاله، ويتجه أن تكون بمعنى: حقا، فهي تثبيت لما بعدها من القول، والطغيان: تجاوز الحدود الجميلة، والغني: مطغ إلا من عصم الله والضمير في رَآهُ للإنسان المذكور، كأنه قال: أن رأى نفسه غنيا، وهي رؤية قلب تقرب من العلم"[٥].

قال السعدي:" ولكن الإنسان -لجهله وظلمه- إذا رأى نفسه غنيًا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى"[٦].

رُوي هذا مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "منهومان لا يشبعان : طالب علم، وطالب دنيا"[٧].

عن عون قال : قال عبد الله : منهومان لا يشبعان: صاحب علم وصاحب دنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨]، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦-٧] والله أعلم "[٨].

عن أبي هريرة -من طريق أبي حازم- قال: "{كَلَّا إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى}، يعني: أبا جهل"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [العلق : ٦]، أي:" فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كلَّ إنسان بعمله"[١٠].

عن الضحاك :{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، قال: " المنتهى"[١١].

قال أبو عبيدة:" {الرُّجْعى}: المرجع، والرجوع"[١٢].

قال ابن عطية:" {الرُّجْعى}، أي: الحشر والبعث يوم القيامة"[١٣].

قال الطبري:" يقول: إن إلى ربك يا محمد مَرْجِعَه، فذائق من أليم عقابه ما لا قبل له به"[١٤].

قال ابن كثير:" ثم تَهدده وتوعده ووعظه فقال :{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، أي : إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك : من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟"[١٥].

قال السعدي:" ونسي أن إلى ربه الرجعى، ولم يخف الجزاء"[١٦].

---

(١) النكت والعيون: ٣٠٦/٦.

(٢) النكت والعيون: ٣٠٦/٦.

(٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٧ -.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.

(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٢/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٩٣٠.

(٧)رواه الحاكم في المستدرك (٩٢/١) من طريق قتادة، عن أنس به مرفوعا، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/١٠) من طريق زيد بن وهب، عن ابن مسعود به مرفوعا، وفي إسناده ضعيف.

(٨) رواه ابن أبي حاتم(١٩٤١٧):ص٣٤٥٠/١٠، وكما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٧/٨-٤٣٨.

(٩)أخرجه أحمد ١٤/ ٤٢٥ (٨٨٣١)، ومسلم (٢٧٩٧/ ٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٦٨٣)، وأبو نعيم في الدلائل (١٥٨)، والبيهقي في الدلائل ٢/ ١٨٩. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(١١) النكت والعيون: ٣٠٦/٦.

(١٢) مجاز القرآن: ٣٠٤/٢.

(١٣) المحرر الوجيز: ٥٠٢/٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٢٢/٢٤-٥٢٣.

(١٥) تفسير ابن كثير:٨/ ٤٣٧.

(١٦) تفسير السعدي: ٩٣٠.

**القرآن**

**{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢)} [العلق : ٩-١٢]**

التفسير:

أرأيت أعجب مِن طغيان هذا الرجل وهو أبو جهل، الذي ينهى عبدًا لنا إذا صلَّى لربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟ أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إن كان آمرًا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: كان رسول صلى الله عليه وسلم يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} إلى قوله: {كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}"[١].

عن أبي هريرة -من طريق أبي حازم- قال: "قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمد وجهه إلا بين أظهركم؟ قالوا: نعم. فقال: واللاتِ والعُزّى، لئِن رأيتُه يُصلّي كذلك لَأطَأنّ على رقبته، ولأُعفِّرنّ وجهه في التراب. فأتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُصلّي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو يَنكِص على عَقِبيه، ويتّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إنّ بيني وبينه خندقًا مِن نار، وهَوْلًا، وأجنحة. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا». قال: وأنزل الله: {كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} إلى آخر السورة"[٢].

عن قتادة، في قوله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إذا صَلَّى}، قال: "نزلت في عدوّ الله أبي جهل، وذلك أنه قال: لئن رأيتُ محمدًا يُصلّي لأطأنّ على عنقه. فأنزل الله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إذا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الهُدى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى}، قال: محمدًا"[٣].

عن الربيع بن أنس، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُصلّي، فلما سجد جاءه أبو جهل، فوطئ عنقه؛ فأنزل الله فيه: {أرأيت الذي ينهي عبدًا إذا صلى} أبو جهل، {أرأيت إن كان على الهدى} محمدًا، {أرأيت إن كذب وتولى} أبو جهل، {كلا لئن لم يتنه} أبو جهل، {سندع الزبانية} قال: هم تسعة عشر؛ خزنة النار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واللهِ، لئن عاد لتأخذنّه الزَّبانية». فانتهى، فلم يَعُد"[٤].

قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [العلق : ٩-١٠]، أي:" أرأيت أعجب مِن طغيان هذا الرجل وهو أبو جهل، الذي ينهى عبدًا لنا إذا صلَّى لربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟"[٥].

قال الزمخشري:" معناه: أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته"[٦].

قال ابن كثير:" نزلت في أبي جهل، لعنه الله، توعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت"[٧].

قال الطبري:" ذُكر أن هذه الآية وما بعدها نزلت في أبي جهل بن هشام، وذلك أنه قال فيما بلغنا: لئن رأيت محمدا يصلي، لأطأنّ رقبته؛ وكان فيما ذُكر قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أرأيت يا محمد أبا جهل الذي

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.

(٢)أخرجه مسلم ٤/ ٢١٥٤ (٢٧٩٧)، والطبري ٢٤/ ٥٢٣، والثعلبي ١٠/ ٢٤٦.

(٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤، وابن جرير ٢٤/ ٥٢٣، وبنحوه من طريق سعيد. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٦) الكشاف: ٧٧٧/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.

يَنْهاك أن تصلي عند المقام، وهو مُعرض عن الحقّ، مكذّب به. يُعجِّب جلّ ثناؤه نبيه والمؤمنين من جهل أبي جهل، وجراءته على ربه، في نهيه محمدا عن الصلاة لربه، وهو مع أياديه عنده مكذّب به"[١].

قال السعدي:" ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان. يقول الله لهذا المتمرد العاتي: {أَرَأَيْتَ} أيها الناهي للعبد إذا صلى {إِنْ كَانَ} العبد المصلي {عَلَى الْهُدَى} العلم بالحق والعمل به"[٢].

قال ابن عطية:" ثم صرح بذكر الناهي لمحمد عليه السلام، ولم يختلف أحد من المفسرين في أن الناهي: أبو جهل، وأن العبد المصلي محمد صلى الله عليه وسلم"[٣].

عن مجاهد: "{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى}، قال: أبو جهل، يَنْهي محمدا صلى الله عليه وسلم إذا صلى"[٤].

عن الربيع ، قال: "{أرأيت الذي ينهي عبدًا إذا صلى} أبو جهل"[٥].

قال قتادة:" نزلت في عدوّ الله أبي جهل، وذلك لأنه قال: لئن رأيت محمدا يصلي لأطأنّ على عنقه، فأنزل الله ما تسمعون"[٦].

عن قتادة:" قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي، لأطأنّ على عنقه؛ قال: وكان يقال: لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل"[٧].

عن العباس بن عبد المُطَّلب، قال: "كنت يومًا في المسجد، فأقبل أبو جهل، فقال: إنّ لله عليّ إن رأيتُ محمدًا ساجدًا لأطأنّ على رقبته. فخرجتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى دخلتُ عليه، فأخبرتُه بقول أبي جهل، فخرج غضبان حتى جاء المسجد، فعجل أن يدخل مِن الباب، فاقتحم الحائط، فقلتُ: هذا يوم شرٍّ. فأتَزَرْتُ، ثم تبعتُه، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فلما بلغ شأن أبي جهل: {كَلَّا إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى} قال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم، هذا محمد. فقال: ألا ترون ما أرى؟! واللهِ، لقد سُدّ أُفُق السماء عليَّ. فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخر السورة سجد"[٨].

قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى} [العلق : ١١]، أي:" أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟"[٩].

عن الربيع بن أنس، قال: "{أرأيت إن كان على الهدى} محمدًا"[١٠]. وروي عن قتادة نحوه[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ} محمد على استقامة وسَدَاد في صلاته لربه"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٤.
(٢) تفسير السعدي: ٩٣٠.
(٣) المحرر الوجيز: ٥٠٢/٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.
(٥)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.
(٨)أخرجه البزار (١٣٢٤)، والطبراني في الأوسط (٨٦٩١)، والحاكم ٣/ ٣٢٥، وابن مردويه -كما في فتح الباري ٨/ ٧٢٤ - ، والبيهقي في الدلائل ٢/ ١٩١. وعزاه السيوطي إلى أبي نعيم.
صححه الحاكم. وتعقب الذهبي الحاكم بقوله: «فيه عبد الله بن صالح، وليس بعمدة، وإسحاق بن أبي فروة، وهو متروك». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٧: «فيه إسحاق بن أبي فروة، وهو متروك».
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(١٠)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤. وسوف يأتي في تفسير الآية التالية.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٤.

قال الزمخشري:" إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله"[١].

قال ابن كثير:" فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال :{أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى}، أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله"[٢].

قوله تعالى:{أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى} [العلق : ١٢]، أي:" أو إن كان آمرًا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟"[٣].

قال مقاتل:" {أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى}، يعني: بالإخلاص"[٤].

قال الطبري:" أو أمر محمد هذا الذي ينهي عن الصلاة، باتقاء الله، وخوف عقابه"[٥].

قال الزمخشري:" أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما بأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد"[٦].

قال ابن كثير:" أو {أَمَرَ بِالتَّقْوَى} بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته"[٧].

قال القرطبي:" أي: أرأيت يا أبا جهل إن كان محمد على هذه الصفة، أليس ناهيه عن التقوى والصلاة هالكا؟!"[٨].

قال السعدي:" فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟ أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى"[٩].

عن قتادة، قوله: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى}، قال محمد: كان على الهدى، وأمر بالتقوى"[١٠].

**القرآن**

**{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)} [العلق : ١٣-١٩]**

التفسير:

أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يُدعى إليه، وأعرض عنه، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟ ليس الأمر كما يزعم أبو جهل، لئن لم يرجع هذا عن شقاقه وأذاه لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا، ويُطرح في النار، ناصيته ناصية كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها، فكأن الكذب والخطأ باديان منها. فليُحْضِر هذا الطاغية أهل ناديه الذين يستنصر بهم، سندعو ملائكة العذاب. ليس الأمر على ما يظن أبو جهل، إنه لن ينالك -أيها الرسول- بسوء، فلا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة، واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته.

قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [العلق : ١٣]، أي:" أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يُدعى إليه، وأعرض عنه"[١١].

---

(١) الكشاف: ٧٧٧/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٤)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٧٦٣.
(٥) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٤.
(٦) الكشاف: ٧٧٧/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(٨) تفسير القرطبي: ١٢٤/٢٠.
(٩) تفسير السعدي: ٩٣٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٩٨.

قال السعدي:" {أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ} الناهي بالحق {وَتَوَلَّى} عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟"[١].

قال القرطبي:" يعني: أبا جهل كذب بكتاب الله عز وجل، وأعرض عن الإيمان"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ} أبو جهل بالحق الذي بعث به محمدًا، وأدبر عنه، فلم يصدّق به"[٣].

قال الزمخشري:" وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح، كما نقول نحن"[٤].

قال ابن عطية:" يعني: الإنسان الذي ينهى"[٥].

عن قتادة: "{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، يعني: أبا جهل"[٦]. وروي عن الربيع بن أنس مثله[٧].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق : ١٤]، أي:" ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه، والصلاة له، بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه"[٩].

قال الزمخشري: أي:" يطلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء"[١١].

قال القرطبي:" أي: يراه ويعلم فعله، فهو تقرير وتوبيخ"[١٢].

قوله تعالى:{كَلَّا} [العلق : ١٥]، أي:" ليس الأمر كما يزعم أبو جهل"[١٣].

قال الطبري:" يقول: ليس كما قال: إنه يطأ عنق محمد، يقول: لا يقدر على ذلك، ولا يصل إليه"[١٤].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[١٥].

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق : ١٥]، أي:" لئن لم يرجع هذا عن شقاقه وأذاه لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا، ويُطرح في النار"[١٦].

عن الربيع بن أنس:" {كلا لئن لم يتنه} أبو جهل"[١٧].

عن ابن عباس:" {لَنَسْفَعًا}، قال: لنأخذنّ"[١٨] . وروي عن عكرمة مثله[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٣٠.
(٢) تفسير القرطبي: ١٢٤/٢٠.
(٣) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٤.
(٤) الكشاف: ٧٧٧/٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٢/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤.
(٧)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٩) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٤.
(١٠) الكشاف: ٧٧٨/٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٢٤/٢٠.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١٧)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(١٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

وفي قوله تعالى:{لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق : ١٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: لنأخذن بناصيته، قاله ابن عباس[٢]، وبه قال الفراء[٣]، وابن قتيبة[٤]، والطبري[٥]، وهو عند العرب أبلغ في الاستذلال والهوان ، ومنه قول الخنساء[٦]:
جززنا نواصي فرسانهم ... وكانوا يظنّون أنْ لن تُجَزَّا
عن ابن عباس:"{لَنَسْفَعًا}، قَالَ: لَنَأْخُذَنَّ مِثْلَهُ"[٧].
قال الحسن: "السفع: الأخذ"[٨].
قال ابن قتيبة:" أي لَنَأْخُذَنَّ بها. يقال: اسْفَعْ بيدِه؛ أي خُذْ بيده"[٩].
قال الطبري:" يقول: لئن لم ينته أبو جهل عن محمد، لنأخذنّ بمقدم رأسه، فلنضمنه ولنُذلنه"[١٠].
قال الفراء:" ناصيته: مقدم رأسه، أي: لنهصرنها، لنأخذن بها لنقمئنه ولنذلنه، ويقال: لنأخذن بالناصية إلى النار، كما قال جل وعز: {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن : ٤١]، فيلقون في النار"[١١].
قال الزجاج:" أي: لنجرن ناصيته إلى النار، يقال: سفعت بالشيء إذا اقبضت عليه وجذبته جذبا شديدا"[١٢].
الثاني : معناه: تسويد الوجوه، وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء، مأخوذ من قولهم: قد سفعته النار أو الشمس إذا. غيرت وجهه إلى حالة تشويه، حكاه الفراء[١٣]، واختاره ابن كثير[١٤]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[١٥]:
أثافيَّ سُفْعاً مُعَرَّس مِرَجلٍ ... ونُؤْياً كجِذم الحوض لم يَتَثَلَّمِ
قال ابن كثير:" أي : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد {لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ}، أي : لنَسمنَّها سوادا يوم القيامة"[١٦].
قال الفراء:" ويقال: لنسودن وجهه، فكفت الناصية من الوجه لأنها في مقدم الوجه"[١٧].
والناصية:" شعر مقدم الرأس ، وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان، كما يقال: هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان"[١].

---

(١)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٢٢):ص٣٤٥٥١/١٠.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٧٩/٣.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٣٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٤.
(٦) انظر: الكامل في اللغة والأدب: ٥١/٤، ونهاية الإرب في الفنون والأدب: ١٢٣/٣، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٤٦٥/١.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٢):ص٣٤٥٥١/١٠.
(٨) التفسير البسيط للواحدي: ١٧٨/٢٤.
(٩) غريب القرآن: ٥٣٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٧٩/٣.
(١٢) معاني القرآن: ٣٤٥/٥.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٧٩/٣.
(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(١٥) ديوانه: ٧، والمعلقات التسع: ١٨٤.
المرجل: قدر يطبخ فيها، ومعرس المرجل: حيث يقام فيه، من التعريس: وهو النزول والإقامة، وسفع جمع أسفع: والسفعة: سواد تخالطه حمرة، من أثر النار ودخانها. والنؤي: ما يقام من الحجارة حول الخباء حتى لا يدخله ماء المطر. وجذم الحوض: حرفه وأصله. يعني: النؤي قد ذهب أعلاه وبقى أصله لم يتحطم، كبقايا الحوض. يقول: عرفت الدار بهذه الآثار، قبله: "فلأيا عرفت الدار بعد توهم"، "ونصب"أثافي" بقوله: "توهم".
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(١٧) معاني القرآن: ٢٧٩/٣.

وفي قراءة عبد الله: «كلا لئن لم ينته لأسفعا بالناصية»[٢].

قوله تعالى:{نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [العلق : ١٦]، أي:" ناصيته ناصية كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها، فكأن الكذب والخطأ باديان منها"[٣].

قال الكلبي: "كاذبة على الله مشركة"[٤].

قال الطبري:" وصف الناصية بالكذب والخطيئة، والمعنى لصاحبها"[٥].

قال الزجاج:" بناصية صاحبها كاذب خاطئ، كما يقال: فلان نهاره صائم وليله قائم، المعنى هو صائم في نهاره وقائم في ليله"[٦].

قال ابن كثير:" يعني : ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعَالها"[٧].

قال الزمخشري: " وصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى. وهما في الحقيقة لصاحبها. وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطئ"[٨].

قوله تعالى:{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} [العلق : ١٧-١٨]، أي:" فليُحْضِر هذا الطاغية أهل ناديه الذين يستنصر بهم، سندعو ملائكة العذاب"[٩].

قال ابن كثير: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، أي : قومه وعشيرته، أي : ليدعهم يستنصر بهم، {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلبُ : أحزبُنا أو حزبه"[١٠].

قال السعدي:" {فَلْيَدْعُ} هذا الذي حق عليه العقاب {نَادِيَهُ} أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟"[١١].

قال الزجاج:" معناه: فليدع أهل ناديه، وهم أهل مجلسه، وكانوا عشيرته أي فليستنصر بهم، والزبانية: الغلاظ الشداد، واحدهم زبنية، وهم ههنا الملائكة، قال الله: عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} [التحريم : ٦] وهم الزبانية"[١٢].

قال الطبري:" وإنما قيل ذلك فيما بلغنا، لأن أبا جهل لما نهى النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند المقام، انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغلظ له، فقال أبو جهل: علام يتوعدني محمد وأنا أكثر أهل الوادي ناديا؟ فقال الله جلّ ثناؤه: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ}، فليدع حينئذ ناديه، فإنه إن دعا ناديه، دعونا الزبانية"[١٣].

قال الفراء:{ نَادِيَهُ}: " قومه، والعرب تقول: النادي يشهدون عليك، والمجلس، يجعلون: النادي، والمجلس، والمشهد، والشاهد- القوم قوم الرجل، قال ذو الرمة[١٤]:

---

(١) النكت والعيون: ٣٠٨/٦.
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٠/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤) التفسر البسيط للواحدي: ١٧٨/٢٤.
(٥) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٤٥/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(٨) الكشاف: ٧٧٨/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٩٣٠.
(١٢) معاني القرآن: ٣٤٦/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٤.
(١٤) ديوانه ص ١٢٣٥، ولسان العرب (سوا) ، وأساس البلاغة (جلس) ، وبلا نسبة في لسان العرب (جلس) ، وتاج العروس (جلس) ، (سوا).
ونسبه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ١٢٧ لجرير ولم أجده في ديوانه.
صهب: جمع أصهب. أحمر. والسبال: الشعر الذي عن يمين الشفة العليا وشمالها.

لهم مجلس صهب السبال أذلة ... سواسية أحرارها وعبيدها
أي: هم سواء"[1].
قال ابن قتيبة:" {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} أهلَ ناديهِ؛ أي يَنتصِرْ بهم. و «النادي»: المجلسُ. يريد: قومَه"[2].
عن ابن عباس: "{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، يقول: فليدع ناصره"[3].
قال مجاهد: يعني: " عشيرته، يعني: أبا جهل"[4].
قال قتادة:" قومه حيه"[5].
قال الأخفش:" {نادِيَهُ} -ها هنا-: عشيرته وإنما هم أهل النادي والنادي مكانه ومجلسه"[6].
قال الزمخشري: " النادي: المجلس الذي ينتدى فيه القوم. أي: يجتمعون. والمراد: أهل النادي"[7].
عن مجاهد، وقتادة: "{سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة}، قال: الملائكة"[8].
قال قتادة:" الزَّبَانِيَةُ -في كلام العرب- : الشُّرَطُ"[9].
عن الربيع بن أنس، قال: "{سندع الزبانية}، قال: هم تسعة عشر خزنة النار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واللهِ، لَئِن عاد لتأخذنّه الزبانية». فانتهى، فلم يَعُد"[10].
قال أبو عبيدة:" {الزَّبَانِيَةَ}: واحدهم: «زبنيّة»، وكل متمرّد من إنس أو جانّ يقال: فلان زبنية عفريّة"[11].
قال عبد الله بن أبي الهذيل: "«الزبانية»: أرجلهم في الأرض، ورءوسهم في السماء"[12].
عن قتادة:" قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ لأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ المَلائِكَةُ عِيانًا»"[13].
قال ابن عباس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام، فمرّ به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ وتوعَّده، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهره، فقال: يا محمد بأيّ شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا، فأنزل الله: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}، قال ابن عباس: لو دعا ناديه، أخذته زبانية العذاب من ساعته""[14].
قال ابن عباس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} ... إلى قوله: {كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}، فقال: لقد علم أني أكثر هذا الوادي نَادِيا، فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فتكلم بشيء، قال داود: ولم

---

(١) معاني القرآن: ٢٧٩/٣.
(٢) غريب القرآن: ٥٣٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩.
(٥) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٧):ص٤٤٣/٣.
(٦) معاني القرآن: ٥٨٢/٢.
(٧) الكشاف: ٧٧٨/٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(٩) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٨):ص٤٤٤/٣.
(١٠)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(١١) مجاز القرآن: ٣٠٤/٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢٤.

أحفظه، فأنزل الله: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}، فقال ابن عباس: فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه"[١].

عن ابن عباس، قال: "قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه، فأنزل الله: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} حتى بلغ هذه الآية: {لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}، فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فقيل له: ما يمنعك؟ قال: "قد اسودّ ما بيني وبينه من الكتائب" ... قال ابن عباس: والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه"[٢].

عن أبي هريرة، قال: "قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم، قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك، لأطأنّ على رقبته، لأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عَقبيه، ويتقي بيديه؛ قال: فقيل له: مالك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خَنْدقا من نار، وهَوْلا وأجنحة؛ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ دَنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا" قال: وأنزل الله، لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا {كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، يعني: أبا جهل، {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، يدعو قومه {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} الملائكة، {كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}"[٣].

وفي قراءة عبد الله: «فليدع إلي ناديه فسأدعو الزبانية»[٤].

قوله تعالى:{كَلَّا} [العلق : ١٩]، أي:" ليس الأمر على ما يظن أبو جهل"[٥].

قال الزمخشري: " {كَلَّا}: ردع لأبى جهل"[٦].

قال الزجاج:" أي: ليس الأمر على ما عليه أبوجهل"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يقول أبو جهل، إذ ينهي محمدًا عن عبادة ربه، والصلاة له"[٨].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٩].

قوله تعالى:{لَا تُطِعْهُ} [العلق : ١٩]، أي:" إنه لن ينالك -أيها الرسول- بسوء، فلا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة"[١٠].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تُطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك"[١١].

قال الزمخشري: " أي: اثبت على ما أنت عليه من عصيانه، كقوله: {فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}"[١٢].

قال ابن كثير: يعني : يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصلِّ حيث شئت ولا تباله ؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس "[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٤.
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٠/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٦) الكشاف: ٧٧٩/٤.
(٧) معاني القرآن: ٣٤٦/٥.
(٨) تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١١) تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(١٢) الكشاف: ٧٧٩/٤.

قال السعدي:" أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين"[٢].

قوله تعالى:{وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]، أي:" واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته"[٣].

قال الطبري: يقول :" {وَاسْجُدْ} لِرَبّكَ، {وَاقْتَرِبَ} منه، بالتحبب إليه بطاعته، فإن أبا جهل لن يقدر على ضرّك، ونحن نمنعك منه"[٤].

قال الزمخشري: " {وَاسْجُدْ} ودم على سجودك، يريد: الصلاة، {وَاقْتَرِبْ} وتقرّب إلى ربك"[٥].

قال الزجاج:" أي: وتقرب إلى ربك بالطاعة"[٦].

قال السعدي:" {وَاسْجُدْ} لربك {وَاقْتَرِبْ} منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه. وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، وعبث به وآذاه"[٧].

وروي عن زيد بن أسلم، قال: "{وَاسْجُدْ}: أنت يا محمد. {وَاقْتَرِبَ}: أنت يا أبا جهل، يتوعده"[٨].

عن مجاهد:" قال: "أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، ألا تسمعونه يقول: {واسْجُدْ واقْتَرِبْ}؟!"[٩].

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"[١٠].

عن قتادة: "{كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، ذكر لنا أنها نزلت في أبي جهل، قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنّ عنقه، فأنزل الله: {كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه الذي قال أبو جهل، قال: «لو فعل لاختطفته الزبانية»"[١١].

فوائد الآيات: [٦-١٩]:

١- بيان طبع الإنسان إذا لم يهذب بالإيمان والتقوى.

٢- نصرة الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالملائكة عيانا في المسجد الحرام.

٣- تسجيل لعنة الله على فرعون الأمة أبي جهل وأنه كان أظلم قريش لرسول الله وأصحابه.

٤- مشروعية السجود عند تلاوة هذه السورة إذا قرأ: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب} [العلق : ١٩]، شرع له السجود[١٢] إلا أن يكون يصلي بجماعة في الصلاة السرية فلا يسجد لئلا يفتنهم.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٨.

(٢) تفسير السعدي: ٩٣٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤) تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٤.

(٥) الكشاف: ٧٧٩/٤.

(٦) معاني القرآن: ٣٤٦/٥.

(٧) تفسير السعدي: ٩٣٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٣):ص٣٤٥٥١/١٠.

(٩)أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ٢٧٨، وفي كتاب الأم ٢/ ٢٦٤، وعبد الرزاق ٢/ ٣٨٥. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر. وزاد الشافعي في آخره: يعني افعل، واقرب.

(١٠)صحيح مسلم برقم (٤٨٢).

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.

(١٢)ورد في الذكر حال السجود أن الساجد يقول: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»[صحيح مسلم(٧٧١):ص٥٣٤/١]. «اللهم اكتب لي بها عندك أجرا، وضع عني بها وزرا، واجعلها لي عندك ذخرا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود». [سنن الترمذي(٥٧٩):ص٤٧٢/٢]

اللهم اكتب لي بها أجراً وامح عني بها وزراً وارفع لي بها ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود».

**«آخر تفسير سورة (العلق)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «القدر»**

«سورة القدر»: هي السورة السابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة عبس»، آياتها ست في عد الشام، وخمس عند الباقين؛ وكلماتها ثلاثون. وحروفها مائة واثنتا عشرة. المختلف فيها آية: {الْقَدْرِ} [القدر : ٣] الثالث. فواصل آياتها على «الراء»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسمها التوقيفي: «سورة القدر»:**

سميت هذه السورة في المصاحف، وكتب التفسير[٢]، وكتب السنة[٣]: «سورة القدر»، ووجه تسميتها سورة القدر، لتكرار ذكره فيها، وهي تسمية لها بصفة ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)} [القدر : ١]، أي: في ليلة عظيمة الشرف، ولم يقع هذا اللفظ في فيرها من سور القرآن الكريم.

- **ثانيا:-اسمها الاجتهادي: سورة «إنا أنزلناه في ليلة القدر»**

وهي تسمية بأول آية فيها، كما ورد عن بعض الصحابة-رضوا الله عليهم أجمعين-[٤]، وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين[٥]. كما ترجم لها الحاكم[٦] باسم: «إنا أنزلناه»، باقتصار على مفتتحها.

وسماها النحاس[٧]، وأبو بكر الجصاص[٨]، «سورة ليلة القدر». ولم يثبت هذا بالتوقيف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة، قالته عائشة[٩]، ورواه نوفل ابن أبي عقرب عن ابن عباس[١٠]، ورواه شيبان عن قتادة[١١]. وحكاه الماوردي عن الأكثرين[١٢].

قال ابن عباس:" نزلت سورة {إنا أنزلناه في ليلة القدر} بمكة"[١٣]. وروي عن عائشة مثله[١٤].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[١٥]، والضحاك[١٦]، وحكاه الثعلبي[١٧]، وأبو حيان عن الأكثرين[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٢٩/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٥٨٣/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠١/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٠/٣، والكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والنكت والعيون: ٣١١/٦، وتفسير السمعاني: ٢٦٠/٦، وتفسير البغوي: ٤٨٢/٨، والكشاف: ٧٨٠/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٢٨/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٢٩/٢٠، وغيرها.

(٣) انظر مثلا: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٠/١٠، .

(٤) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٥) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٤٩/٥.

(٦) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٧٨/٢.

(٧) انظر: إعراب القرآن: ١٦٥/٥.

(٨) انظر: أحكام القرآن: ١٦٥/٥.

(٩) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والمحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.

(١٢) النكت والعيون: ٣١١/٦.

(١٣) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣١١/٦، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.

قال علي بن الحسين بن واقد: "هي أوّل سورة نزلت بالمدينة"[٢].

قال أبو حيان:" هذه السورة مدنية في قول الأكثر. وحكى الماوردي عكسه. وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

مناسبتها لما قبلها- أن في تلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق، واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفى هذه ذكر القرآن ونزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه ذي العظمة والسلطان، العليم بمصالح الناس وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم، وأنه أنزله في ليلة لها من الجلال والكمال ما قصته السورة الكريمة[٤].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

١ - تحدثت عن بدءِ نزول القرآن، وأنه كان في ليلة القدر، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر : ١]

٢ - أبرزت الشرف العظيم لتلك الليلة على العدد الكثير من الأيام والليالي لما فيها، من الأنوار والنفحات الربانية: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر : ٣].

٣ - أكدت علوَّ قدر هذه الليلة. يتنزل الملائكة المقربين من عند الرحمن من أجل كل أمر قدره الله لتلك السنة إلى قابل: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر : ٤].

٤ - أشارت في ختامها إلى أن سلام الملائكة على أهل الإيمان مستمر إلى طلوع الفجر: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان شرف ليلة القدر في نص القرآن، ونزول الملائكة المقربين من عند الرحمن، واتصال سلامهم طوال الليل على أهل الإيمان، في قوله: {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر : ٥]"[٦].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٧].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، عدلت بربع القرآن، ومن قرأ: {إذا زلزلت}، عدلت بنصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}، تعدل بربع القرآن، و{قل هو الله أحد}، تعدل بثلث القرآن» "[٨].
- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان، وأعطي إحياء ليلة القدر» [٩].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.
(٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.
(٣) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ٢٠٦/٣٠.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.
(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.
(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.
(٨)مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر للمروزي: ١٦١.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٧/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٤٠٣/١٠.[موضوع]

**القرآن**

**{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)} [القدر : ١]**

التفسير:

إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وهي إحدى ليالي شهر رمضان.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر، وهي ليلة الحُكْم التي يقضي الله فيها قضاء السنة"(١).

قال المراغي:" أي: إنا بدأنا ننزل الكتاب الكريم في ليلة الشرف"(٢).

في تفسير قوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر : ١]، وجهان:

أحدهما : يعني: جبريل، أنزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي. حكاه الماوردي(٣).

الثاني : يعني: القرآن. وهو قول الجمهور(٤).

قال الزجاج: "الهاء ضمير «القرآن»، ولم يجر له ذكر في أول السورة ولكنه جرى ذكره فيما قبلها، وهو قوله: {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان : ١ - ٣] ، وهي ليلة القدر"(٥).

وللعلماء في كيفية نزول القرآن آراء ثلاثة:

الرأي الأول: - وهو رأي الجمهور- أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في ثلاث وعشرين سنة.

قال ابن عباس:" نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم فُرِّق في السنين، وتلا ابن عباس هذه الآية: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، قال: نزل متفرّقا"(٦).

قال ابن عباس:" أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله، بعضه في أثر بعض، ثم قرأ: {وقالوا لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا}"(٧).

قال ابن عباس:" أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، فهو قوله: {إِنَّا أَنزلنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، وكان بين أوّله وآخره عشرون سنة"(٨).

قال ابن عباس:" نزل القرآن كله مرة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه"(٩).

قال ابن عباس:" أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة من الذكر الذي عند رب العزة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ثم جعل جبريل ينزل على محمد بحراء بجواب كلام العباد وأعمالهم"(١٠).

قال سعيد بن جبير:" أنزل القرآن جملة واحدة، ثم أنزل ربنا في ليلة القدر: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}"(١١).

---

(١) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٤.

(٢) تفسير المراغي: ٢٠٧/٣٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣١١/٦.

(٤)حكى الإجماع الفخر في "التفسير الكبير" ٣٢/ ٢٧، وعزاه الألوسي إلى الجمهور. "روح المعاني" ٣٠/ ١٨٩.

وممن قال به من المفسرين: ابن عباس برواية عكرمة، وسعيد بن جبير، وحكيم بن جبر، والشعبي. كما سياتي.

(٥) معاني القرآن: ٣٤٧/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٥):ص٣٤٥٢/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

قال سعيد بن جبير:" نزل القرآن جملة من السماء العليا، إلى السماء الدنيا، ليلة القدر، ثم نزل مفصلا"[١].

قال الشعبي:" بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا"[٢].

قال الطبري: المعنى:" إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر، وهي ليلة الحُكْم التي يقضي الله فيها قضاء السنة"[٣].

وأصحاب هذا الرأي يذهبون إلى أن للقرآن تنزلات ثلاثا[٤].

الرأي الثاني: - وهو رأي مقاتل بن سليمان- انه نزل إلى سماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة. ينزل الله في كل ليلة قدر ما قدر إنزاله في تلك السنة. ثم ينزل به جبريل منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥].

وقد ذكره الامام فخر الدين الرازي مجوزا له. فقال: " إنه سبحانه كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا من القرآن ما يعلم أن محمدا عليه السلام وأمته يحتاجون إليه في تلك السنة ثم ينزله على الرسول على قدر الحاجة ثم كذلك أبدا ما دام"[٦].

قال ابن كثير: « وهذا الذي جعله احتمالا نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان[٧]، وحكى الإجماع على أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا"[٨].

الرأي الثالث: - وهو رأى الشعبي- انه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأزمان على النبي -صلى الله عليه وسلم-[٩].

---

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور(٧٩):ص٢٩٣/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٤.

(٤)النزل الاول الى اللوح المحفوظ قال تعالى: بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ.

والنزل الثاني من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا. ودليله قوله سبحانه:

{إنا أنزلناه في ليلة القدر}.

والتنزل الثالث: من سماء الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما فى ثلاث وعشرين سنة، ودليله قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦].

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٦/١، ٣،٨١٧، ١٧٨٣/٤.

(٦) مفاتيح الغيب: ٢٥٣/٥.

(٧) نلاحظ أن ابن كثير نقل عن القرطبي نزول القرآن في ٢٣ ليلة قدر إلى مقاتل ابن حيان.

قال محقق تفسير مقاتل بن سليمان:" والمشهور أن هذا قول مقاتل بن سليمان، وهو موجود فى تفسير مقاتل ابن سليمان الذي حققته. فإما أن يكون هناك تحريف في النقل، فكتبت مقاتل بن حيان بدلا من مقاتل ابن سليمان، الذي حققته. فإما أن يكون هناك تحريف في النقل، فكتبت مقاتل بن حيان بدلا من مقاتل ابن سليمان، أو أن يكون هذا القول قد ذهب إليه مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان معا، وقد كانا متعاصرين وكلاهما من بلخ.

وقد سئل مقاتل بن حيان أنت اعلم أم مقاتل بن سليمان؟، فقال: ما وجدت علم مقاتل بن سليمان في علم الناس إلا كالبحر الأخضر في سائر البحور". وكان بعض الناس يلتبس عليهم مقاتل بن سليمان بمقاتل بن حيان.

واكثر المراجع المتداولة والمخطوطة إذا أطلقت اسم مقاتل- انصرف الذهن إلى مقاتل بن سليمان، لشهرته عند المفسرين والمحدثين دون سائر من سمى بمقاتل".

[تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٨/٥، وانظر: تاريخ بغداد: ١٦٢/١٣، وتهذيب اللغة: ٢٧٩/١٠]

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٢/١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٤، والبرهان: ١/ ٢٢٨، والإتقان: ١/ ٤٠، والفرقان في علوم القرآن للزرقاني: ١/ ٣٩.

والشعبي يجمع في هذا الرأي بين قوله تعالى: إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، حيث يكون تأويلها عنده «انه ابتداء نزول القرآن في ليلة القدر» ، وبين قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، فالقرآن قد ابتدأ نزوله في ليلة القدر، ثم استمر نزوله نجوما بعد ذلك- متدرجا مع الوقائع والأحداث.

والحق أن رأى الجمهور، وان أسانيده متعددة وصحيحة، ولكن هذا الرأي يذهب إلى إن للقرآن تنزلات ثلاثا، وهذه التنزلات من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه إلا بما تواتر يقينا في الكتاب والسنة. أما صحة الأسانيد في هذا القول فهي لا تكفى وحدها لوجود اعتقاده، كيف إذن وقد نطق بخلافه؟.

عن الشعبي:" {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر"[١].

وقد ساق السيوطي في الإتقان هذه الآراء، ونقل عن ابن حجر أن الأول هو الصحيح المعتمد، كما ذكر هذه الآراء الزركشي في البرهان ثم قال: «والقول الأول أشهر وأصح، واليه ذهب الأكثرون، ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال: « " نزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة وقال عز وجل: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} [الفرقان: ٣٣] قال: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} [الإسراء: ١٠٦]»[٢].

والصواب من القول أن نؤمن بأن الله انزل القرآن على رسوله -صلى الله عليه وسلم- في مدة رسالته، وان الله شرف ليلة القدر بنزول القرآن فيها على نحو ما، ثم نفوض العلم بحقيقة المراد إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الألوسي: في تفسير قوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج : ٢١-٢٢]، :"واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الأشياء ونحن نؤمن به، ولا يلزمنا البحث عن ماهيته، وكيفية كتابته، ونحو ذلك"[٣].

وقد اختلف العلماء في تعيين «ليلة القدر»، على أقوال كثيرة، حتى أوصلها الحافظ في «الفتح»، إلى ستةٍ وأربعين قولاً، واحتمالين[٤].

كما أوصلها الحافظ ولُي الدين العراقي إلى خمسة وعشرين قولاً[٥].

وأوصلها بعض المعاصرين إلى أكثر من ستين قولاً[٦].

قال أبو العباس القرطبي بعدما ذكر بعض هذه الأقوال: "وهذه الأقوال كلها للسلف والعلماء، وسبب اختلافهم اختلاف الأحاديث كما ترى"[٧].

وفيما يأتي نذكر بعض الأقوال في تعيين «ليلة القدر»:

القول الأول: أنّها ممكنة في جميع السنة. وهو قول ابن مسعود[٨]، وابن عباس[٩]، وعكرمة[١٠]، وغيرهم. وهو قولٌ للحنفية[١١].

---

إن كتاب الله قد صرح بتدرج الوحى ونزوله مفرقة. كما صرح بإنزاله في ليلة القدر. ويمكن أن نحمل الإنزال هنا على ابتداء النزول، فنجمع بين المعنيين.

وكثيرا ما احتفلنا بليلة القدر، ورويت للجمهور الآراء المتعددة في نزول القرآن بيد أن رأي الشعبي يظل أيسرها وأبقاها تعلقا في أذهان الجمهور.

إن هذا الرأي يعتمد على القرآن بالدرجة الأولى، ولا يصنع اكثر من أن يوفق بين ما ظاهره التعارض من آياته.

(١) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين(٣٣٩٠):ص٣٩٩/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي.

وانظر: البرهان: ١/ ٢٢٨. وانظر السيوطي في الإتقان: ١/ ٤٠. فقد ساق جملة من الأحاديث الصحيحة في تأييد الرأي الأول، وهي أحاديث صحيحة موقوفة على ابن عباس، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لما هو مقرر من أن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات - حكمه حكم المرفوع.

ونزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلا من المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.

(٣) روح المعاني: ٣٠٤/١٥.

(٤)انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤-٣١٣.

(٥)انظر :كتاب شرح الصدر بذكر ليلة القدر :ص٢٥-٤٢.

(٦).انظر: كتاب سطوع البدر بفضائل ليلة القدر لإبراهيم الحازمي :ص٦٩-١١١

(٧) المفهم للقرطبي :٢٥١/٣

(٨) انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤

(٩) انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤

(١٠) انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤

(١١) انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤

ومأخذُ ابن مسعود: لئلا يتكل الناس، كما بيَّن ذلك أُبيّ بن كعب[١].

ذكر حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس:" ليلة القدر في كل شهر رمضان"[٢].

الثاني: أنها مختصة برمضان، ممكنةٌ في جميع لياليه. وهو قول أبي هريرة[٣]، وابن عباس[٤]، وأبي ذر[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والحسن البصري[٧]، وهو قول أبي حنيفة[٨]، وابن المنذر[٩]، وبعض الشافعية[١٠]، ورجحه السبكي[١١].

عن عبد الله بن يحنس قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال: «كذب من قال ذلك» قال: قلت: فهي في كل رمضان أستقبله؟ قال: «نعم»[١٢].

عن ابن جريج قال: "حدثت، أن شيخا من أهل المدينة، سأل أبا ذر بمنى، فقال: رفعت ليلة القدر أم هي في كل رمضان؟ فقال أبو ذر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله رفعت ليلة القدر؟ قال: «بل هي في كل رمضان»[١٣].

عن عكرمة، قال ابن عباس: "ليلة القدر في كل رمضان يأتي، قال: وحدثني يزيد بن عبد الله بن الهاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر؟ فقيل له: كانت مع النبيين، ثم رفعت حين قبضوا، أو هي في كل سنة؟ قال: «بل هي في كل سنة، بل هي في كل سنة»[١٤].

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عمر. قال: "ليلة القدر في كلّ رمضان"[١٥].

وروي ربيعة بن كلثوم، قال: "قال رجل للحسن وأنا أسمع: رأيت ليلة القدر في كلّ رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كلّ رمضان، وإنها لليلة القدر، {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق، إلى مثلها"[١٦].

الثالث: أنها أول ليلة من رمضان. وهو قول أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر[١٧].

الرابع : أنها ليلة سبع عشرة.

رُوي ذلك عن زيد بن أرقم أنّه قال: "ما أشك وما أمتري أنها ليلة أنزل القرآن، ويوم التقى الجمعان"[١٨].

قال ابن مسعود: «التمسوا ليلة القدر، ليلة سبع عشرة، فإنها صبيحة بدر يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»[١].

---

(١)رواه مسلم (٨٢٨/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر رقم (٧٦٢).
(٢) نقلا عن: معاني القرآن: ٢٨٠/٣.
(٣) انظر: مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٧):ص٢٥٥/٤.
(٤) انظر: مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٨):ص٢٥٥/٤.
(٥) انظر: مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٩):ص٢٥٥/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(٧)رواه ابن أبي شيبة في مصنفه(٨٦٨١) :ص٢٥١/٢، وانظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.
(٨)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(٩)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(١٠)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(١١)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(١٢) مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٧):ص٢٥٥/٤.
(١٣) مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٩):ص٢٥٥/٤.
(١٤) مصنف عبدالرزاق(٧٧٠٨):ص٢٥٥/٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤-٥٣٣.
(١٧)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(١٨)رواه ابن أبي شيبة (٤٨٩/٢). ووقع في "مطبوعة المصنّف" أنها ليلة (تسع عشرة) والتصحيح من فتح الباري (٣١٠/٤)، كما أنّ معركة بدر كانت في السابع عشر من رمضان، قال الهيثمي في مجمع الزائد (١٧٠/٣): "رواه الطبراني في الكبير، وفيه حوط العبدي قال البخاري عنه: حديثه منكر".

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: «ليلة القدر ليلة سبع عشرة ليلة جمعة»[٢].

الخامس : أنها ليلة ثماني عشرة. قاله الحسن[٣]، ومالك بن أنس[٤].

السادس : أنها أول ليلة من العشر الأخير. وإليه مال الشافعي[٥]، وجزم به جماعة من الشافعية[٦].

السابع : أنها ليلة ثلاث وعشرين. وهو قول ابن عباس[٧]، وبلال[٨]، وأنيس الجهني[٩]، وابن المسيّب[١٠].

عن الصنابحي، قال: سألت بلالا، عن ليلة القدر، قال: «ليلة القدر ثلاث وعشرين»[١١].

عن عبد الله بن أنيس، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «التمسوا تلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين»[١٢].

عن عائشة، «أنها كانت توقظ أهلها ليلة ثلاث وعشرين»[١٣].

عن عبيد الله بن أبي يزيد، «أن ابن عباس، كان يرش على أهله الماء ليلة ثلاث وعشرين»[١٤].

عن ابن عباس، قال: أتيت وأنا نائم في رمضان، فقيل لي: إن الليلة ليلة القدر، قال: فقمت وأنا ناعس، فتعلقت ببعض أطناب فسطاط رسول الله صلى الله عليه وسلم، «فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فنظرت في الليلة، فإذا هي ليلة ثلاث وعشرين» قال: وقال ابن عباس: «إن الشيطان يطلع مع الشمس كل ليلة، إلا ليلة القدر، وذلك أنها تطلع يومئذ بيضاء لا شعاع لها»[١٥].

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : "ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء"[١٦].

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إني رأيت ليلة القدر فأنسيتها، وهي في العشر الأواخر، من لياليها ليلة طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرًا، لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها"[١٧].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٠):ص٢/ ٢٥١.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٩):ص٢/ ٢٥١.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.
(٥)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(٦)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.
(٧)رواه ابن أبي شيبة في مصنفه(٨٦٦٦):ص٢٥٠/٢.
(٨)مصنف ابن أبي شية(٨٦٦٩):ص٢٥٠/٢.
(٩)رواه عبد الرزاق في مصنفه :٢٥٠/٤-٢٥١.
(١٠)عبد الرزاق :٢٤٩/٤.
(١١)مصنف ابن أبي شية(٨٦٦٩):ص٢٥٠/٢.
(١٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٣):ص٢٥١/٢.
(١٣) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٧):ص٢٥٢/٢.
(١٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٨):ص٢٥٢/٢.
(١٥) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٦):ص٢٥٠/٢.
(١٦)مسند الطيالسي برقم (٢٦٨٠) وفيه : "صفيقة" بدل : "ضعيفة".
(١٧)عزاه إليه ابن كثير في "التفسير": ٤٤٤/٨، كما عزاه إليه صاحب الكنز (٥٤٠/٨) برقم (٢٤٠٦٩) ولم أقع عليه في السنة، ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢١٩٠) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر بنحوه.

عن محمد بن راشد، عن مكحول أنه: "«كان يراها ليلة ثلاث وعشرين» فحدثه الحسن بن الحر، عن عبدة بن أبي لبابة أنه قال: «ليلة سبع وعشرين، وأنه قد جرب ذلك بأشياء، وبالنجوم» فلم يلتفت مكحول إلى ذلك"[١].

الثامن : أنها ليلة أربع وعشرين. وهو قولٌ لابن عباس[٢].

عن جابر بن عبد الله، قال: «أنزل الله صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة على موسى لست خلون من رمضان، وأنزل الزبور على داود في إحدى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن على محمد -صلى الله عليه وسلم- في أربع وعشرين خلت من رمضان»[٣].

روي ن أبي الجلد، قال: «نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، ونزل الزبور في ست، والإنجيل في ثمان عشرة، والقرآن في أربع وعشرين»[٤].

عن واثلة بن الأسقع، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان "[٥].

عن سعد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد، قال: "سمعت أبا محمد المصري بمكة، يقول: كنت ليلة معتكفا في مسجد بمصر وبين يدي أبو علي اللعكي فأشرفت على النوم، فرأيت كأن السماء فتحت أبوابا، والملائكة ينزلون بالتهليل والتكبير فانتبهت، وكنت أقول هي ليلة القدر، وكان ليلة السابع"[٦].

---

(١) مصنف عبدالرزاق(٧٦٩٣):ص٢٥١/٤.

(٢)رواه البخاري (٦٤/٤) كتاب الصوم باب تحري ليلة القدر رقم (٢٠٢٢).

(٣) مسند أبو يعلى الموصلي(٢١٩٠):ص١٣٥/٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٣٠١٩١):ص١٤٤/٦.

(٥) المسند(١٦٩٨٤):ص١٩١/٢٨. حديث ضعيف، تفرد به عمران القطان، وهو ممن لا يحتمل تفرده، وقد ضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي وابن معين في رواية، وقال في رواية: صالح الحديث، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وقال البخاري: صدوق يهم. وقال الدارقطني: كان كثير المخالفة والوهم، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه. قلنا: وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير شيخ أحمد أبي سعيد مولى بني هاشم- وهو عبد الرحمن بن عبد الله- فقد أخرج له البخاري متابعة، وهو ثقة. أبو المليح: هو الهذلي.
وأخرجه الطبري في "تفسيره" (٢٨١٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٢/ (١٨٥) ، وفي "الأوسط" (٣٧٥٢) ، والبيهقي في "السنن" ١٨٨/٩، وفي "الأسماء والصفات" ص ٢٣٣-٢٣٤، وفي "شعب الإيمان" (٢٢٤٨) من طريق عبد الله بن رجاء، عن عمران القطان، بهذا الإسناد.
قال الطبراني في "الأوسط": لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمران القطان، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.
وقال البيهقي في "الأسماء والصفات": خالفه عبيد الله بن أبي حميد - وليس بالقوي- فرواه عن أبي المليح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من قوله. ورواه إبراهيم بن طهمان عن قتادة من قوله، لم يجاوز به، إلا أنه قال: "لاثنتي عشرة" بدل: "ثلاث عشرة" وكذلك وجده جرير بن حازم في كتاب أبي قلابة دون ذكر صحف إبراهيم.
قلنا: أما رواية عبيد الله بن أبي حميد، فقد أخرجها أبو يعلى (٢١٩٠) عن سفيان بن وكيع، عن أبيه، عن عبيد الله، عن أبي مليح، عن جابر، موقوفا.
وسفيان بن وكيع ضعيف، وعبيد الله بن أبي حميد متروك.
وأما رواية إبراهيم بن طهمان عن قتادة، فمنقطعة، إبراهيم لم يلق قتادة.
وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٩٧/١ وقال: رواه أحمد والطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وفيه عمران بن داور القطان ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات.
قال البيهقي في "الأسماء والصفات": وإنما أراد- والله أعلم- نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

(٦) فضائل الأوقات للبيهقي(١٠٨):ص٢٤٨-٢٤٩.

قال أبو يحيى بن أبي مسرة:" طفت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فأريت الملائكة تطوف في الهواء حوالي البيت"[١].

عن عبدة بن أبي لبابة، قال: «ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين من رمضان، فإذا هو عذب»[٢].

عن أيوب بن خالد، قال: " كنت في البحر فأجنبت ليلة ثلاث وعشرين من رمضان فاغتسلت من ماء البحر فوجدته عذبا فراتا قال الشيخ رضي الله عنه: وقد وجد مثل ذلك في ليلة سبع وعشرين"[٣].

التاسع : أنها ليلة تسع وعشرين. وهو مرويٌ عن أبي هريرة وغيره[٤].

العاشر : أنها في العشر الأواخر.

عن أبي قلابة، قال: «ليلة القدر تجول في ليالي العشر كلها»[٥].

عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[٦].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان»[٧].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحينوا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان»[٨].

عن أبي بكرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، لتسع بقين، أو لسبع بقين، أو لخمس بقين، أو ثلاث، أو لآخر ليلة»[٩].

عن علي، «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان»[١٠].

عن علي، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت العشر الأواخر أيقظ أهله ورفع المئزر» قيل لأبي بكر: ما رفع المئزر؟ قال: «اعتزال النساء»[١١].

عن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان»[١٢].

عن عائشة، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر اجتهادا، لا يجتهد في غيره»[١٣].

عن عبد الرحمن بن سابط، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، ويشمر فيهن»[١٤].

---

(١) فضائل الأوقات للبيهقي(١٠٧):ص٢٤٨.
(٢) فضائل الأوقات للبيهقي(١٠٦):ص٢٤٨.
(٣) فضائل الأوقات للبيهقي(١٠٥):ص٢٤٨.
(٤)رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣٣٢/٣) جماع أبواب ذكر الليالي التي كان فيها ليلة القدر باب كثرة الملائكة في الأرض، رقم (٢١٩٤).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٩٥٣٥):ص٣٢٦/٢، و تفسير عبدالرزاق(٣٦٦٣):ص٤٤٥/٣.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٢):ص٢٥٠/٢.
(٧) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٢):ص٢٤٩/٢.
(٨) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٣):ص٢٤٩/٢.
(٩) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦١):ص٢٤٩/٢.
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٤):ص٢٥١/٢.
(١١) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٣):ص٢٥٠/٢.
(١٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٠):ص٢٤٩/٢.
(١٣) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٩١):ص٢٥٢/٢.
(١٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٦):ص٢٥٢/٢.

عن عمر، قال: «كان يوقظ أهله في العشر الأواخر»[١].

عن عيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: «كان أبو بكرة يصلي في رمضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخلت العشر الأواخر اجتهد»[٢].

عن الأوزاعي عن مرثد بن أبي مرثد، عن أبيه، قال: "كنت مع أبي ذر عند الجمرة الوسطى، فسألته عن ليلة القدر، فقال: كنت أسأل الناس عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر كانت تكون على عهد الأنبياء، فإذا ذهبوا رفعت؟ قال: «لا، ولكن تكون إلى يوم القيامة» قال: قلت: يا رسول الله فأخبرنا بها، قال: «لو أذن لي فيها لأخبرتكم، ولكن التمسوها في آخر السبع، ثم لا تسألني عنها بعد مقامي، أو مقامك هذا» ثم أخذ في حديث فلما انبسط، قلت: يا رسول الله، أقسمت عليك إلا حدثتني بها، قال أبو ذر: فغضب علي غضبة، لم يغضب علي قبلها ولا بعدها مثلها"[٣].

الحادي عشر: أنها في وتر العشر الأخير من رمضان. قاله الجمهور[٤].

قال ابن الجوزي: "وأكثر الأحاديث الصّحاح تدل عليه"[٥].

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:" التمسوها في العشر الأواخر ، في الوتر"[٦].

عن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأول من رمضان، فقيل له: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط من رمضان، فقيل له: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأواخر ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التمسوها في العشر الأواخر في وتر، يعني ليلة القدر»[٧].

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ"[٨].

الثاني عشر: أنها ليلة سبع وعشرين. وهو قول جمع من الصحابة، منهم: عمر بن الخطاب[٩]، وحذيفة[١٠]، وأبيّ بن كعب[١١]، وأنس بن مالك[١٢]، وإليه ذهب زر بن حبيش[١٣].

قال الحافظ ابن حجر: "القول الحادي والعشرين: أنها ليلة سبع وعشرين. وهو الجادّة من مذهب أحمد، ورواية عن أبي حنيفة، وبه جزم أبي كعب، وحلف عليه، كما أخرجه مسلم"[١].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٩):ص٢/٢٥٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٩٠):ص٢/٢٥٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٤):ص٢/٢٤٩.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤/٤٧٠، وحكاه عن الجمهور.

(٥) زاد المسير: ٤/٤٧٠.

(٦)رواه البخاري ( ١٩١٢ ) وانظر ( ١٩١٣ ) ورواه مسلم ( ١١٦٧ ) وانظر ( ١١٦٥ ).

(٧) مصنف عبدالرزاق(٧٦٨٣):ص٤/٢٤٧.

(٨)رواه البخاري ( ٢٠١٧ ) – واللفظ له - ومسلم ( ١١٦٩ ) .

والحديث : بوَّب عليه البخاري بقوله : " باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر ".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله – أي : الإمام البخاري - : " باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر " : في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ، ثم في العشر الأخير منه ، ثم في أوتاره ، لا في ليلة منه بعينها ، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها .

"فتح الباري " ( ٤ / ٢٦٠ ).

وقال أيضاً: "قال العلماء : الحكمة من إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها ، كما تقدم نحوه في ساعة الجمعة".

(٩) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٩٥١٤):ص٢/٣٢٤.

(١٠) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٩٥١٤):ص٢/٣٢٤.

(١١)انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٩٥٣٠):ص٢/٣٢٦، و(٨٦٦٨):ص٢/٢٥٠، ومصنف عبد الرزاق (٧٧٠٠):ص٤/٢٥٢.

(١٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٩٥٣٦):ص٢/٣٢٦.

(١٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٧):ص٢/ ٢٥١، و(٩٥٣٦):ص٢/٣٢٦.

عن قنان بن عبد الله النهمي، قال: سألت زرا عن ليلة القدر، فقال: «كان عمر، وحذيفة، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين تبقى ثلاث». قال زر: «فواصلها»[٢].

عن زر، قال: سمعت أبي بن كعب، يقول: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين»[٣].

عن زر، عن عبد الله، قال: «من يقم الحول يدركها» قال: وقال أبي: «لقد علم عبد الله أنها في شهر رمضان ليلة سبع وعشرين»[٤].

عن زر بن حبيش: «إذا كانت ليلة سبع وعشرين، فاغسلوا ومن استطاع منكم أن يؤخر فطره إلى السحر فليفعل، وليفطر على ضياح من لبن»[٥].

عن عبد الله بن شريك، قال: سمعت أنسا، وزرا، يقولان: «ليلة سبع وعشرين، وإذا كان تلك الليلة، فليغتسل أحدكم وليفطر على لبن، وليؤخر فطره إلى السحر»[٦].

عن زر بن حبيش عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال أُبيّ في ليلة القدر: «والله إني لأعلمها، وأكبر علمي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين»[٧].

عن زر، قال: سمعت أبي بن كعب، يقول: وقيل له إن عبد الله بن مسعود، يقول: «من قام السنة أصاب ليلة القدر»، فقال أبي: «والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان، يحلف ما يستثني، ووالله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»[٨].

عن زر، قال: قلت لأبي: "أخبرني عن ليلة القدر، فإن ابن أم عبد كان يقول: من يقم الحول يصبها قال: يرحم الله أبا عبد الرحمن، قد علم أنها في رمضان، فإنها لسبع وعشرين، ولكنه عمى على الناس لكي لا يتكلوا، فوالذي أنزل الكتاب على محمد، إنها في رمضان ليلة سبع وعشرين. قال: قلت: يا أبا المنذر، وأنى علمتها؟ قال: بالآية التي أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعددنا وحفظنا، فوالله إنها لهي ما يستثنى. قلت لزر: ما الآية؟ قال: "إن الشمس تطلع غداة إذ كأنها طست، ليس لها شعاع"[٩].

عن زر بن حبيش: "قلت لأبيّ إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن إنما أراد أن لا يتكل الناس، ولقد علم أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف أبي لا يستثني أنها لليلة سبع

---

(١)فتح الباري :٣١١/٤.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٧):ص٢٥٠/٢.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٨):ص٢٥٠/٢.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٥):ص٢/ ٢٥١.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٧):ص٢/ ٢٥١.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة(٩٥٣٦):ص٣٢٦/٢.
(٧)رواه مسلم (٨٢٨/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر رقم (٧٦٢).
(٨) صحيح مسلم(٧٦٢):ص٥٢٥/١.
(٩) المسند(٢١١٩٤):ص١٢٢/٣٥-١٢٣. صحيح وأخرجه الشاشي (١٤٧٤) و (١٤٧٦) ، والبغوي (١٨٢٨) من طرق عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد.
وأخرجه ابن نصر في "قيام رمضان" (٤٥) ، والطبراني (٩٥٨٠) من طريق عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، به.
وأخرجه تاما ومختصرا الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٩٢/٣، والشاشي (١٤٧٠) ، وابن حبان (٣٦٩١) ، والطبراني في "الكبير" (٩٥٨٢) و (٩٥٨٣) و (٩٥٨٤) و (٩٥٨٥) و (٩٥٨٦) ، وفي "الأوسط" (٤٣٥٠) ، والواحدي في "الوسيط" ٥٣٣/٤ من طرق عن عاصم بن بهدلة، به. وذكر الشاشي معه حديثا آخر.
وقوله: "كأنها طست": قال السندي: بفتح الطاء، وسكون المهملة، وحكي بكسر الطاء، وقد تعجم السين، وأنكره بعضهم: إناء معروف، ولعل وجه الشبه: أنه مدور أبيض ليس له شعاع.

وعشرين، فقلنا له: يا أبا المنذر بأي شيء علمته؟ قال: بالآية أو بالعلامة التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخبرنا أن الشمس تطلع صبيحة ذلك اليوم ولا شعاع لها»[١].

عن زر بن حبيش، قال: سمعت أبيّ بن كعب، يقول: «هي ليلة سبع وعشرين، هي الليلة التي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشمس تطلع بيضاء ترقرق»[٢].

عن أبي عقرب الأسدي، قال: "أتينا ابن مسعود فوجدناه فوق البيت، فسمعناه يقول قبل أن ينزل: صدق الله ورسوله، فلما نزل قلنا له: يا أبا عبد الرحمن سمعناك تقول: صدق الله ورسوله، قال: فقال: «ليلة القدر في النصف من السبع الأواخر، وذلك أن الشمس تطلع يومئذ بيضاء لا شعاع لها» ، فنظرت إلى الشمس فوجدتها كما حدث، فكبرت"[٣].

عن الحسن، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليلة القدر بلجة سمحة، تطلع شمسها ليس لها شعاع»[٤].

واستدل ابن عباس بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال : «سورة القدر ثلاثون كلمة فهي في قوله {سلام} و {هي} الكلمة السابعة والعشرون، فدل أنها فيها[٥].

ولعل أرجح الأقوال فيها أنها في العشر الأواخر من رمضان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إني أُريت ليلة القدر ثم أنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر»[٦].

وعليه : فلا يمكن لأحدٍ أن يجزم بليلة بعينها أنها ليلة القدر، ولاسيما إذا علمنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يخبر أمته بها ثم أخبرهم أن الله تعالى رفع العلم بها ، كما روي عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : «إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ»[٧].

وقد نُقل إجماع الصحابة على هذا؛ فقد روى عبد الرزاق في مصنّفه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا أنها في العشر الأواخر..." [٨].

ويستحب تحرّيها في الأوتار من العشر الأواخر، كليلة الحادي والعشرين، والثالث والعشرين، والخامس والعشرين، والسابع والعشرين، والتاسع والعشرين:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر»[٩].

---

(١) مسند الحميدي(٣٧٩):ص٣٦٧/١

(٢) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٨٥):ص٢٥٢/٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٢٨):ص٢٢٢/١، و(٨٦٦٥):ص٢٥٠/٢.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٨):ص٢/ ٢٥١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣١٢/٦.

(٦)رواه البخاري (٦٢/٢-٦٣) كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر رقم (٢٠١٦) ومسلم (٨٢٤/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة الوتر رقم (١١٦٧).

(٧)رواه البخاري ( ٤٩ )

«تَلاحَى»، أي: تنازع وتخاصم .

(٨)رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٤٦/٤) والمروزي في مختصر قيام رمضان (ص١٢٣-١٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٨/٧): "رواه البزار ورجاله ثقات".

ثم قال ابن عباس: فقلت لعمر: «إني لأعلم، أو إني لأظن أي ليلة هي؟»، قال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: " سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ فقال: «خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الدهر يدور في سبع، وخلق الله الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها»، فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتادة يزيد على ابن عباس في قوله: يأكل من سبع قال: " هو قول الله: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا ..} [عبس : ٢٧ -٣١]، الآية".

(٩)رواه البخاري (٦٢/٢-٦٣) كتاب فضل ليلة القدر باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر رقم (٢٠١٦)، ومسلم (٨٢٤/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة الوتر رقم (١١٦٧).

وقولِه صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[١].

وقولِه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى[٢].

وقولِه: «هي في العشر الأواخر، في تسع يمضين أو في سبع يبقين»[٣].

وروي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ"[٤].

قال ابن بطال: "وإنّما يصح معناه وتُوافِق ليلة القدر وتراً من الليالي على ما ذُكِر في الحديث: إذا كان الشهر ناقصاً، فأما إن كان كاملاً فإنها لا تكون إلا في شفع، فتكون التاسعة الباقية: ثنتين وعشرين، والخامسة الباقية: ليلة ست وعشرين، والسابعة الباقية: ليلة أربع وعشرين على ما ذكره البخاري عن ابن عباس، فلا تصادف واحدة منهن وتراً، وهذا يدل على انتقال ليلة القدر كل سنة في العشر الأواخر من وتر إلى شفع، ومن شفع إلى وتر، لأنّ النبي عليه السلام لم يأمر أمته بالتماسها في شهر كامل دون ناقص، بل أطلق طلبها في جميع شهور رمضان التي قد رتبها الله مرّة على التمام، ومرةً على النقصان، فثبت انتقالها في العشر الأواخر وكلّها على ما قاله أبو قلابة"[٥].

والليلة السابعة والعشرون هي أحرى الليالي بليلة القدر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[٦]. ولحلف أبيّ بن كعب رضي الله عنه على ذلك.

قال الحافظ ابن حجر: "وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبد الله بن أنيس، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين"[٧].

قال السمعاني:" وأصح الأقاويل وأشهرها أنها ليلة السابع والعشرين، ومن قام العشر أدركها قطعا وحقيقة"[٨].

لذا لا ينبغي للمسلم أن يتعاهد ليلة بعينها على أنها ليلة القدر، لما في ذلك من الجزم بما لا يمكن الجزم به؛ ولما في ذلك من تفويت الخير على نفسه، فقد تكون ليلة الحادي العشرين، أو الثالث والعشرين، وقد تكون ليلة التاسع والعشرين، فإذا قام ليلة السابع والعشرين وحدها فيكون قد ضاع عليه خير كثير، ولم يصب تلك الليلة المباركة، فعلى المسلم أن يبذل جهده في الطاعة والعبادة في رمضان كله ، وفي العشر الأواخر أكثر، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالحكمة من إخفائها هي تنشيط المسلم لبذل الجهد في العبادة والدعاء والذكر في العشر الأخير كلها ، وهي الحكمة ذاتها في عدم تحديد ساعة الإجابة يوم الجمعة ، وعدم تحديد الأسماء التسعة والتسعين لله تعالى والتي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٩].

---

(١) رواه البخاري (٦٣/٢) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر رقم (٢٠١٧).

(٢)رواه البخاري (٦٤/٢)كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر رقم (٢٠٢١).

(٣) صحيح البخاري(٢٠٢٢).

(٤)رواه البخاري ( ٢٠٢٤ ) ومسلم ( ١١٧٤) .

(٥)شرح صحيح البخاري لابن بطال :١٥٦/٣.

(٦)رواه البخاري (٦٤/٢) كتاب فضل ليلة القدر باب رفع ليلة القدر رقم (٢٠٢٣)، ومسلم (٢/٨٢٧)وهذا لفظه كتاب الصيام باب: فضل ليلة القدر رقم (١١٦٧).

(٧)فتح الباري :٤١٣/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٦١/٦.

(٩)رواه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

ومن غرائب التفسير:" إن ليلة القدر كانت خاصة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرفعت بموته"[١].

قال ابن الجوزي:" اختلف العلماء هل ليلة القدر باقية، أم كانت في زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلم خاصّة؟ والصحيح بقاؤها"[٢].

قال ابن العربي : "في الصحيح فيها وترجيح سبل النظر الموصلة إلى الحق منها: أنا نقول: إن الله تبارك وتعالى قال: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فأفاد هذا بمطلقه، لو لم يكن كلام سواه، أنها في العام كله، لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فأنبأنا الله أنه أنزله في ليلة من العام، فقلنا: من يقم الحول يصب ليلة القدر، ثم نظرنا إلى قوله شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فأفادنا ذلك أن تلك الليلة هي من شهر رمضان، ثم أخبر في الصحيح أنها في العشر الأواخر، وتواطأت روايات الصحابة على أنها في العشر الأواخر، وخبأها عن التعيين ليكون ذلك أبرك على الأمة في القيام في طلبها شهرا أو أياما، فيحصل مع ليلة القدر ثواب غيرها، فهذه سبل النظر المجتمعة من القرآن والحديث أجمع- على ما سيأتي- فتبصروها لمما، واسلكوها أمما إن شاء الله"[٣].

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين :

أحدهما: أنها كانت في الأمم السالفة. حكاه ابن كثير[٤].

الثاني : ما رواه أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري : حدثنا مالك : أنه بلغه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُري أعمار الناس قبله - أو : ما شاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر"[٥].

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب "العُدّة" أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء، فالله أعلم. وحكى الخطابي عليه الإجماع [ونقله الرافعي جازمًا به عن المذهب والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا"[٦].

عن مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت : يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال : "بل هي في رمضان". قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هي إلى يوم القيامة ؟ قال : "بل هي إلى يوم القيامة". قلت : في أي رمضان هي ؟ قال : "التمسوها في العشر الأول، والعشر الأواخر". ثم حَدّثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحَدّث، ثم اهتبلت غفلته قلت : في أي العشرين هي ؟ قال : "ابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها". ثم حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اهتبلت غفلته فقلت : يا رسول الله، أقسمت عليك بحقي عليك لَمَا أخبرتني في أي العشر هي ؟ فغضب علي غضبًا لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال : "التمسوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها"[٧].

قال ابن كثير:" ففيه دلالة على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعدُ من قوله، عليه السلام : «فرفعت، وعسى أن يكون خيرًا

---

(١) حكاه تاج القراء في غرائب التفسير: ١٣٦٦/٢.
(٢) زاد المسير: ٤٦٩/٤.
(٣) أحكام القرآن: ٤/ ٤٣٣.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٥/٨.
(٥)الموطأ برواية الزهري برقم (٨٨٩).
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٨.
(٧)المسند (١٧١/٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (٣٤٢٧).

لكم»[1]؛ لأن المراد رفعُ عِلْم وقتها عينًا. وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما رُوي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، من أنها توجد في جميع السنة، وترجى في جميع الشهور على السواء"[2].

وفي تسميتها «ليلة القدر»، أربعة وجوه :

أحدها : لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن[3].

الثاني : لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم: رجل له قدر ، ذكره ابن عيسى[4].

وذكر عن الزهري قال: "ليلة القدر ليلة العظمة والشرف من قولهم: لفلان قدر عند فلان، أي منزلة وشرف"[5].

الثالث : لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً [6].

الرابع : لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة، أي: يقضيها ، وهو معنى قول مجاهد[7].

جاء في التهذيب: "القدر: القضاء الموفق، يقال قدر الله هذا تقديرًا، قال: وإذا وافق الشيء الشيء قلت: جاء قدرُه"[8].

قال ابن فارس: "و«القدْرة»: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَر[9].

عن مجاهد: "{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}: ليلة الحكم"[10].

قال سعيد بن جبير:" يؤذن للحجاج في ليلة القدر، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد فيهم، ولا ينقص منهم"[11].

وقال الحسن:" فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق، إلى مثلها"[12].

وقال ابن عمر:" أمر السنة إلى السنة إلا الشقاء والسعادة، فإنه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير"[13].

قال ابن عباس:" إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)} [الدخان : ٣ - ٤]، يعني: ليلة القدر، قال: ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل موت أو حياة أو رزق كل أمر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها من قابل"[14].

قال الواحدي:" معنى القدر في تلك الليلة بيان مَا يكون في السنة للملائكة، لا ابتداء التقدير؛ لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض"[15].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٢٠١٥) وصحيح مسلم برقم (١١٦٥).
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٨.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣١٢/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣١٢/٦.
(٥) انظر: الكشف والبيان" ١٣/ ١٢٣ بنحوه، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٥٠٥ بمعناه، و"زاد المسير" ٨/ ٢٨٣، و"فتح القدير" ٥/ ٤٧٢.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣١٢/٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٤.
(٨) تهذيب اللغة: ٩/ ١٨: «قدر».
(٩)مقاييس اللغة" ٥/ ٦٢ «قدر».
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٢٧)ص: ٣٤٥٢/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤-٥٣٣.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٢٨):ص٣٢٨٧/١٠.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٥٣٠):ص٣٢٨٧/١٠.
(١٥) التفسير البسيط: ١٩١/٢٤.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[١].

**القرآن**

**{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)} [القدر : ٢]**

التفسير:

وما أدراك -أيها النبي- ما ليلة القدر والشرف؟

قال الطبري:" يقول: وما أشعرك يا محمد أيّ شيء ليلة القدر خير من ألف شهر"[٢].

قال المراغي:" أي: ولم تبلغ درايتك وعلمك غاية فضلها، ومنتهى علو قدرها. وفى هذا إيماء إلى أن شرفها مما لا يحيط به علم العلماء، وإنما يعلمه علام الغيوب الذي خلق العوالم وأنشأها من العدم"[٣].

قال الفراء:" كل ما كان في القرآن من قوله: «وما أدراك» فقد أدراه، وما كان من قوله: «وما يدريك» فلم يدره"[٤].

قال ابن عاشور:" تنويه بطريق الإبهام المراد به أن إدراك كنهها ليس بالسهل لما ينطوي عليه من الفضائل الجمة، وكلمة: «ما أدراك ما كذا»، كلمة تقال في تفخيم الشيء وتعظيمه، والمعنى: أي شيء يعرفك ما هي ليلة القدر، أي: يعسر على شيء أن يعرفك مقدارها"[٥].

قال القشيري:" استفهام على جهة التفخيم لشأن تلك الليلة"[٦].

**القرآن**

**{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ٣]**

التفسير:

ليلة القدر ليلة مباركة، العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

قال المراغي:" لأن ليلة يسطع فيها نور الهدى وتكون فاتحة التشريع الجديد الذي أنزل لخير البشر، ويكون فيها وضع الحجر الأساسي لهذا الدين الذي هو آخر الأديان الصالح لهم في كل زمان ومكان، هي خير من ألف شهر من شهورهم التي كانوا يتخبطون فيها في ظلام الشرك وضلال الوثنية، حيارى لا يهتدون إلى غاية، ولا يقفون عند حد"[٧].

قال ابن عاشور:" وإظهار لفظ «ليلة القدر»، في مقام الإضمار للاهتمام، وقد تكرر هذا اللفظ ثلاث مرات والمرات الثلاث ينتهي عندها التكرير غالبا"[٨].

اختلف في تفسير الآية الكريمة، على أقوال:

أحدها : ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع[٩].

الثاني : أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد[١]، واختاره الفراء[٢]، والزجاج[٣]، والطبري[٤]، وابن كثير[٥].

---

(١)صحيح مسلم" ٤/ ٢٠٤٤، ح ١٦: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.

(٣) تفسير المراغي: ٢٠٨/٣٠.

(٤) معاني القرآن: ٢٨٠/٣.

(٥) التحرير والتنوير: ٤٥٨/٣٠.

(٦) لطائف الإشارات: ٧٥٠/٣.

(٧) تفسير المراغي: ٢٠٨/٣٠.

(٨) التحرير والتنوير: ٤٦٠/٣٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣١٣/٦.

قال مجاهد:" عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر"[٦].

عن عمرو بن قيس الملائي: "{خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، قال: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر"[٧].

قال الفراء:" يقول: العمل في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر"[٨].

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تَقَدَّم من ذنبه"[٩].

الثالث : أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة[١٠]، وبه قال الفراء[١١].

الرابع : أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدوّ حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر ، رواه مجاهد[١٢]، و علي بن عروة[١٣].

وفي رواية عن مجاهد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عز وجل: إنا أنزلناه في ليلة القدر. {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ٢ - ٣] التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر"[١٤].

عن علي بن عروة قال: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما، لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال: يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين، فقد أنزل الله خيرا من ذلك. فقرأ عليه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ١ - ٣]، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك. فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه"[١٥].

الخامس : أن ملك سليمان كان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين كان خمسمائة شهر، فصار ملكهما ألف شهر، فجعل العمل في ليلة القدر خيراً من زمان ملكهما. حكاه الماوردي[١٦].

السادس : ما روي عن يوسف بن سعد، قال: قام رجل إلى الحسن بن علي، بعد ما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني رحمك الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} يا

---

(١) انطر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣/ ٢٨٠.
(٣)معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٣٤٧.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٨٠/٣.
(٩)صحيح البخاري برقم (١٩٠١) وصحيح مسلم برقم (٧٦٠).
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٦٢):٤٤٥/٣.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٨٠/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٢٦):ص٣٤٥٢/١٠.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٤):ص٣٤٥٢/١٠.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٦):ص٣٤٥٢/١٠.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣١٣/٦.

محمد، يعني: نهرا في الجنة، ونزلت: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ١ - ٣] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددناها[مُلْكَ بني أمية[١]] فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص"[٢].

قال الطبري:" وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عملٌ في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معان باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيارُ ابن جرير. وهو الصواب لا ما عداه، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : «رِباطُ ليلة في سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل»[٤]، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة،

---

(١) رواية الطبري: ٢٤/٥٣٣-٥٣٤.

(٢) سنن الترمذي(٣٣٥٠):ص٥/٣٠١، من طريق أبي داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحدّاني، عن يوسف بن سعد.

ورواه من طريق الطيالسي الطبراني في " الكبير " (٢٧٥٤)، والحاكم ٣/ ١٧٠ - ١٧١، والبيهقي في " الدلائل " ٦/ ٥٠٩ - ٥١٠ كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن الراسبي.

وصححه الحاكم في الرواية الأولى، وقال الذهبي: والقاسم وثقوه، رواه عنه أبو داود والتبوذكي، وما أدري آفته من أين.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة، وثقه يحيى القطان وابن مهدي، قال: وشيخه يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلاَّ من هذا الوجه.

وتعقبه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٦٢ - ٤٦٣، فقال: وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول فيه نظر، فإنه قد روى عنه جماعة، منهم حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي روايته عن ابن معين: هو ثقة، ورواه الطبري: ٢٤/٥٣٣-٥٣٤، من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث والله أعلم.

ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر.

قلت: وقول القاسم بن الفضل الحداني: إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- استقل بالملك حين سلَّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلاَّ مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تَزُل يدُهُم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم زمانهم، فإن ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة، بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلاَّ كما قال القائل:

ألم تَرَ أنّ السيف ينقُصُ قَدْرُه... إذا قِيل إنّ السيف أمضَى مِن العَصَا

وقال آخر :

إذا أنتَ فَضَّلتَ امرأ ذا بَرَاعَة... عَلى نَاقص كَانَ المديحُ منَ النَّقص

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية، والسورة مكية، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته، -والله أعلم-.

[وانظر : البداية والنهاية (٦/٢٤٣، ٢٤٤) فقد توسع أيضا في الكلام على هذا الحديث]

(٣) تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٤.

(٤)المسند (١/٦٢) من حديث عثمان، رضي الله عنه.

ونية صالحة : «أنه يُكتَبُ له عمل سنة، أجر صيامها وقيامها»[١]، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك"[٢].

**القرآن**

**{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)} [القدر : ٤]**

التفسير:

يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام فيها، بإذن ربهم من كل أمر قضاه في تلك السنة.

قال ابن كثير:" أي : يكثر تَنزلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له"[٣].

اختلف في تفسير الآية، على قولين:

أحدهما : تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر بإذن ربهم، من كلّ أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك. وهذا قول قتادة[٤].

عن قتادة، في قوله: "{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}، قال: يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها"[٥].

الثاني: تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر، لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه. روي عن أنس مرفوعا"[٦]، وهو معنى قراءة ابن عباس[٧].

عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أنه كان يقرأ: «من كل امرئ سلام»"[٨].

وحكى أبو عبيد أنه روي عن ابن عباس وعكرمة: "أنهما قرءا «من كلّ امرى»، قال إسماعيل بن إسحاق: لم يذكر أبو عبيد إسناده، ولعلّه ضعيف"[٩].

قال النحاس: "إسناده ضعيف بغير «لعلّ»: رواها الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد لا يعرّج عليه، وهو مخالف للمصحف الذي تقوم به الحجّة"[١٠].

عن كعب، قال: "إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة، علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يعبدون الله عز وجل على أغصانها، في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين،

---

(١) عن أوس بن أوس الثقفي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى، ولم يركب فدنا من الإمام، فاستمع، ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

المسند(١٦١٧٣):ص٢٦/٩٣-٩٤، إسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/٩٣- ومن طريقه ابن ماجه (١٠٨٧) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٥٧٣) ، والطبراني في "الكبير" (٥٨٥) - وأبو داود (٣٤٥) - ومن طريقه البيهقي في "السنن" ٣/٢٢٩، وفي "فضائل الأوقات" (٢٧٠) ، والبغوي في "شرح السنة" (١٠٦٥) - وابن حبان (٢٧٨١) ، والحاكم ١/٢٨٢ من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٩٧٤) من طريق محمد بن مصعب، عن الأوزاعي، به.

(٢) تفسير ابن كثير: ٨/٤٤٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٤٤٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٣٤.

(٦)ضعيف جدا. أخرجه البيهقي في «الزهد» ٣٧١٧ من حديث أنس بأتم منه، وفيه صرح بن حوشب وهو متروك متهم.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٣٤. قال الطبري:" هذه القراءة من قرأ بها وجَّه معنى من كلّ امرئ: من كلّ ملك؛ كان معناه عنده: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كلّ ملك يسلم على المؤمنين والمؤمنات".

(٩) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٥/١٦٦.

(١٠) إعراب القرآن: ٥/١٦٦.

فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس معلق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل"[١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك: القول الأوّل الذي ذكرناه قبل، على ما تأوّله قتادة"[٢].

وفي «الروح» -ها هنا- أقوال :

أحدها : أن المراد به –هاهنا-: جبريل -عليه السلام -، فيكون من باب عطف الخاص على العام. قاله سعيد بن جبير[٣]، وهو قول الأكثرين[٤].

يدل عليه رواية قتادة، عن أنس، أن رسول الله -عليه السلام- قال: «إذا كان لَيْلَةُ الْقَدْرِ نزل جبرئيل في كبكبة من الملائكة يصلّون ويسلّمون على كلّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله سبحانه»[٥].

عن شهر بن حوشب الأشعري: أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أخبرنا عن الروح. فقال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل؟ وهو الذي يأتيني؟ " قالوا: نعم"[٦].

الثاني : أن الروح: طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب[٧]، ومقاتل بن حيان[٨].

وحكي الماوردي عن مقاتل:" أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله"[٩].

الثالث: أنه ملك عظيم يفي بخلق من الملائكة، قاله الواقدي[١٠].

الرابع: حفظة الملائكة ، قاله ابن أبي نجيح[١١].

الخامس : أنهم جند من الله من غير الملائكة، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً[١٢].

السادس : أن الروح والرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها، دليله قوله تعالى : {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [النحل : ٢]، أي: بالرحمة. أفاده الماوردي[١٣].

**القرآن**

**{سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)} [القدر : ٥]**

التفسير:

هي أمن كلها، لا شرَّ فيها إلى مطلع الفجر.

اختلف في تفسير الآية، على ثلاثة أقوال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٨):ص١٠/٣٤٥١-٣٤٥٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٣.

(٤) حكاه عنهم الثعلبي في الكشف والبيان: ١٠/٢٥٨، وتبعه ابن الجوزي في : زاد المسير: ٤/٤٧٣.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/٢٥٨، وزاد المسير: ٤/٤٧٣.

(٦)أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨٩): ص٢/ ٣٢٠، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٢٥٨، وزاد المسير: ٤/٤٧٣.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٢٥٨، وزاد المسير: ٤/٤٧٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٣.

(١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٢٥٨، وزاد المسير: ٤/٤٧٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٤.

أحدها : أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان ، قاله مجاهد[١].

قال مجاهد:" سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى"[٢].

عن مجاهد: "{سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، قال: من كلّ أمر سلام"[٣].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: "{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ}، قال: لا يحدث فيها أمر"[٤].

عن ابن زيد :"{سَلامٌ هِيَ}، قال: ليس فيها شيء، هي خير كلها {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}"[٥].

قال الضّحاك: "لا يقدر الله سبحانه في تلك الليلة إلّا السلامة، فأمّا في الليالي الأخر فيقضي الله تعالى فيهنّ البلاء والسلامة"[٦].

قال الطبري:" سلام ليلة القدر من الشرّ كله من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها"[٧].

قال الزجاج:" أي لا داء فيها، ولا يستطيع الشيطان أن يصنع فيها سيئا"[٨].

قال السمعاني:" {سَلامٌ}، أي: سلامة، والمعنى: أنه لا يعمل فيها داء ولا سحر ولا شيء من عمل الشياطين والكهنة"[٩].

الثاني : أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة[١٠].

عن قتادة: "{سَلامٌ هِيَ}، قال: خير {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}"[١١].

الثالث : أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، قاله الشعبي[١٢]، ومنصور بن زاذان[١٣]، والكلبي[١٤].

أخرج سعيد بن منصور بسنده عن الشعبي في قوله تعالى :{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} قال : "تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر"[١٥].

قال الشعبي ومنصور بن زاذان: "هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، يمرون على كلّ مؤمن ويقولون: السلام عليك يا مؤمن"[١٦].

روي عن علي -رضي الله عنه- قال: "أنا حرضت عمر رضي الله عنه على القيام في شهر رمضان أخبرته أن فوق السماء السابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس يسكنها قوم يقال لهم الروح، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النزول إلى الدنيا، فلا يمرون بأحد يصلي أو على الطريق إلا أصابته منهم بركة، فقال له عمر: يا أبا الحسن فتحرض الناس على الصلاة حتى تصيبهم البركة، فأمر الناس بالقيام"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٩):ص٣٤٥٣/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.
(٧) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٤٨/٥.
(٩) تفسير السمعاني: ٢٦٢/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.
(١٢) انظر: رواه سعيد بن منصور، كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٨، وانظر: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣١٤/٦.
(١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٨.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.
(١٧) فضائل الأوقات للبيهقي(١١٠):ص٢٥٣. قال ابن كثير:٤٤٤/٨: أثر غريب".

قرأ الكسائي «مطلع»، بكسر اللام، والآخرون بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى الطلوع، على المصدر[١].

فوائد السورة الكريمة:

١- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٣- فضل ليلة القدر وفضل العبادة فيها قال رسول اللخ -صلى الله عليه وسلم-: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

٤- بيان أن القرآن نزل في رمضان جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأنه ابتدئ نزوله على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان أيضا.

٥- الندب[٣] إلى طلب ليلة القدر للفوز بفضلها وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان وأرجى ليلة في العشر الأواخر هي الوتر كالواحدة والعشرين إلى التاسعة والعشرين لحديث الصحيح التمسوها في العشر الأواخر.

٦- استحباب الإكثار من قراءة القرآن وسماعه فيها لمعارضة جبريل الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القرآن في رمضان مرتين[٤].

**«آخر تفسير سورة (القدر)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: حجة القراءات: ٧٦٨، وتفسير البغوي: ٤٩٢/٨.

(٢)أخرجه أحمد (٣٤٧/٢، رقم ٨٥٥٩) ، والبخارى (٦٧٢/٢، رقم ١٨٠٢) ، وأبو داود (٤٩/٢، رقم ١٣٧٢) ، والترمذى (٦٧/٣، رقم ٦٨٣) وقال: غريب. والنسائى (١١٨/٨، رقم ٥٠٢٧) ، وابن حبان (٤٣٧/٨، رقم ٣٦٨٢) . وأخرجه أيضا: مسلم (٥٢٣/١، رقم ٧٦٠) ، والبيهقى (٣٠٦/٤، رقم ٨٣٠٦) .
حديث عائشة: أخرجه النسائي (١٥٥/٤، رقم ٢١٩٣).

(٣)أرجح الأقوال في ليلة القدر أنها في الوتر من العشر الأواخر من كل عام لحديث الصحيح التمسوها في الوتر من العشر الأواخر وأن من صلى العشاء ليلتها في الجماعة ينال فضلها لما قاله مالك في الموطأ وهو قول سعيد بن المسيب (من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ومثله لا يدرك بالرأي).

(٤)معارضة القرآن ثابتة في الصحيح وفضل الدعاء فيها ثابت في الصحيح. قالت عائشة: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى».
أخرجه الترمذى (٥٣٤/٥، رقم ٣٥١٣) ، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٢٦٥/٢، رقم ٣٨٥٠) ، والحاكم (٧١٢/١، رقم ١٩٤٢) . وأخرجه أيضا: أحمد (١٧١/٦، رقم ٢٥٤٢٣) ، والقضاعى (٣٣٦/٢، رقم ١٤٧٦).

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «البيّنة»**

«سورة البيّنة»: هي السورة الثامنة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الطلاق» وقبل «سورة الحشر»، فتكون نزلت قبل غزوة بني النضير، وكانت غزوة النضير سنة أربع في ربيع الأول فنزول هذه السورة آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع[١]، آياتها في عد البصرى: سبع، وعند الباقين: ثمان. وكلماتها أربع وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها آية: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة : ٥]. فواصل آياتها على «الهاء»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

**١-«سورة البيّنة»:**

اشتهرت باسم «سورة البيّنة»، وكتبت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٣]، ووجه تسميتها لورود لفظ «البيّنة» في مفتتح السورة، قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١].

**٢-سورة«لم يكن الذين كفروا» أو «لم يكن»:**

وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لم يكن الذين كفروا»، روى البخاري ومسلم عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، قال: فبكى»[٤].

فقوله: «أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا»، واضح أنه أراد السورة كلها فسماها بأول جملة فيها.

وسميت السورة في مجموعة من كتب التفسير[٥]، وكتب السنة[٦]: «سورة لم يكن»، بالاقتصار على أول كلمة منها، لأنها أول جملة افتتحت بها السورة، ولم تفتتح بها سورة اخرى من القرآن.

وقد وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين:

إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة" [٧].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة" [٨].

وفي بعض المصادر سميت بسورة: «لم يكن الذين كفروا»[٩].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

**١-«سورة القيّمة»**

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٣٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٣) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٥٨٨/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٥٤/٣، والنكت والعيون: ٣١٥/٦، والوسيط للواحدي: ٥٣٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٩٣/٨، والكشاف: ٧٨١/٤، والمحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٣٧/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٤٠/٢٠، وغيرها.

(٤) صحيح البخاري(٣٨٠٩):ص٣٦/٥، وصحيح مسلم(٧٩٩):ص٥٥٠/١٠، وصحيح مسلم().

(٥) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٧٩/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٦٣/٦، وتفسير البيضاوي: ٣٢٨/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٥٤/٨، وغيرها.

(٦) انظر مثلا: صحيح البخاري: ١٧٥/٦، وسنن الترمذي: ٣٠٣/٥، ومستخرج أبيي عوانة: ٤٩١/٢.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٥١/٥.

سميت في مجموعة من المصاحف «سورة القيمة» وكذلك في بعض التفاسير[١]، وكتب علوم القرآن[٢]، ووجه تسميتها بذلك، أنها ذكرت فيها لفظ: «القيمة» في قوله تعالى: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة : ٥]، ولم ترد في غيرها من القرآن.

**٢-«سورة البريّة»**

سميت سورة «البرية»، وذلك لورود هذا اللفظ فيها مرتين، قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة : ٦]، وقال تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة} [البينة : ٧].

وقد أورد هذا الاسم، الألوسي[٣]، والقاسمي[٤]، والسخاوي[٥]، والسيوطي[٦]، في كتبهم.

**٣- «سورة المنفكين»**

سميت «سورة المنفكين»، ودونت في بعض المصاحف نسخ سنة ٧٨٥هـ[٧]، كما عنون لها الثعلبي في «الكشف والبيان»[٨]، وذكرها الشربيني[٩]، وشهاب الدين[١٠]، والألوسي[١١]، والقاسمي[١٢]، وأوردها الفيروزآبادي في «البصائر»[١٣]، معللا تسميتها بذلك لقوله تعالى: {وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّين} [البينة : ١]، وسماها السخاوي[١٤]، ونقل عنه السيوطي[١٥]، بلفظ: «سورة الانفكاك».

وقد نقلها السيوطي[١٦] عن السخاوي باسم: «القيامة»، وكذلك الألوسي[١٧] ذكرها باسم «القيامة». ولعله تصحيف من لفظ«القيّمة»، لأن لفظ: «القيامة»، لم تذكر في السورة، وليست له علاقة وطيدة بمضمون السورة، ومن جهة أخرى توجد سورة أخرى باسم «القيامة»، -والله أعلم-.

**٤- «سورة أهل الكتاب»**

ذكر في «الإتقان»[١٨]: أنها سميت في مصحف أبيّ : «سورة أهل الكتاب»، أي: لقوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة : ١].

وذكر الألوسي أنها تسمى: «سورة البلد»[١٩]، ولم ينسبه لقائل، ولم يعلل تسميتها بذلك، وهي تسمية غريبة، لا علاقة لها بمضمون السورة، ولم اجد أثرا يعززها.

---

(١) انظر مثلا: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني: ٤٢١، وتفسير المظهري: ١٣٦/١٠، وفتح القدير: ٤٠٢/٥.

(٢) انظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ٣٤٩/٥، .

(٣) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(٤) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.

(٥) انظر: تاج القراء: ٣٨/١.

(٦) انظر: الإتقان: ١٧٦/١.

(٧) والمصحف مخطوط بجامعة الإمام بالرياض رقم(٢٣٥٤).

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٩/١٠.

(٩) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ٥٦٩/٤.

(١٠) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفسيرِ البَيضَاوِي: ٢٨٤/٧.

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٠/٩.

(١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(١٤) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(١٥) انظر: الإتقان: ١٩٦/١

(١٦) انظر: الإتقان: ١٩٦/١

(١٧) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

(١٨) انظر: الإتقان: ١٩٦/١

(١٩) انظر: روح المعاني: ٤٢٣/١٥.

وهذه الأسماء :«القيمة، البرية، المنفكين، أهل الكتاب»، هي من اجتهاد المفسرين، سميت بها من باب تسمية السورة بلفظ ورد فيها، أو تحدث عنه، ولم يرد إلينا رواية عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تثبت هذه الأسماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة، قالته عائشة[١]، وأبو صالح عن ابن عباس[٢]، واختاره يحيى بن سلام[٣].

عن عائشة قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة" [٤].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن الزبير وعطاء بن يسار[٥]. والجمهور[٦].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة" [٧].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية والأول أشهر"[٨].

قال ابن عاشور:" أي وأبي من أهل المدينة. وجزم البغوي وابن كثير بأنها مدنية، وهو الأظهر لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب ولحديث أبي حبة البدري، وقد عدها جابر بن زيد في عداد السور المدنية"[٩].

قال ابن عطية: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما دفع إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه مناسبتها لما قبلها- أن قوله: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١]، كالعلة لإنزال القرآن، كأنه قيل: إنا أنزلناه لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسول يتلو صحفا مطهرة[١٠].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها.

٢- تكذيب المشركين وأهل الكتاب في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الآخرة، التسجيل عليهم بأنهم شر البرية.

٣- الثناء على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم.

٤- التنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل وما فيه من فضل وزيادة.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان تمرد أهل الكتاب، والخبر من صحة أحكام القرآن، وذكر وظيفة الخلق فى خدمة الرحمن، والإشادة بخير البرية من الإنسان،

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.
(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠/
(٧) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.
(٨) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.
(٩) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٣٠.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ٢١١/٣٠.
(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

وجزاء كل أحد منهم بحسب الطاعة والعصيان، وبيان أن موعود الخائفين من الله الرضا والرضوان، فى قوله: {ذلك لمن خشي ربه}"[1].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[2].

- **فضائل السورة:**

- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: " إن الله أمرني أن أقرأ عليك: {لم يكن الذين كفروا} [البينة: ١] " قال: وسماني لك؟ قال: " نعم " فبكى"[3].[صحيح]
- عن اسماعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضيل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن} فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى"[4].
- عن اسماعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليسمع قراءة {لم يكن الذين كفروا}، فيقول: أبشر عبدي فوعزتي وجلالي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى"[5].
- عن أبي حبة البدري قال:" لما نزلت {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} إلى آخرها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيّا فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبيّ: إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة. قال أبيّ: وقد ذكرت ثم يا رسول الله قال: نعم فبكى"[6].
- عن أبيّ ابن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة لَمْ يَكُنِ كان يوم القيامة مع خير البرية مسافرا أو مقيما» [7].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.
(٣) صحيح، أخرجه أحمد في المسند(١٢٣٢٠):ص٣٢٨/١٩، وأخرجه أبو عوانة في فضائل القران كما في "الإتحاف" ١٨٣/٢ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري (٣٨٠٩) و (٤٩٥٩) ، ومسلم (٧٩٩) (٢٤٦) وص١٩١٥ (١٢٢) ، والترمذي (٣٧٩٢) ، وأبو يعلى (٢٩٩٥) ، والبغوي في "تفسيره" ٥١٤/٤ من طرق عن محمد بن جعفر، به، وأخرجه أحمد في المسند عن محمد بن جعفر وحجاج بن محمد برقم (١٣٨٨٤) .
وأخرجه مسلم (٧٩٩) (٢٤٦) وص١٩١٥ (١٢٢) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٢٣٨) من طريق خالد بن الحارث، وأبو عوانة في المناقب، والبيهقي في "شعب الايمان" (٢٢٠٣) من طريق بكر بن بكار، كلاهما عن شعبة، به.
وأخرجه إبراهيم بن طهمان في "مشيخته" (٥٩) عن قتادة، به.
وأخرجه أحمد في المسند من طريق قتادة بالأرقام (١٢٤٠٣) و (١٢٩١٩) و (١٣٢٨٦) و (١٣٤٤٢) و (١٤٠٣٢). وفي الباب عن أبي حبة البدري: ٤٨٩/٣، وعن أبيّ بن كعب نفسه١٣٢/٥.
قوله: "أن أقرا عليك" قال السندي: أي: كقراءة الشيخ على تلميذه لا كقراءة التلميذ على شيخه.
"وسماني؟ " قاله طلبا للتحقيق، لاحتمال أن الله يأمره بالقراءة على واحد من أمته من غير تعيين.
"فبكى" فرحا بذلك، وفيه تفضيل لأبي في القراءة على غيره، ولذلك جاء: «أقرؤكم أبيّ».
(٤) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".
(٥) الدر المنثور: ٥٨٥/٨، وعزاه لأبي نعيم في "المعرفة".
(٦) الدر المنثور: ٥٨٥/٨-٥٨٦، وعزاه إلى أحمد وابن قانع في معجم الصحابة والطبراني وابن مردويه.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٠/١٠. وانظر: مجمع البيان: ٤١١/١٠.[موضوع]

**القرآن**

**{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١)} [البيّنة : ١]**

التفسير:

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة.

قوله تعالى:{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} [البيّنة : ١]، أي:" لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين"(١).

قال مقاتل:" وذلك أن أهل الكتاب «قالوا: متى يبعث الذي نجده في كتابنا، وقالت العرب: « {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (٦٨) {لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ١٦٨-١٦٩] فنزلت: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...}"(٢).

قال ابن كثير:" أما أهل الكتاب فهم : اليهود والنصارى، والمشركون : عَبَدةُ الأوثان والنيران، من العرب ومن العجم"(٣).

قوله تعالى:{مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البيّنة : ١]، أي:" تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة"(٤).

قال ابن فورك:" البينة: الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل، وكل برهان بينة"(٥).

وفي قوله تعالى:{مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البيّنة : ١]، وجوه من التفسير(٦):

أحدها: لم يكن الكفار منتهين عما هم عليه حتى يجيئهم الرسول، فيبيّن لهم ضلالتهم. وهذا قول مجاهد(٧)، وقتادة(٨)، وابن زيد(٩)، وعطاء(١٠)، ومقاتل(١١). وبه قال الزجاج(١٢).

قال مقاتل:" {مُنْفَكِّينَ}، يعني: منتهين عن الكفر والشرك، {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} محمد- صلى الله عليه وسلم- فبيّن لهم ضلالتهم وشركهم"(١٣).

قال الثعلبي:"{حَتَّى تَأْتِيَهُمُ} الحجّة الواضحة، وهي محمد -عليه السلام- أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم، وهداهم إلى الإيمان"(١٤).

قال الفراء:" {الْبَيِّنَةُ}، يعني: بعثه محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن"(١٥).

قال ابن الجوزي:" وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم"(١٦).

عن مجاهد: "{مُنْفَكِّينَ}، قال: لم يكونوا لِيَنتهوا حتى يتبين لهم الحق"(١٧).

قال ابن زيد:" لم يكونوا منتهين حتى يأتيهم; ذلك المنفكّ"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٩/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٥) تفسير ابن فورك: ٢٥٤/٣.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨١/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥، وتفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤، والنكت والعيون: ٣١٥/٦، وزاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(١٠) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥. قال النحاس:" وبرح وزال في منهاج واحد".

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٩/٤.

(١٢) انظر: معاني القرآن: ٣٤٩/٥.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٩/٤.

(١٤) الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.

(١٥) معاني القرآن: ٢٨١/٣.

(١٦) زاد المسير: ٤٧٥/٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.

قال عطاء :" منفكين: بارحين[٢].
عن قتادة :{مُنْفَكِّينَ}، قال: منتهين عما هم فيه"[٣].
قال الزجاج:" معنى{مُنْفَكِّينَ}: منتهين عن كفرهم"[٤].
عن قتادة: "{مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}، أي: هذا القرآن"[٥].
عن ابن جريج:" {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}، قال: محمد"[٦].
قال الربيع:" لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتى تأتيهم البينة ، يعنى: الرسل"[٧].
قال أهل اللغة:" أصل «الفكّ»: الفتح، ومنه: فكّ الكتاب، وفكّ الخلخال، وفكّ البيالم وهي خورنق العطر، قال طرفة[٨]:
وآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين منهد"[٩].
قال ابن فورك:" «الانفكاك»: انفصال عن شدة اجتماع، وأكثر ما يستعمل في النفي كما أن ما زال كذلك تقول: ما انفك من هذا الأمر، أي: ما انفصل منه لشدة ملابسته"[١٠].
الثاني : لم يكن الكفار متفرّقين إلا من بعد أن جاءهم الرسول، لأنهم فارقوا ما عندهم من صفة النبي صلّى الله عليه وسلّم فكفروا بعد البيان، فأقر بعضهم، وأنكر البعض. قاله ابن كيسان[١١]، وحكاه الفراء[١٢].
قال ابن كيسان:" معناه: لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد -عليه السلام- حتى بعث، فلمّا بعث تفرّقوا فيه"[١٣].
قال الفراء:" فلما ظهر تفرقوا واختلفوا، ويصدق ذلك، قوله عز وجل: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ٤]"[١٤].
واختاره النحاس وقال:" وهذا القول في العربية أولى لأن منفكّين لو كان بمعنى زائلين لاحتاج إلى خبر ولكن يكون من انفكّ الشيء من الشيء أي فارقه، كما قال ذو الرمّة[١٥][١٦]:
قلائص ما تنفكّ إلّا مناخة ... على الخسف أو يرمي بها بلدا قفرا
الثالث : لم يكونوا ليتركوا منفكين عن حجج الله حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها عليهم الحجة، قال امرؤ القيس[١٧]:
إذا قُلْتُ أَنْفَكَّ مِن حُبّها ... أبى عالقُ الحُبِّ إلا لُزوما

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.
(٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥. قال النحاس:" وبرح وزال في منهاج واحد".
(٣) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.
(٤)معاني القرآن: ٣٤٩/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.
(٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣١٥/٦.
(٨)ديوانه: ص ٣٧؛ ولسان العرب: ٢/ ٥٧٢ (كشح)؛ وتاج العروس: ٧/ ٧٥ (كشح).
(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.
(١٠) تفسير ابن فورك: ٢٥٤/٣.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٨١/٣.
(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٨١/٣.
(١٥)الشاهد لذي الرمة في ديوانه ١٧٣، والكتاب ٣/ ٥٢، وتخليص الشواهد ٢٧٠، وخزانة الأدب ٩/ ٢٤٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٢١٩، ولسان العرب (فكك) ، والمحتسب ١/ ٣٢٩، وهمع الهوامع ١/ ١٢٠، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٤٢، والأشباه والنظائر ٥/ ١٧٣، والجنى الداني ٥٢١، وشرح الأشموني ١/ ١٢١، ومغني اللبيب ١/ ٧٣ وهمع الهوامع ١/ ٢٣٠.
(١٦) قال النحاس:" وزعم الأصمعي أن ذا الرمة أخطأ في هذا. قال أبو جعفر: تأول الأصمعي «ما تنفكّ» ما تزال، والصواب ما قال المازني قال: أخطأ الأصمعيّ وما تنفكّ كلام تامّ".
(١٧) الشاهد في النكت: والعيون: ٣١٦/٦.

قال الثعلبي:" قال بعض أئمّة أهل اللغة: قوله: {مُنْفَكِّينَ}، أي: هالكين. من قوله: انفك صلا المرأة عند الولادة. وهو أن تنفصل ولا يلتئم فهلك، ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين، أي: معذّبين إلّا بعد قيام الحجّة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتب"[١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البيِّنة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه، رسول من الله. وقوله:{مُنْفَكِّينَ} في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر، ولذلك صَلُح بغير خبر، ولو كان بمعنى ما زال، احتاج إلى خبر يكون تماما له، واستؤنف قوله {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ} هي نكرة على البيِّنة، وهي معرفة، كما قيل: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ}، فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثة الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البيِّنة، فقال: تلك البينة"[٢].

وفي قراءة أبيّ بن كعب : «ما كان الذي كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين»، وفي قراءة ابن مسعود : «لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين»[٣].

عن أبي الأسود قال: "رأيت مصحف عبد الله بن مسعود: «لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ذَاتُ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ وَإِنَّ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ غَيْرَ الْمُشْرِكَةِ لَمْ يَكُونُوا مُفْتَرِقِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ». وقال أبو الأسود: وقال عروة بن الزبير: إن الناس اختلفوا في قراءة: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب}، فدخل عمر بن الخطاب على حفصة بأديم، فقال: إذا دخل عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه يعلمك: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب}، وقولي له يكتبها لك في هذا الأديم؛ ففعلت فكتبها لها، فهي قراءة العامة"[٤].

**القرآن**

**{رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢)} [البيّنة : ٢]**

التفسير:

وهي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يتلو قرآنًا في صحف مطهرة.

قوله تعالى:{رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ} [البيّنة : ٢]، أي:" هذه البيّنة هي رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرسل من عند الله تعالى"[٥].

قال السمعاني:" أي: هو رسول من الله، وقيل: حتى أتاهم رسول من الله"[٦].

قال ابن كثير يعني : محمدًا صلى الله عليه وسلم"[٧].

قوله تعالى:{يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً} [البيّنة : ٢]، أي:" يتلو قرآنًا في صحف مطهرة"[٨].

قال الطبري:" يقول: يقرأ صحفا مطهرة من الباطل"[٩].

قال السمعاني:" أي: ما في الصحف، {مطهرة} من التغيير والتبديل والإدناس والإنجاس"[١٠].

---

(١) الكشف والبيان: ٢٦١/١٠.
(٢) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣١٦/٦.
(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٤٣):ص٦٢/٣.
(٥) صفوة التفاسير: ٥٦٠/٣.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٦٣/٦.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٩) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٦٣/٦.

قال ابن كثير: يعني :"ما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتتب في الملأ الأعلى، في صحف مطهرة كقوله :{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [ عبس : ١٣ - ١٦ ]"[١].

قال الزمخشري:" {صُحُفاً}: قراطيس، {مُطَهَّرَةً} من الباطل"[٢].

قال قتادة:" يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثني عليه بأحسن الثناء"[٣].

قال أهل العلم:" أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}، الآية، فكان القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار"[٤].

**القرآن**

**{فِيهَا كُتُبٌ قيِّمَةٌ (٣)} [البيّنة : ٣]**

التفسير:

في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

قال الطبري:" يقول: في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ، لأنها من عند الله"[٥].

قال مقاتل:" يعني: كتابا مستقيما على الحق ليس فيه عوج ولا اختلاف، وإنما سميت كتابا، لأن فيها أمورا شتى كثيرة مما ذكر الله- عز وجل- في القرآن"[٦].

قال الزجاج:" أي: كتب غير ذات عوج مستقيمة تبين الحق من الباطل على الاستواء والبرهان"[٧].

قال الزمخشري: أي: " مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق والعدل"[٨].

قال القرطبي:" أي مستقيمة مستوية محكمة، من قول العرب: قام يقوم: إذا استوى وصح"[٩].

قال السعدي: أي:" في تلك الصحف أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة"[١٠].

قال السمعاني:" أي: أحكام مستقيمة عادلة، والكتاب يأتي بمعنى الحكم، والكتب بمعنى الأحكام، وفي قصة العسيف أن النبي قال: «لأقضين بينكما بكتاب الله»[١١]، أي: بحكم الله"[١٢].

قال السدي:" يعني: فروض الله العادلة"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٨.
(٢) اكشاف: ٧٨٢/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٤.
(٤) انظر: فتح الباري: ١٣/٩.
(٥) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.
(٧)معاني القرآن: ٣٤٩/٥.
(٨) الكشاف: ٧٨٢/٤.
(٩) تفسير القرطبي: ١٤٣/٢٠.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٣١.
(١١)أخرجه الطيالسي (ص ١٨٩، رقم ١٣٣٣) ، وأحمد (١١٥/٤، رقم ١٧٠٧٩) ، والبخاري (٩٧١/٢، رقم ٢٥٧٥) ، ومسلم (١٣٢٤/٣، رقم ١٦٩٧) ، والنسائي (٢٤١/٨، رقم ٥٤١١) ، والترمذي (٣٩/٤، رقم ١٤٣٣) ، وابن ماجه (٨٥٢/٢، رقم ٢٥٤٩).
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٦٣/٦.
(١٣) النكت والعيون: ٣١٦/٦.

عن ابن زيد:" {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}، قال: التي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ؛ قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى: {فَيها كُتُبٌ قيِّمة}، قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ: {وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا} يقول: قيما مستقيما"[١].

وإذا كانت الكتب فيها صحف!

فإن صحف هذا الكتاب المبارك فيها كتب!

إن الصفحة الواحدة من القرآن الكريم تشتمل حقا على كتب قيمة!

وهذا ما شاهدناه ورأيناه. . . وشاهده معنا ورآه مؤرخو الفكر وراصدو الحضارة.

لقد قامت علوم شتى لخدمة ذلك الكتاب المجيد: مثل: علوم القرآن، والتفسير، واللغة، والحديث، والفقه، والسير والمغازي والرجال. . وغيرها، وغيرها كثير[٢].

قال العلماء: "من أول السورة إلى قوله: {فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}، حكمها في من آمن من أهل الكتاب والمشركين، {وَما تَفَرَّقَ} حكمه في من لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج عليها"[٣].

**القرآن**

**{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)} [البيّنة : ٤]**

التفسير:

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا حقًا؛ لما يجدونه من نعته في كتابهم، إلا مِن بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعِث تفرقوا: فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته بغياً وحسداً.

قال مقاتل:" يقول الله- تعالى- لم يزل الذين كفروا مجتمعين على تصديق محمد- صلى الله عليه وسلم- حتى بعث لأن نعته معهم في كتبهم فلما بعث الله- عز وجل- من غير ولد إسحاق اختلفوا فيه فآمن بعضهم: عبد الله بن سلام وأصحابه من أهل التوراة، ومن أهل الإنجيل أربعون رجلا منهم بحيري، وكذب به سائر أهل الكتاب"[٤].

قال الزجاج:" أي: ما تفرقوا في ملكهم وكفرهم بالنبي عليه السلام إلا من بعد أن تبينوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل"[٥].

قال الطبري:" يقول: وما تفرّق اليهود والنصارى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فكذّبوا به، إلا من بعد ما جاءتهم بيان أمر محمد أنه رسول بإرسال الله إياه إلى خلقه، فلما بعثه الله تفرّقوا فيه، فكذّب به بعضهم، وآمن بعضهم، وقد كانوا قبل أن يُبعث غير مفترقين فيه أنه نبي"[٦].

قال الثعالبي:" ذم تعالى أهل الكتاب في أنهم لم يتفرقوا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته"[٧].

قال السمعاني:" {الْبَيِّنَةُ}: البينات والبراهين والدلائل"[٨].

عن أبي العالية:"{ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}: القرآن"[٩].

---

(١)أخرجه الطبري: ١٧/ ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢)مناظرة بين الإسلام والنصرانية: ٢٨٥.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦١/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.

(٥)معاني القرآن: ٣٤٩/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤.

(٧) جواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي": ٦١٤/٥.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٦٤/٦.

(٩) النكت والعيون: ٣١٦/٦.

قال ابن كثير :" يعني بذلك : أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافًا كثيرًا، كما جاء في الحديث المروي من طرق : «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة". قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : "ما أنا عليه وأصحابي"[١]» "[٢].

قال الزمخشري: " جمع بين أهل الكتاب والمشركين أوّلا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله: {وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ}، لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف. والمراد بتفرقهم: تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه. أو تفرقهم فرقا، فمنهم من آمن، ومنهم من أنكر وقال: ليس به، ومنهم من عرف وعاند"[٣].

**القرآن**

**{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)} [البيّنة : ٥]**

التفسير:

وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيمان، ويقيموا الصلاة، ويُؤَدُّوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البيّنة : ٥]، أي:" وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه"[٤].

قال مقاتل:" يعني به: التوحيد"[٥].

قال الزجاج:" أي: يعبدونه موحدين له لا يعبدون معه غيره"[٦].

قال الطبري: يقول: " وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم ربهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عُزَيرا ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم"[٧].

قال السعدي: أي:" قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه"[٨].

قال أبو العالية:" أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"[٩].

قوله تعالى:{حُنَفَاءَ} [البيّنة : ٥]، أي:" مائلين عن الشرك إلى الإيمان"[١٠].

وفي قوله تعالى:{حُنَفَاءَ} [البيّنة : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: مسلمين لله، وهو قول الضحاك[١١]، قال ذو الرمة[١]:

---

(١)جاء هذا الحديث من حديث أبي هريرة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله - رضي الله عنهم - قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "هو حديث صحيح مشهور" وانظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٤٤٧/١ - ٤٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.

(٣) اكشاف: ٧٨٢/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.

(٦) معاني القرآن: ٣٤٩/٥.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤.

(٨) تفسير السعدي: ٩٣١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢١):ص٢١٤٦/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(١١) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.

إذا حَوَّل الظلُّ العشِيَّ رأيتَه ... حنيفًا وفي قَرنِ الضحَى يَتَنَصَّر

وقال الراعي[٢]:

أخليفة الرحمنِ إنا مَعْشرٌ ... حُنفاءُ نسجُدُ بُكرةً وأصيلاً

قال مقاتل:" يعني: مسلمين غير مشركين"[٣].

قال النحاس:" أصل هذا أن «الحنف»: الميل، فقيل: حنيف للمائل إلى الإسلام ميلا لا خلل فيه ولا رجوع"[٤].

قال ابن كثير: أي:" مُتَحنفين عن الشرك إلى التوحيد. كقوله :{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [ النحل : ٣٦ ]"[٥].

قال السعدي: " أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد"[٦].

قال القشيري:" «الحنيف»: المائل إلى الحق عن الباطل في القلب والنفس، في الجهر وفى السر، في الأفعال وفى الأحوال وفى الأقوال"[٧].

قال ابن فورك:" الحنيف: المائل إلى الحق، والحنيفية الشريعة المائلة إلى الحق وقيل: للمائل القدم أحنف على التفاؤل"[٨].

الثاني : مخلصين لله، وهو قول خصيف[٩]، ومقاتل[١٠]، ويحيى بن سلام[١١].

الثالث : مستقيمين لله، قاله محمد بن كعب[١٢]، وعليّ بن عيسى[١٣].

الرابع : يعني: متبعين. قاله مجاهد[١٤].

الخامس: أنهم المؤمنون بالرسل كلهم ، قاله أبو قلابة[١٥].

وقال الزجاج :"على دين إبراهيم ودين محمد عليه السلام"[١٦].

السادس : أن الحنيفية: الختان، وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات والمناسك. قاله قتادة[١٧].

---

(١)ديوانه ٢٢٩- والاضداد للانبارى ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ والقرطبي ٢/ ١٤٠ واللسان (حول).

(٢)جمهرة أشعار العرب: ١٧٥، وغيرها، من ملحمته المشهورة، قالها لعبد الملك بن مروان، وكان بعض عماله على الصدقات، قد أوقع ببني نمير قوم الراعي، لأن قيسًا كانت زبيرية الهوى، فقال:

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأَصِيلاَ

عَرَبٌ، نَرَى لِلهِ فِي أمْوالِنا ... حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاَ

إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أمْرَتَهُمْ ... وأَتَوْا دَواهِيَ، لو عَلِمْتَ، وغُولا

ثم يقول له: أخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بالأصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاً

حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا..... ... . . . . .

جَاءوا بِصَكَّهِمُ، وَأَحْدَبَ أسْأَرَتْ ... مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إجْفِيلا

وهي من جيد الشعر.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.

(٤) إعراب القرآن: ١٦٩/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٩٣١.

(٧) لطائف الإشارات:٥٤٢/٢.

(٨) تفسير ابن فورك: ٢٥٥/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٢٦/٣.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٧٠/١.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٨):ص٢٤٩١/٨.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(١٦) معاني القرآن: ٣٤٩/٥.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤.

السابع : حجاجاً إلى الله، وهو قول ابن عباس[١]، والضحاك[٢]، وعبد الله بن القاسم[٣]، وقطرب[٤].

قال ابن عباس:" حجاجا مسلمين غير مشركين، يقول: ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويحجوا وذلك دين القيمة"[٥].

وقال عطية العوفي : "إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه المسلم "[٦].

وقال سعيد بن جبير : "لا تسمي العرب الحنيف إلا لمن حج واختتن"[٧]

قال السمعاني:" المعنى: أمروا أن يكونوا حنفاء، فإن كان الخطاب مع المسلمين فالمراد منه أن يكونوا حجاجا وإن كان الخطاب مع الكفار فالمراد أن يكونوا مسلمين"[٨].

قوله تعالى:{وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} [البيّنة : ٥]، أي:" وأُمروا بأن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، في أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس"[٩].

قال مقاتل:" أمرهم أن يقيموا الصلاة الخمس المكتوبة ويؤتوا الزكاة المفروضة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وليقيموا الصلاة، وليؤتوا الزكاة"[١١].

قال الزجاج :" أي: يؤمنوا مع التوحيد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ويقيموا شرائعه"[١٢].

قال ابن كثير: "{وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} وهي أشرف عبادات البدن، {وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} وهي الإحسان إلى الفقراء والمحاويج"[١٣].

قال الزجاج :" أي: يؤمنوا مع التوحيد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ويقيموا شرائعه"[١٤].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[١٥].

قال الحسن: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[١٦]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[١٧].

عن قتادة: "{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، فهما فريضتان واجبتان، لا رخصة لأحد فيهما، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره"[١٨].

قال أهل العلم:" فدلّت هذه الآية على أن الدين العبادات، لقوله: {ذلك دينُ القَيِّمَةِ} بعد ذكر العبادة والصلاة والزكاة"[١].

---

(١) انظر: : تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤، و تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٥):ص٢٤٩١/٨.
(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٩/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٧):ص٢٤٩١/٨.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٤.
(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٣١٧/٦.
(٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٣١٧/٦.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٦٤/٦.
(٩) صفوة التفاسير: ٥٦١/٣.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٣٥٠/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.
(١٤) معاني القرآن: ٣٥٠/٥.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.

قال النحاس:" وهذا دليل قاطع على أن الإسلام قول وعمل. قال جل وعز: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ} [آل عمران: ١٩]، ويبيّن أن إقام الصّلاة وإيتاء الزكاة دين القيّمة"[٢].

قال الثعالبي:" يقوي قول من قال: السورة مدنية لأن الزكاة إنما فرضت بالمدينة، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما دفع إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة"[٣].

قال السعدي: " وخصّ الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله {لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ} لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين"[٤].

عن أبي وائل شقيق بن سلمة -من طريق المُغيرة- قال: "قوم يسألوني عن السُّنّة؟ فقرأ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتابِ} حتى بلغ {وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}، قرأها وهو يُعرِّض بالمُرجئة"[٥].

عن عطاء بن أبي رباح، أنه قيل له: "إنّ قومًا قالوا: إنّ الصلاة والزكاة ليسا من الدين. فقال: أليس يقول الله: {وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}؟ فالصلاة والزكاة من الدين"[٦].

عن عقيل قال: "قلت للزهري: تزعمون أن الصلاة والزكاة ليس من الإيمان؟ فقرأ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)} [البيّنة : ٥]، ترى هذا من الإيمان أم لا؟"[٧].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البيّنة : ٥]، أي:" وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام"[٨].

قال السعدي: "أي: التوحيد والإخلاص في الدين، هو الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم"[٩].

قال مقاتل:" يعني: الملة المستقيمة"[١٠].

قال الزجاج :"أي: وذلك دين الأمة القيمة بالحق فيكون ذلك دين الملة المستقيمة"[١١].

قال الطبري:" يعني: أن هذا الذي ذكر أنه أمر به هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هو الدين القيمة، ويعني بالقيِّمة: المستقيمة العادلة"[١٢].

قال ابن كثير: "أي : الملة القائمة العادلة، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة. وقد استدل كثير من الأئمة، كالزهري والشافعي، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان ؛ ولهذا قال :{وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}"[١٣].

---

(١)العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ٢٨٧/٩.
(٢) إعراب القرآن: ١٦٩/٥.
(٣) جواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي": ٦١٤/٥.
(٤) تفسير السعدي: ٩٣١.
(٥)أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ١/ ٨٨، والحاكم (ت: مصطفى عطا) ٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠ (٣٩٦٤/ ١١٠١). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وفيه: كان أبو وائل إذا سئل عن شيء من الإيمان قرأ: {لَمْ يَكُن} الآية.
(٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٠):ص٣٤٥٤/١٠.
(٨) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٩) تفسير السعدي: ٩٣١.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.
(١١) معاني القرآن: ٣٥٠/٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.

قال ابن فورك:" القيمة: المستمرة في جهة الصواب، وهو «فيعلة» من: قام بالأمر يقوم به إذا أجراه في جهة الاستقامة، وتقديره: وذلك دين الملة القيمة أو الشريعة القيمة"[١].

عن السُّدِّيّ: "{وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ} المِلّة المستقيمة"[٢].

عن ابن جريج:" {وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}، قال: القيِّم"[٣].

عن ابن زيد:" {كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} {وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}، قال: هو واحد; قيِّمة: مستقيمة معتدلة"[٤].

قال قتادة:" هو الدين الذي بعث الله به رسوله، وشرع لنفسه، ورضي به"[٥].

فوائد الآيات: [١-٥]:

١- بيان أن الديانات السابقة للإسلام والتي عاصرته كانت منحرفة اختلط فيها الحق بالباطل ولم تصبح صالحة للإسلام والهداية البشرية، ولا فرق بين اليهودية والنصرانية والمجوسية.

٢- أن الْيَهُود والمسيحيين حرفوا كتبهمْ بعد ظُهُور مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وشروع دَعوته لَا قبلهَا.

٣- إن الله ذمّ التَّفَرُّق بعد مَجِيء الرُّسُل والكتب من قبلنَا وَلَوْلَا أن فِي مَا جَاءَت بِهِ يُوجب الْوِفَاق مَا خص ذمهم بِتِلْكَ الْحَال قَالَ الله تَعَالَى {وَمَا تفرق الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا من بعد مَا جَاءَتْهُم الْبَيِّنَة} وَقبلهَا {حَتَّى تأتيهم الْبَيِّنَة رَسُول من الله يَتْلُو صحفا مطهرة فِيهَا كتب قيمَة} الْآيَات إِلَى {وَذَلِكَ دين الْقيمَة} ففسر الْبَيِّنَة بقوله رَسُول من الله إِلَى آخر الْآيَة وَقَالَ {وَمَا اخْتلف الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا من بعد مَا جَاءَهُم الْعلم بغيا بَينهم} وَقَالَ {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِين تفرقُوا وَاخْتلفُوا من بعد مَا جَاءَهُم الْبَيِّنَات}[٦].

٤- إن أهل الكتاب بصورة خاصة كانوا منتظرين البعثة المحمدية بفارغ الصبر لعلمهم بما أصاب دينهم من فساد، ولما بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءتهم البينة على صدقة وصحة ما جاء به تفرقوا فآمن البعض وكفر البعض.

٥- منع التفرق في الآراء والمعتقدات التي لا يتصف بها قوم إلا كانوا في طريقهم إلى الفضل رغم وضوح هذه الأدلة ورغم حاجة الأمة الإسلامية إلى العمل بمفهوم هذه الآيات البينات إلا أن المسلمين في عصرنا هذا لم يستفيدوا منها بل كان بعضهم قريباً من حال الذين أخبر الله عنهم أنهم ازدادوا بمجيء البينات اختلافاً وفرقة وبعداً عن منهج الله تعالى. قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة: ٤] . فما أكثر ما يجتمع المسلمون في شكل مؤتمرات وندوات ولقاءات ويكون شعارهم هو العمل بهذه الآية: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} ولكنهم يخرجون وهم على أشد ما يكونون من الاختلاف والتنافر وما أكثر ما يقرأ المسلمون هذه النصيحة الإلهية: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ} .

وما أكثر ما يقرؤون غيرها من الآيات ولكن لماذا لم يستفيدوا منها؟

والجواب: أنهم حينما يجتمعون يكون كل فريق وحزب في غاية الإصرار على أن حبل الله الذي يجب التمسك به هو ما هو عليه وحزبه ويجب على الآخرين الانضواء تحت رايتهم والسير على نهجهم وكل يرى نفس هذا الرأي وبالتالي يكون اجتماعهم لتعميق هذه الفرقة فلا يستفيدون من تلاوة هذه الآيات شيئاً لعدم إخضاع رغباتهم وأهوائهم لتحكيمها ولعدم رضاهم بالرجوع إلى الحق الذي هدى الله إليه سلف هذه الأمة وصلح عليه أمرهم وما دام كل حزب وكل فرقة تستدل بالآيات على أن الآخرين مفارقين للحق وأن الحق هو بأيديهم فقط وما داموا

---

(١) تفسير ابن فورك: ٢٥٥/٣.

(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٢ -.

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٤.

(٦) انظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير: ١١٢.

كذلك فلا أمل في عودة الوحدة الإسلامية. ومن عجيب أمر أهل الأهواء أن البينات التي تفصل النزاعات أصبحت هي بمفاهيم هؤلاء البدعية مصدر الاختلاف والنزاع بسبب عدم التسليم لمفهومها الصحيح وإلا فهي ليست كذلك وحبل الله وصراطه المستقيم واحد لا تعدد فيه {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} فكيف يتعدد الحق وكيف تصبح كل تلك الفرق والطوائف المبتعدة عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سبيل المؤمنين كيف يصبحون كلهم على حق(١).

٦- مما يؤخذ على اليهود والنصارى أنهم في كتبهم مأمورون بعبادة الله تعالى وحده والكفر بالشرك مائلين عن كل دين إلى دين الإسلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فما بالهم لما جاءهم الإسلام بمثل ما أمروا به كفروا به وعادوه. والجواب أنهم لما انحرفوا عز عليهم أن يستقيموا لما ألفوا من الشرك والضلالة والباطل.

٧- وإنما سمي هذا القرآن كتابا؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢١-٢٢]. ومكتوب في صحف عند الملائكة {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ} [عبس: ١٣-١٤]، وأيضا مكتوب عند المسلمين، كما قال تعالى: {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}[البينة: ٢-٣](٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والقرآن الذي أنزله الله على رسوله هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون، ويكتبونه في مصاحفهم، وهو كلام الله لا كلام غيره، وإن تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم، وأصواتهم فإن الكلام لمن قاله مبتدئاً، لا لمن قاله مبلغاً مؤدياً، قال الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَامَنَهُ} [التوبة: ٦] وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج:٢١ – ٢٢]، وقال تعالى: {يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [البينة:٢- ٣]، وقال: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة:٧٧-٧٨]، والقرآن كلام الله بحروفه، ونظمه، ومعانيه، كل ذلك يدخل في القرآن، وفي كلام الله"(٣).

٨- إن الإسلام كيان ثقافي هائل. . ومدرسة للعلوم والمعارف لا نظير لها. . .! ولقد ثبت- تاريخيا وحضاريا- أنه لم تقم دراسات بالكثرة والوفرة التي قامت حول القرآن الكريم، كتاب الله، وبيان الإسلام. . .! كذلك فإنه قد انبثق من العلم القرآني علوم شتى ومعارف لا تنتهي كثرة. . .!، يقول الله تعالى {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً} {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}. قال القرطبي:" «الكتب القيمة»: هي القرآن، فجعله كتبا لأنه يشتمل على أنواع من البيان"(٤).

٨- إن العبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين لله تحقيقا لقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، فالصلاة والصدقة والصيام والحج كل ذلك لله وحده، فلا يعبد إلا الله، ولا يعبد إلا بما شرع.

٩- بيان أن الملة القيمة والدين المنجي من العذاب المحقق للإسعاد والكمال ما قام على أساس عبادة الله وحده وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والميل عن كل دين إلى هذا الدين الإسلامي.

**القرآن**

**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)} [البيّنة : ٦]**

التفسير:

---

(١) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي: ص١٤٩/١.

(٢) انظر: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: ٣٦٧/١.

(٣)مجموع الفتاوى :٣/ ٤٠١.

(٤) تفسير القرطبي: ١٤٣/٢٠.

إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخليقة شرا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} [البيّنة : ٦]، أي:" إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين، عقابهم نار جهنم"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فجحدوا نبوّته، من اليهود والنصارى والمشركين جميعهم {فِي نَارِ جَهَنَّمَ}"(٢).

قال السعدي: " قد أحاط بهم عذابها، واشتد عليهم عقابها، وهذا جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة"(٣).

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [البيّنة : ٦]، أي:" ماكثين فيها أبداً لا يخرجون منها ولا يموتون"(٤).

قال مقاتل:" يقول: يقيمون فيها لا يموتون"(٥).

قال الطبري:" يقول: ماكثين لابثين فيها {أَبَدًا} لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها"(٦).

قال ابن كثير: " أي : ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون"(٧).

قال السعدي: " لا يفتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون"(٨).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البيّنة : ٦]، أي:" أولئك هم أشد الخليقة شرا"(٩).

قال ابن عباس: "يريد شر الخلائق"(١٠).

قال مقاتل:" يعني: شر الخليقة من أهل الأرض"(١١).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، هم شرّ من برأه الله وخلقه"(١٢).

قال ابن كثير: " أي : شر الخليقة التي برأها الله وذرأها "(١٣).

قال السعدي: " لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة"(١٤).

قال ابن عطية:" حكم الله في هذه الآية بتخليد الكافرين من {أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ}، وهم عبدة الأوثان في النار وبأنهم {شَرُّ الْبَرِيَّةِ}، و «البرية» جميع الخلق، لأن الله تعالى برأهم أو أوجدهم بعد العدم"(١٥).

قرأ نافع وابن عامر والأعرج: «البريئة» بالهمز من: «برأ»، وقرأ الباقون والجمهور: «البريّة» بشد الياء بغير همز على التسهيل، والقياس الهمز إلا أن هذا مما ترك همزه كالنبي والذرية، وقرأ بعض النحويين: «البرية» مأخوذ من «البراء» وهو التراب(١٦)"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٢) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٣١.[بتصرف]
(٤) صفوة التفاسير: ٥٦١/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.
(٨) تفسير السعدي: ٩٣١.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١٠) التفسير البسيط للواحدي :١١٩/٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٠/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٨.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٣١.
(١٥) المحرر الوجيز: ٥٠٨/٥.
(١٦)قال ابن عطية:" وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وغلطا وهو اشتقاق غير مرضي ". [المحرر الوجيز: ٥٠٨/٥].
(١٧) انظر: السبعة في القراءات: ٦٩٣، والمحرر الوجيز: ٥٠٨/٥.

قال ابن فورك:" البرية: «فعيلة»، من: برأ الله الخلق، إلا أنه ترك فيه الهمز، ويجوز أن تكون «فعيلة»: البرى، وهو التراب"[١].

قال الزجاج :" {الْبَرِيَّةِ}، الأصل: «البريئة»، إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال. يقولون: هذا خير البرية وشر البرية وما في البرية مثله، واشتقاقه من «برأ الله الخلق». وقال بعضهم: جائز أن يكون اشتقاقها من: «البرا»، وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا: «البريئة» بالهمز. والكلام: برأ الله الخلق يبرؤهم، ولم يحك أحد: «براهم يبريهم»، فيكون اشتقاقه من: «البرا»، وهو التراب"[٢].

**القرآن**

**{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)} [البيّنة : ٧]**

التفسير:

إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، أولئك هم خير الخلق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البيّنة : ٧]، أي:" إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى"[٤].

قال ابن عطية :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} :" شروط جميع أمة محمد، ومن آمن بنبيه من الأمم الماضية"[٥].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٦].

والإيمان: قول وعمل، قول باللسان وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان"[٧].

قال السمرقندي: " {وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ}، يعني: الطاعات"[٨].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البيّنة : ٧]، أي:" أولئك هم خير الخلق"[٩].

قال مقاتل:" يعني: خير الخليقة من أهل الأرض.. وكل شيء خلق من التراب فإنه يسمى البرية"[١٠].

قال الطبري:" يقول: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية"[١١].

قال السعدي: " لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة"[١٢].

قال ابن كثير: "وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة ؛ لقوله :{أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}"[١٣].

---

(١) تفسير ابن فورك: ٢٥٥/٣.
(٢) معاني القرآن: ٣٥٠/٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٠٨/٥.
(٦)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٧) لمعة الاعتقاد: ٢٦.
(٨)بحر العلوم: ١/ ٣٧٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨١/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤.
(١٢) تفسير السعدي: ٩٣١.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٨/٨.

عن أبي هريرة قال: "أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرءوا إن شئتم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)} [البيّنة : ٧]"[١].

قال النحاس:" ولا معنى لاحتجاج من احتجّ بأن الأنبياء صلوات الله عليهم والمؤمنين أفضل من الملائكة صلوات الله عليهم بهذه الآية لأن الملائكة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات"[٢].

عن أنس، قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاك إبراهيم»[٣].

عن محمد بن عليّ: "{أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنْتَ يا عَلي وَشِيعَتُكَ"[٤].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في قوله:" {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}، قال: ... هذا للخلائق كلّهم، قال الله تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} الآية [غافر: ٧]، فهؤلاء من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم ذكر الجن، فقال: إنهم قالوا: {وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا ومنا المسلمون} [الجن: ١٣ - ١٤]، فهؤلاء من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم جمع الخلائق كلّهم، وقال: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية} هؤلاء من الملائكة والإنس والجن، ليس خاصة ببني آدم"[٥].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أخبركم بخير البرية ؟" قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هَيْعَة استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية ؟ " قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "رجل في ثُلَّة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية ؟ ". قالوا : بلى. قال : "الذي يَسأل بالله، ولا يُعطي به"[٦].

---

قال ابن كثير: " قد اختلف الناس في تفصيل الملائكة على البشر على أقوال: فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص: " أنّه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة، فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم، واستدل بقوله تعالى: (إنَّ الّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات أولئك هم خير البريَّة) [البينة: ٧]. ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد. فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته، هم خدمة دارَيْه، ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: (ما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عن هذه الشَّجرة إلاَّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) [الأعراف: ٢٠].

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: قد أكرم الله آدم فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعل من ذريته الأنبياء، والرسل ومن يزوره الملائكة. فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله ". [(٤) البداية والنهاية: ١/ ٥٨].

وبعد فإن الخوض في هذه المسألة، وطلب المفاضلة بين صالح البشر والملائكة، من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به، فإن هذه المسألة وأشباهها لا حاجة للعبد في الخوض فيها والنزاع فيها من فضول العلم، ولا ضرورة على المسلم في معرفة الأفضل والأكمل منهم عليهم السلام، والذي ينبغي عليه أن يلتفت إلى صلاح نفسه بطاعة ربه. -والله تعالى أعلم-.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٢):ص٣٤٥٤/١٠.

(٢) إعراب القرآن: ١٧٠/٥.

(٣) سنن أبي داود(٤٦٧٢):٢١٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٤.

(٥)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٦)المسند (٣٩٦/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٩/٥) : "أبو معشر - نجيح - ضعيف، وأبو معشر (كذا فيه، والصواب : أبو وهب) مولى أبي هريرة لم أعرفه".

**القرآن**

**{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)} [البيّنة : ٨]**

التفسير:

جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

قوله تعالى:{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البيّنة : ٨]، أي:" جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثواب هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم يوم القيامة بساتين إقامَة لا ظعن فيها، تجري من تحت أشجارها الأنهار"[٢].

قال ابن مسعود: {جَنَّاتُ عَدْنٍ} بُطْنَانُ الْجَنَّة، يعني: وسطها"[٣].

عن ابن عباس في قوله: جنات عدن قال: معدنهم فيها أبدا"[٤].

قال الزجاج :" أي: جنات إقامة"[٥].

قال السعدي: " أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب لغاية فوقها"[٦].

قال النحاس:" يقال: عدن بالمكان إذا أقام به"[٧].

قال ابن عمر: " خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده: آدم -عليه السلام-, والعرش, والقلم, وجنات عدن, ثم قال لسائر الخلق: كن فكان"[٨].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٩].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[١٠].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[١١].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[١٢].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[١٣].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤-٥٤٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٤):ً١٨٤٠/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥٠):ً١٨٤٠/٦.

(٥) معاني القرآن: ٣٥٠/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٩٣٢.

(٧) إعراب القرآن: ١٧٠/٥.

(٨) الشريعة للآجري(٧٥٦):ص١١٨٣/٣، وأخرجه الحاكم في "المستدرك"( ٣٢٤٤):ص٣٤٩/٢، بزيادة:" واحتجب من الخلق بأربعة: بنار، وظلمة، ونور، وظلمة". وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(١٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(١٤) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[١].
الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٢].
و«الجنة»: هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة فمنها:
١- الجنة: وهو الاسم المشهور لها، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذَّة، والبهجة، والسرور، وقرّة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه سُمِّيَ الجنين لاستتاره في البطن، ومنه سُمِّي البستان: جَنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع[٣].
والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنات، والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض[٤]، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ:١٥]، والحديقة: جمع "حدائق"، وهي الروضة ذات الشجر والنخيل، وهي البستان، وسُميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء فيها[٥]. قال الله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} [النبأ٣١ - ٣٢]، وقد ذكر الله تعالى الجنة في القرآن الكريم بلفظ المفرد "جنة" ستاً وستين مرة، ولفظ الجمع «جنات» تسعاً وستين مرة[٦].
٢- دار السلام، قال سبحانه: {لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ}[كالأنعام:١٢٧].
{وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ} [يونس:٢٥]. فهي دار سلامٍ من كل بليَّةٍ وآفة[٧].
٣- دار الخلد، وسُمْيت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً،
قال الله تعالى: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود:١٠٨]، أي: غير مقطوع. وقال تعالى:
{ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} [ق:٣٤]، وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} [ص:٥٤].
٤- دار المقامة، قال الله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر:٣٥].
٥- جنة المأوى، قال تعالى: {عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}[النجم:١٥].
٦- جنات عدن، قال سبحانه: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم:١٦].
٧- الفردوس، قال تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون:١٠-١١].
والفردوس: هو البستان الذي يجمع كل شيء يكون في البساتين[٨].
٨- جنات النعيم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}[لقمان:٨]، وقال تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[القلم:٣٤].
٩- المقام الأمين، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}[الدخان:٥١].
والمقام: موضع الإقامة.
والأمين: الآمن مِنْ كل سوءٍ، وآفةٍ، ومكروهٍ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كله[٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.
(٣)انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص١١١.
.
(٤)انظر: لسان العرب، ١٣/ ٩٩، ومفردات القرآن للأصفهاني، ص٢٠٤، والمصباح المنير، ١/ ١١٢.
(٥)انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص٢٢٣، والقاموس المحيط، ص١١٢٧، وتفسير ابن كثير، ٤/ ٤٦٦.
(٦)انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٨٠ - ٨٢.
(٧)حادي الأرواح، ص١١٣ .
(٨) انظر: فتح الباري، ٦/ ١٣، والقاموس المحيط، ص٧٢٥.
(٩)حادي الأرواح لابن القيم، ص١١٦.

١٠-مقعد صدق، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر:٥٤-٥٥]، سمَّى الله تعالى الجنة مقعد صدقٍ؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يُقال مودة صادقة، إذا كانت ثابتة تامة[١].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [البيّنة : ٨]، أي:" ما كثين فيها أبداً، لا يموتون ولا يخرجون منها، وهم في نعيم دائم لا ينقطع"[٢].

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٣].

قال ابن عباس:" يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له"[٤].

قال الطبري:" يقول: ماكثين فيها أبدًا، لا يخرجون عنها، ولا يموتون فيها"[٥].

قال ابن كثير: " أي : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ"[٦].

قوله تعالى:{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [البيّنة : ٨]، أي:" ضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات"[٧].

قال مقاتل:" {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بالطاعة، {وَرَضُوا عَنْهُ} بالثواب"[٨].

قال الطبري:" {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}، بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك، {وَرَضُوا عَنْهُ} بما أعطاهم من الثواب يومئذ، على طاعتهم ربهم في الدنيا، وجزاهم عليها من الكرامة"[٩].

قال ابن كثير: " ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، {وَرَضُوا عَنْهُ} فيما منحهم من الفضل العميم "[١٠].

قال السعدي:" فرضي عنهم بما قاموا به من مراضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من أنواع الكرامات وجزيل المثوبات"[١١].

قال الثعالبي:" قيل ذلك في الدنيا، فرضاه عنهم هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته، ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار"[١٢].

قال الحسن: "ارضَ عن الله يرضَ الله عنك، وأعطِ الله الحقّ من نفسك، أما سمعتَ ما قال -تبارك وتعالى-: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}؟"[١٣].

عن السُّدِّيّ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}: إذا كنتَ لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟!"[١٤].

قال جعفر الصادق: "{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بما كان سبق لهم مِن العناية والتوفيق، {ورَضُوا عَنْهُ} بما مَنَّ عليهم بمتابعتهم لرسوله، وقَبولهم ما جاءهم به"[١٥].

قال سهل: "«إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة فطوبى لهم وحسن مآب».

قال الكلاباذي:" يريد قوله جل وعز {رَضِي الله عَنْهُم وَرَضوا عَنهُ}، فمعناه: الرضا في الدنيا

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم:١١٧.
(٢) صفوة التفاسير: ٥٦١/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٢٨٤):ص٦١٢/٢-٦١٣.
(٥) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٤-٥٤٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٥٨/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨١/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٥٨/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٩٣٢.
(١٢) جواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي": ٦١٤/٥.
(١٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله ١/ ٤٥٣ (٩٠).
(١٤)تفسير البغوي ٦/ ٤٩٧.
(١٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٢.

تحت مجارى الأحكام يورث الرضوان في الآخرة بما جرت به الأقلام قال الله تعالى: {وَقضي بَينهم بِالْحَقِّ وَقيل الْحَمد لله رب الْعَالمين}، فهو قول الفريقين من أهل الجنة والنار من الموحدين من أهلها فإن المشركين لا يؤذن لهم في الحمد لأنهم محجوبون"[١].

قال عبد الواحد بن زيد: "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين"[٢]، " ما أحسب شيئًا من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا. ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضا، وهي رأس المحبة"[٣].

قال الحسن بن صالح: "ربما أصبحتُ وما معي درهم، وكأن الدُّنيا قد حيزت لي"[٤].

قال أبو عثمان النهدي: "منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته"[٥].

قال السري -رحمه الله-: "إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟"[٦].

عن الحسن بن علويه، قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: دواء القلب خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. وسمعته يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله كيف تسأله الرضا عنك؟"[٧].

قيل: "الرضا ينقسم إلى قسمين: رضا به ورضا عنه، فالرضا به: ربا ومدبرا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر"[٨].

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} [البيّنة : ٨]، أي:" ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه"[٩].

قال الطبري:" هذا الخير الذي وصفته، ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة، لمن خاف الله في الدنيا في سرّه وعلانيته، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"[١٠].

قال النحاس:" أي: لمن اتّقى الله في الدنيا في سرّه وعلانيته فأدّى فرائضه واجتنب معاصيه"[١١].

قال ابن الجوزي:" أي: خافه في الدنيا، وتناهى عن معاصيه"[١٢].

قال ابن كثير: " أي : هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وقد علم أنه إن لم يره فإنه يراه "[١٣].

قال السعدي:" أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته"[١٤].

قال الثعالبي:" وخصّ تعالى بالذكر أهل الخشية، لأنها رأس كل بركة وهي الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر"[١٥].

فوائد الآيات: [٦-١٠]:

١- بيان جزاء من كفر بالإسلام من سائر الناس وأنه بئس الجزاء.

---

(١) نقلا عن: التعرف لمذهب أهل التصوف: ١٠٢.
(٢)الحلية (تهذيبه) ٢/ ٣٠١.
(٣)الحلية (تهذيبه): ٢/ ٣٠٥.
(٤)السير (تهذيبه): ٢/ ٧٠٣.
(٥)المنتظم: ١٣/ ١٢١.
(٦) نقلا عن: تفسير البغوي: ٢٩١/٥، ط. إحياء التراث، والمحرر الوجيز: ٥٠٩/٥.
(٧) صفة الصفوة: ٢٩٣/٢.
(٨) نقلا عن: تفسير البغوي: ٤٩٧/٨. ط. طيبة.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٤.
(١١) إعراب القرآن: ١٧٠/٥.
(١٢) زاد المسير: ٤٧٦/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٨/٨.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٣٢.
(١٥) جواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي": ٦١٤/٥.

٢- بيان جزاء من آمن بالإسلام ودخل فيه وطبق قواعده واستقام على الأمر والنهي فيه وهو نعم الجزاء رضى الله والخلود في دار السلام.
٣- التأكيد على أبدية الجنة والنار.

أكد الخلود بالأبدية في الجنة، بقوله تعالى: {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [البينة:٨] ، فلا شك أن هذا دليل على البقاء، تأكيد بثلاثة أشياء في سورة التوبة، قال تعالى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} [التوبة:٢١-٢٢] ، «مقيم»: يعني: دائم، «خالدين»: يعني: دائمين، «أبداً» : يعني: مؤبداً، فأكده بقوله: «مقيم» وبقوله: «خالدين»، وبقوله: «أبداً»، ولا شك أن ذلك دليل على الأبدية والاستمرار، واستدل الشارح بقول الله تعالى في أهل الجنة في سورة الدخان: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى} [الدخان:٥٦] يعني: التي في الدنيا، فمعناه أنهم دائمون لا يموتون، بل مستمر بقاؤهم ولا يتحولون عنها، فلا يذوقون فيها الموت إلا موتتهم التي في الدنيا، فهذا دليل أيضاً على بقائها. واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم في وصف أهل الجنة أنه يقال لهم: «ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»[١]، واستدل بالحديث الذي تقدم في ذبح الموت بين الجنة والنار، وأنه يقال لأهل الجنة: « يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»[٢]، فيزداد أهل الجنة فرحاً، ويزداد أهل النار سوءًا وحزناً؛ وذلك لأن أهل النار يتمنون الخلاص، بل يتمنون أن يقضى عليهم يقولون: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف:٧٧] ، فيتمنون أن يموتوا، فيخبر الله بأن ذلك لا يكون، يقول الله تعالى: {لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر:٣٦] ، ويقول في آية أخرى: {لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا} [الأعلى:١٣] ، يتمنى الموت فلا يموت، ولا يحيا حياة طيبة يسعد فيها وينعم، هذه حالتهم، ولا شك أن هذا دليل على البقاء، ودليل على دوامهم وعدم انقطاع نعيم هؤلاء وعذاب هؤلاء[٣].

وأما أبدية النار: فمن أدلته ما ورد من خلود بعض أهلها فيها، وتأبيدهم وعدم خروجهم منها، وأن عذابها مقيم، كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)} [البينة : ٦]، وقوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ}، [المائدة:٣٧]. وقوله: {لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف:٧٥]، وقوله {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [البينة: ٦].

وقد أشار شارح الطحاوية في أبدية النار ودوامها ثمانية أقوال، ما ذكرته من القول بدوامها وبقاء الكفار فيها هو القول الحق الذي تسنده الأدلة، ومن أراد المزيد فليراجع المصدر المذكور[٤].

إلا أن أقبح الأقوال وأشدها شذوذاً ونكراناً: قول الجهم بن صفوان إمام المعطلة، الذي ذهب إلى القول بفناء الجنة والنار جميعاً، وليس له في هذا القول سلف، وأنكر عليه عامة أهل السنة وكفروه به[٥].

---

(١)أخرجه أحمد (٩٥/٣، رقم ١١٩٢٤) ، وعبد بن حميد (ص ٢٩٣، رقم ٩٤٢) ، والدارمى (٤٣٠/٢، رقم ٢٨٢٤) ، ومسلم (٢١٨٢/٤، رقم ٢٨٣٧) ، والترمذى (٣٧٤/٥، رقم ٣٢٤٦) ، والنسائى فى الكبرى (٣٤٥/٦، رقم ١١١٨٤).
(٢)أخرجه مسلم (٢١٨٨/٤، رقم ٢٨٤٩) ، والطبرانى (٣٦١/١٢، رقم ١٣٣٤٦).
(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن جبرين[١٢/٦٦، مرقم آليا].

(٤) انظر: شرح الطحاوية: ٦٢٤/٢-٦٢٥.
(٥)انظر: شرح الطحاوية: ٦٢١/٢.

٤- أن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنه قد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة بذكر الرضى، أي: رضى رب العالمين عن عباده المؤمنين لإيمانهم وطاعتهم وحسن عبادتهم، وإخلاص العبادة له سبحانه وعدم الالتفات إلى سواه عز وجل. كما أخبر الله في كتابه عن رضى عباده المؤمنين عن ربهم حين يتفضل عليهم فيدخلهم الجنة ويحل عليهم رضوانه الذي لا يعقبه السخط أبداً، قال تعالى: {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}.
٣- فضل الخشية إن حملت صاحبها على طاعة الله ورسوله فأطاعهما بأداء الفرائض وترك المحرمات في الاعتقاد والقول والعمل.

**«آخر تفسير سورة (البيّنة)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الزلزلة»**

«سورة الزلزلة»: هي السورة التاسعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النساء»، وقبل «سورة الحديد». آياتها ثمان في عد الكوفة، وتسع في عد الباقين. وكلماتها خمس وثلاثون. وحروفها مائة وتسع عشرة. المختلف فيها آية: {أَشْتَاتًا } [الزلزلة : ٦]، فواصل آياتها «هما»، على الميم آية: {أَعْمَالَهُمْ} [الزلزلة : ٦][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

**١-«سورة الزلزلة»:**

اشتهرت تسميتها بسورة«الزلزلة»، وهي تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها، وبذلك كتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير[٢]، ووجه تسميتها لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال قبل يوم القيامة، قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١]. وقال تعالى في سورة«الحج»: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [الحج : ١].

**١-«سورة إذا زلزلت»:**

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-[٣] سورة: «إذا زلزلت»، وكذلك عنون لها الطبري في تفسيره[٤]، وترجم لها البخاري[٥]، والترمذي[٦] في كتابيهما.

ووجه تسميتها سورة: «إذا زلزلت»، لافتتاحها بهذه الجملة في قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١].

- **ثانيا:-أسماؤها الاجتهادية:**

**١-«سورة الزلزال»**

سميت في بعض المصاحف[٧]، وبعض كتب التفسير[٨] : «سورة الزلزال»، وهي تسمية بالمعنى لبعض ألفاظها، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يثبت هذه التسمية.

**٢-«سورة زلزلت»**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٦/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٣/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٥٧/٣، والكشف والبيان: ٢٦٣/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٨٩/١٢، والنكت والعيون: ٣١٨/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤١/٤، وتفسير البغوي: ٤٩٨/٨، والكشاف: ٧٨٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر: فضائل السورة.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٥/٢٤.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٥/٦.

(٦) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٦/٥.

(٧) من تلك المصاحف:

- مصحف نسخ سنة(٩٠٥هـ)، وهو نسخة أصلية بجامعة الإمام رقم(٣٣٨٨).
- مصحف نسخ سنة(١٠٩٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٨٠٤٣).
- مصحف نسخ سنة(١٢٥٧هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٦٨٩٢).
- مصحف نسخ سنة(١٢٧٨هـ)، وهو مخطوط بجامعة الإمام رقم(٧٢٧١).
- مصحف نسخ في القرن الثالث عشر الهجري، وهو مخطوط بجامعة الملك سعود رقم(٣٨٢).
- ومصاحف مخطوطة بجامعة الإمام رقم(٥٩٧٠)، (٦٦٨).

(٨) انظر مثلا: تفسير الطبرسي: ٢٠٣/٣٠، وتفسير الإيجي: ٥١٩/٤، والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: ٥٢٤/٢، وتفسير المظهري: ٣٢١/١٠، وذكرها السخاوي في "جمال القراء": ٣٨/١.

سميت في مصحف بخط كوفي قديم من مصاحف القيروان «زلزلت»-كما قال ابن عاشور-[١]، وقد سماها السخاوي[٢] بهذا الاسم دون الاستناد على دليل.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة. قاله ابن عباس[٣]، وابن مسعود[٤]، ومجاهد[٥]، وعطاء[٦]، وجابر[٧].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩]، ومقاتل[١٠]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {إذا زلزلت} بالمدينة" [١٢].

عن قتادة قال:" نزلت بالمدينة {إذا زلزلت}" [١٣].

قال ابن عاشور:" والأصح أنها مكية واقتصر عليه البغوي وابن كثير ومحمد بن الحسن النيسابوري في تفاسيرهم"[١٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه مناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر فيما سلف جزاء المؤمنين والكافرين، بين هنا وقت ذلك الجزاء وعلاماته[١٥].

قال أبو حيان:" مناسبتها لما قبلها ظاهر. لما قال: اقرأ باسم ربك، فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا"[١٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- إثبات البعث وذكر أشراطه وما يعتري الناس عند حدوثها من الفزع.

٢- حضور الناس للحشر وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر وهو تحريض على فعل الخير واجتناب الشر.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان أحوال القيامة وأهوالها، وذكر جزاء الطاعة، وعقوبة المعصية، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل في قوله: {فَمَنْ يَعْمَلْ} [الزلزلة : ٧]، إلى آخره "[١٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(٢) انظر: جمال القراء: ٣٨/١.

(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

قال ابن عاشور:٤٨٩/٣٠:" وذكر القرطبي عن جابر أنها مكية ولعله يعني: جابر بن عبد الله الصحابي لأن المعروف عن جابر بن زيد أنها مدنية فإنها معدودة في نزول السور المدنية فيما روي عن جابر بن زيد".

(٨) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، وزاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٩) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، والمحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٤) التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

(١٥) انظر: تفسير المراغي: ٢١٧/٣٠.

(١٦) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

(١٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

السورة محكمة كلها [1].

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " أقرئني يا رسول الله، قال له: " اقرأ ثلاثا من ذات «الر»"، فقال الرجل: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: " فاقرأ من ذات «حم»" فقال: مثل مقالته الأولى، فقال: " اقرأ ثلاثا من «المسبحات» "، فقال: مثل مقالته، فقال الرجل: ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه: {إذا زلزلت الأرض}، حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أفلح الرويجل، أفلح الرويجل "، ثم قال: علي به، فجاءه، فقال له: " أمرت بيوم الأضحى، جعله الله عيدا لهذه الأمة "، فقال الرجل: أرأيت إن لم أجد إلا منيحة ابني، أفأضحي بها؟ قال: " لا، ولكن تأخذ من شعرك، وتقلم أظفارك، وتقص شاربك، وتحلق عانتك، فذلك تمام أضحيتك عند الله "[2].[حسن]
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هل تزوجت يا فلان؟ قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: أليس معك {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}؟ قال: بلى، قال: ثلث القرآن، قال: أليس معك {إذا جاء نصر الله

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٢) المسند(٦٥٧٥):ص١٣٩/١١. إسناده حسن، عيسى بن هلال الصدفي: روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات" ٢١٣/٥، وذكره الفسوي في "تاريخه" ٥١٥/٢ في ثقات التابعين من أهل مصر، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عياش بن عباس -وهو القتباني- فمن رجال مسلم. أبو عبد الرحمن: هو عبد الله بن يزيد المقرىء، وسعيد: هو ابن أبي أيوب.

ومن طريق أحمد أخرجه بتمامه المزي في "تهذيب الكمال" ٥٤/٢٣-٥٥ في ترجمة عيسى بن هلال الصدفي.

وأخرجه بتمامه أيضا ابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص ٢٥٨-٢٥٩ من طريق عبد الله بن يزيد، بهذا الإسناد.

وأخرجه غيره مقطعا في موضعين: فأخرج القسم الأول منه أبو داود (١٣٩٩) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (٧١٦) -ومن طريقه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٩٠) -، والحاكم ٥٣٢/٢، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٢) من طريق عبد الله بن يزيد، به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بقوله: بل صحيح، أي إنه ليس على شرطهما. وهو كما قال، فإن عياش بن عباس روى له مسلم فقط، وعيسى بن هلال لم يرو له واحد منهما.

وأخرجه ابن حبان (٧٧٣) مطولا من طريق سعيد بن أبي هلال، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" ٤٤/١ من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن عياش بن عباس، به والقسم الثاني أخرجه أبو داود (٢٧٨٩) من طريق عبد الله بن يزيد، شيخ أحمد، به.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" ٢١٢/٧، ٢١٣، وابن حبان (٥٩١٤) ، والدارقطني ٢٨٢/٤، والحكم ٢٢٣/٤، والبيهقي في "السنن" ٢٦٣/٩-٢٦٤، من طريق سعيد بن أبي أيوب، وعمرو بن الحارث، وعبد الله بن عياش بن عباس، ثلاثتهم عن عياش بن عباس، به. لكن سقط من إسناد مطبوع "المستدرك": عياش بن عباس.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقوله: "من ذات الر"، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را. والذي في القرآن منها خمس سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.

وقوله: "من ذات حم"، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: "من المسبحات"، أي: السور التي أولها سبح، ويسبح، وسبح، وهي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى.

وقوله: "أمرت بيوم الأضحى"، أي: بالتضحية في يوم الأضحى.

وقوله: "منيحة ابني"، المنيحة: هي شاة اللبن، تعطى للفقير ليحلب ويشرب لبنها، ثم يردها.

وقد وقع عند أبي داود والنسائي وابن حبان: منيحة أنثى، ولعل ما في "المسند" أشبه، لأن المنيحة لا تكون إلا أنثى، ورواية ابن عبد الحكم: شاة أهلي، ورواية الدارقطني: منيحة أبي، أو شاة أبي وأهلي ومنيحتهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم إنما منعه من ذبحها، لأنه لم يكن عنده شيء سواها ينتفع بها.

والفتح}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن قال: أليس معك: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}؟ قال: بلى، قال: ربع القرآن، قال: تزوج تزوج"[١].

- عن معاذ بن عبد الله الجهني، أن رجلا، من جهينة أخبره، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم «يقرأ في الصبح: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، في الركعتين كلتيهما»، فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا"[٢].[حسن]
- عن عبد الله بن عمرو، قال: نزلت: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، وأبو بكر رضي الله عنه قاعد، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» ، قال: أبكتني هذه السورة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله من بعدكم أمة يذنبون ويخطئون فيغفر لهم»[٣].
- عن سعيد بن المسيب:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الفجر فقرأ بهم في الركعة الأولى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ}، ثم أعادها في الثانية"[٤].
- عن أبي امامة:" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، و{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"[٥].
- عن أنس:" أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس يقرأ في الركعة الأولى بأم الكتاب و{إِذَا زُلْزِلَتِ}، وفي الثانية: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}"[٦].
- عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ :{إذا زُلْزِلَتِ}، أربع مرّات كان كمن قرأ القرآن كلّه» [٧].
- عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من قرأ في ليلة: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، كان له عدل نصف القرآن"[٨].
- عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ} ربع القرآن، و{إذا زُلْزِلَتِ الأرض}: ربع القرآن، وإذا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله}: ربع القرآن"[٩].

---

(١) سنن الترمذي(٢٨٩٥):ص١٦/٥. وقال :"هذا حديث حسن".
(٢) سنن أبي داود(٨١٦):ص٢١٥/١.
(٣) المعجم الكبير للطبراني(٨٧):ص٣٨/١٣، وشعب الإيمان للبيهقي(٦٧٠١):ً٣١٢/٩، وانظر: الكنى والأسماء(٤٧):ً١٧/١.
(٤) الدر المنثور: ٥٩١/٨.
(٥) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى أحمد ومحمد بن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.
(٦) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى البيهقي.
(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠.
(٨) الدر المنثور: ٥٩١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) المسند(١٢٤٨٨):ص٤٧٢/١٩، إسناده ضعيف لضعف سلمة بن وردان. عبد الله بن الوليد: هو العدني، وسفيان: هو الثوري.
وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٢٥٣٠) من طريق أبي حذيفة النهدي، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٣٨٠/١١ من طريق أبي هاشم عبد الملك بن عبد الرحمن، كلاهما عن سفيان الثوري، بهذا الإسناد.
وأخرجه الترمذي (٢٨٩٣) ، والعقيلي في "الضعفاء" ٢٤٣/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٦) من طريق الحسن بن سلم بن صالح العجلي، عن ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن، ومن قرأ (قل يا أيها الكافرون) عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ (قل هو الله أحد) عدلت له بثلث القران". والحسن بن سلم مجهول.

- عن ابن عباس قال: قال رسول الله -عليه السلام-: «{إذا زُلْزِلَتِ} تعدل نصف القرآن، و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن و{قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ}، تعدل ربع القرآن»[1].
- عن عاصم قال: كان يقال: {قل هو الله أحد}: ثلث القرآن، و{إذا زلزلت الأرض}: نصف القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}: ربع القرآن"[2].
- عن الشعبي قال: "من قرأ: {إِذَا زُلْزِلَتِ}، فإنها تعدل سدس القرآن"[3].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

وجاء مطولا في مسند أحمد ضمن قصة برقم (١٣٣٠٩) عن عبد الله بن الحارث عن سلمة بن وردان، وزيد فيه (قل هو الله أحد) وآية الكرسي.

وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبي عبيد في "فضائل القرآن" ص٢٦٢-٢٦٣ و٢٦٥، والترمذي (٢٨٩٤) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٩٩) ، والحاكم ٥٦٦/١، والبيهقي في "الشعب" (٢٥١٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " (إذا زلزلت الأرض زلزالها) تعدل نصف القرآن، و (قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن، و (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن" وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ولا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. قلنا: ويمان ضعيف.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٣/١٠، وانظر: كنز العمال: ١/ ٥٨٤.

(٢) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى ابن الضريس.

(٣) الدر المنثور: ٥٩١/٨. وعزاه إلى الخطيب في تاريخه.

**القرآن**

**{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣)} [الزلزلة : ١-٣]**

التفسير:

إذا رُجَّت الأرض رجًّا شديدًا، وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز، وتساءل الإنسان فزعًا: ما الذي حدث لها؟

قوله تعالى:{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١]، أي:" إذا رُجَّت الأرض رجًّا شديدًا"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ} لقيام الساعة، فرُجَّت رجًّا"(٢).

قال الزجاج:" إذا حركت حركة شديدة"(٣).

قال مقاتل:" يقول: تزلزلت يوم القيامة من شدة صوت إسرافيل- عليه السلام- يعني تحركت، فتفطرت حتى تكسر كل شيء عليها بزلزالها من شدة الزلزلة، ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شيء خرج منها"(٤).

عن ابن عباس:" {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}: تحركت من أسفلها"(٥).

عن سعيد، قال: {زُلْزِلَتِ الأَرْضُ} على عهد عبد الله، فقال لها عبد الله: مالك، أما إنها لو تكلَّمت قامت الساعة"(٦).

قال الفراء:" حدثني محمد بن مروان قال: قلت: للكلبي: أرأيت قوله: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، فقال: هذا بمنزلة قوله: {وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} [نوح : ١٨]، قال الفراء، فأضيف المصدر إلى صاحبه وأنت قائل في الكلام: لأعطينك عطيتك، وأنت تريد عطية، ولكن قربه من الجواز موافقة رءوس الآيات التي جاءت بعدها، والزلزال بالكسر: المصدر والزلزال بالفتح: الاسم"(٧).

وفي وقت هذه «الزلزلة»، قولان:

أحدهما: أنها تكون في الدنيا، وهي من أشراط الساعة، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين(٨).

الثاني: أنها زلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد(٩) في آخرين.

وفي التفسير: أن إسرافيل إذا نفخ في الصور النفخة الأولى يكسر كل شيء على وجه الأرض من شدة نفخته، ويدخل في جوف الأرض، فإذا نفخ النفخة الثانية أخرجت جميع ما في جوفها، وألقتها على وجهها"(١٠).

قال ابن الجوزي:" الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة"(١١).

وأصل الزلزلة -في اللغة-: من :زل الشيء عن مكانه، فاذا قلت: زلزلته، فتأويله: كررت زلزلته مِن مكانه"(١٢).

قال ابن فورك:" الزلزلة: شدة الاضطراب عما يهدم البنيان، زل زل يزل زل زلزالا فكأنه مكرر زل يزل زلا للتكثير والتعظيم"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٢) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٣٥١/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٣):ص٣٤٥٥/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٨٣/٣.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.
(١٠) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٦٧/٦.
(١١) زاد المسير: ٢٢٠/٣.
(١٢) زاد المسير: ١٧٨/١.

قال الزمخشري: أي: " زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله، وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. ونحوه قولك: أكرم التقيّ إكرامه، وأهن الفاسق إهانته، تريد: ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه"[٢].

وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو حيوة والجحدريّ: «زلزالها» بفتح الزاي[٣].

قوله تعالى:{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]، أي:" وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لفظت ما فيها من الكنوز والموتى، قاله عطية[٥]، والفراء[٦]، والزجاج[٧].

عن عطية :" {وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، قال: ما فيها من الكنوز والموتى"[٨].

قال الفراء:" لفظت ما فيها من ذهب أو فضة أو ميت"[٩].

قال الزجاج:" أخرجت كنوزها وموتاها"[١٠].

عن سفيان الثوري:"{وأخرجت الأرض أثقالها}، قال: ما استودعت"[١١].

عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قَطَعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطِعت يدي، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئا"[١٢].

الثاني : أخرجت ما فيها من الموتى، قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤].

عن مجاهد: "{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، أخرجت من في القبور"[١٥].

عن ابن عباس: "{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، قال: الموتى"[١٦].

قال الطبري:" يقول: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى أحياء، والميت في بطن الأرض ثقل لها، وهو فوق ظهرها حيا ثقل عليها"[١٧].

قال ابن عطية:" «الأثقال» : الموتى الذين في بطنها. قاله ابن عباس، وهذه إشارة إلى البعث، وقال قوم من المفسرين منهم منذر بن سعيد الزجاج والنقاش: أخرجت موتاها وكنوزها، وليست القيامة موطنا لإخراج الكنوز، وإنما تخرج كنوزها وقت الدجال"[١٨].

قال ابن فورك:" إثقال الأرض: ما فيها مدفون من ميت أو غيره تلفظ بكل ما فيها عند انقضاء أمر الدنيا وتجديد أمر الآخر"[١٩].

---

(١) تفسير ابن فورك: ٢٥٧/٣.
(٢) الكشاف: ٧٨٣/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٣٥):ص٣٤٥٥/١٠.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٨٣/٣.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٣٥١/٥.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٥):ص٣٤٥٥/١٠.
(٩) معاني القرآن: ٢٨٣/٣.
(١٠) معاني القرآن: ٣٥١/٥.
(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٧٤):ص٤٥٠/٣.
(١٢)صحيح مسلم برقم (١٠١٣).
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(١٥) تفسير مجاهد: ٧٤٢، وأخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(١٨) المحرر الوجيز: ٥١٠/٥.
(١٩) تفسير ابن فورك: ٢٥٧/٣.

قال ابن كثير:" وهذه كقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} [ الحج : ١ ] وكقوله {وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت} [ الانشقاق : ٣، ٤ ]"(١).

قال مقاتل:" يقول: تحركت فاضطربت، وأخرجت ما في جوفها من الناس، والدواب، والجن، وما عليها من الشياطين، فصارت خالية ليس فيها شيء، وتبسط الأرض جديدة بيضاء كأنها الفضة، أو كأنها خامة ولها شعاع كشعاع الشمس، لم يعمل عليها ذنب، ولم يهرق فيها الدماء وذلك أنه إذا جاءت النفخة الأولى، يموت الخلق كلهم، ثم تجيء النفخة الثانية، فأما الأولى فينادي من تحت العرش من فوق السماء السابعة، وأما الأخرى فمن بيت المقدس، «يقعد إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فيقول: أيتها العظام البالية، والعروق المتقطعة، واللحوم المتمزقة اخرجوا إلى فصل القضاء، لتجازوا بأعمالكم، قال: فيخرجون من قبورهم إلى الأرض الجديدة، وتسمى الساهرة، فذلك قوله- تعالى-: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]، وأيضا {وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]: أخرجت ما فيها من الموتى والأموال"(٢).

قال الزمخشري:" الأثقال: جمع : ثقل. وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن أثقالا لها"(٣).

قوله تعالى:{وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا} [الزلزلة : ٣]، أي:" وتساءل الإنسان فزعًا: ما الذي حدث لها؟"(٤).

قال الزمخشري: أي: ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء، فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع، كما يقولون: {مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا} [يس : ٥٢]، وقيل: هذا قول الكافر، لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس : ٥٢]"(٥).

قال ابن فورك:" معنى {مَا لَهَا}، أي: أي شيء أصارها إلى هذه الحالة التي ترى بها يقول الإنسان متعجبا من عظم شأنها وأنه لأمر عظيم، لفظت بما فيها وتخلت من جميع الأمور التي استودعتها"(٦).

قال ابن كثير:" أي : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، أي : تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار"(٧).

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا} [الزلزلة : ٣]، وجهان(٨):

أحدهما: أنه اسم جنس يعمّ الكافر والمؤمن، وهذا قول من جعلها من أشراط الساعة، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكلُّ أنها من أشراط الساعة، فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا.

قال الطبري:" وقال الناس إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة: ما للأرض وما قصتها؟"(٩).

الثاني: أنه الكافر خاصة، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة، لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها، والكافر جاحد لها لأنه لا يؤمن بالبعث، فلذلك يسأل.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٤-٧٩٠.
(٣) الكشاف: ٧٨٣/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٥) الكشاف: ٧٨٣/٤-٧٨٤.
(٦) تفسير ابن فورك: ٢٥٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٨.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤-٤٧٨.
(٩) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٤.

قال الفراء:" الإنسان، يعنى به –هاهنا-: الكافر"[١].
قال الزجاج:" هذا قول الكافر لأنه لم يكن يؤمن بالبعث، فقال: ما لها، أي: لأي شيء زلزالها"[٢].
عن ابن عباس :"{وَقَالَ الإنْسَانُ مَا لَهَا}، قال: الكافر"[٣]. وفي لفظ:" يقول الكافر مالها"[٤].
وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: "هو الأسود بن عبد الأسد"[٥].
قال مقاتل:" قال الكافر جزعا: ما لها تنطق بما عمل عليها؟!"[٦].
قال ابن عطية:" «قول الإنسان ما لها» هو قول على معنى التعجب من هول ما يرى، قال جمهور المفسرين: «الْإِنْسانُ» -هنا- يراد به: الكافر، وهذا متمكن لأنه يرى ما لم يظن به قط ولا صدقه، وقال بعض المتأولين هو عام في المؤمن والكافر، فالكافر على ما قدمناه، والمؤمن وإن كان قد آمن بالبعث فإنه استهول المرأى، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ليس الخبر كالمعاينة»[٧]"[٨].

**القرآن**
**{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥)} [الزلزلة : ٤-٥]**
التفسير:
يوم القيامة تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر، وبأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تخبر بما عُمل عليها.
قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} [الزلزلة : ٥]، أي:" يوم القيامة تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر"[٩].
قال الطبري:" يقول: يومئذ تحدث الأرض أخبارها"[١٠].
قال الفراء:" تخبر بما عمل عليها من حسن أو سيئ"[١١].
قال الزجاج:" تخبر بما عمل عليها"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها"[١٣].
قال النحاس:" معنى «تحدّث«» و«تخبّر» واحد. ودل هذا على أن معنى: حدّثنا وأخبرنا واحد"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٣/٣.
(٢) معاني القرآن: ٣٥١/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٣):ص٣٤٥٥/١٠.
(٥) تفسير القرطبي: ١٤٨/٢٠.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٤.
(٧)حديث ابن عباس: أخرجه الخطيب (٥٦/٦) . وأخرجه أيضا: أحمد (٢١٥/١، رقم ١٨٤٢) ، والديلمى (٣٩٩/٣، رقم ٥٢١٧) .
حديث أبى هريرة: أخرجه الخطيب (٢٧/٨) .
حديث أنس: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٩٠/٧، رقم ٦٩٤٣) . قال الهيثمى (١٥٣/١) : رجاله ثقات. والخطيب
(٣٦٠/٣) ، والديلمى (٤٠٠/٣، رقم ٥٢١٨) .
للحديث أطراف منها: "ليس المعاين كالمخبر".
(٨) المحرر الوجيز: ٥١٠/٥.
(٩) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٨٣/٣.
(١٢) معاني القرآن: ٣٥١/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٠/٨.

قال مقاتل:" يقول: تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر، تقول الأرض وحد الله على ظهري، وصلى علي، وصام، وحج، واعتمر، وجاهد، وأطاع ربه، فيفرح المؤمن. بذلك وتقول للكافر أشرك على ظهري، وزنى، وسرق، وشرب الخمر، وفعل، وفعل، فتوبخه في وجهه، وتشهد عليه أيضا الجوارح، والحفظة من الملائكة، مع علم الله- عز وجل- فيه، وذلك خزي العظيم"[٢].

قال ابن فورك: أي:" يظهر بالدليل الذي يجعله الله فيها ما يقوم مقام إخبارها بأن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، وأنه لا بد من الجزاء وأن الفوز لمن اتقى والنار لمن جحد"[٣].

عن سفيان:" {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}، قال: ما عمل عليها من خير أو شر"[٤].

قال مجاهد:" تخبر الناس بما عملوا عليها"[٥].

قال ابن زيد:" ما كان فيها، وعلى ظهرها من أعمال العباد"[٦].

عن ابن عباس :{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}، قال : قال لها ربها : قولي، فقالت"[٧].

عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يومئذ تحدث أخبارها}، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها"[٨].

عن الحارث بن يزيد - سمع ربيعة الجُرَشي - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا، إلا وهي مُخبرة"[٩].

عن ابن أبي صعصعة عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال لي أبو سعيد، وكان في حجره فقال لي: يا بني، إذا أذنت فارفع صوتك بالأذان، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ليس شيء يسمعه إلا شهد له جن ولا إنس، ولا حجر " وقال مرة: يا بني إذا

---

(١) إعراب القرآن: ١٧١/٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٤.
(٣) تفسير ابن فورك: ٢٥٨/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٣):ص٣٤٥٥/١٠.
(٨)يشبه الحسن، أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٢/ ٣٧٤ وابن حبان ٧٣٦٠ من طرق عن ابن المبارك عن يحيى بن أبي سليمان به. إسناده لين، رجاله ثقات سوى يحيى بن أبي سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي يكب حدثه، ووثقه ابن حبان والحاكم، وقال ابن عدي: هو ممن تكتب أحاديثه وإن كان بعضها غير محفوظ. وذكر له ابن عدي أحاديث فيها غرابة، وليس هذا منها، وقد روى عنه غير واحد من الثقات كشعبة وابن أبي ذئب وغيرهما، فالرجل غير متفق على ضعفه كما ترى، - وقال الحافظ في «التقريب» : لين الحديث، ولحديثه شواهد بمعناه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٢: من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٤٢ من طريق شعبة عن يحيى به. وصححه الحاكم، وقال الذهبي: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. قلت: أخذ الذهبي رحمه الله بالأشد، فقد تفرد البخاري بجرحه، في حين خالفه أبو حاتم فلينه، وابن حبان والحاكم فوثقاه. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٢٩٦ لكنه من طريق رشدين بن سعد عن يحيى بن أبي سليمان، ورشدين واه، وهذا من أوهامه كونه عن أنس، والمحفوظ عن سليمان عن سعيد عن أبي هريرة. فهذا شاهد لا يفرح به. وله شاهد من حديث ربيعة الجرشي، أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وفيه ابن لهيعة ضعيف، وربيعة مختلف في صحبته، والجمهور على أن له صحبة. ويشهد لأصل معناه حديث مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧ من حديث أبي هريرة- وقد ورد في تعليق ابن كثير رحمه الله السابق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقيء الأرض ...» الحديث.
(٩)المعجم الكبير (٦٥/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٤١/١) : "وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف".

كنت في البراري، فارفع صوتك بالأذان، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يسمعه جن ولا إنس ولا حجر ولا شيء يسمعه إلا شهد له"[١].

عن سعيد بن جبير:" يقرأ في المغرب مرة: «يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا»، ومرة: {تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}"[٢].

قوله تعالى:{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة : ٥]، أي:" ، وبأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تخبر بما عُمل عليها"[٣].

قال الطبري:" وتحديثها أخبارها، على القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود[٤]، أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليّ به، وأذن لي فيه"[٥].

قال الفراء :" يقول: تحدث أخبارها بوحي الله تبارك وتعالى، وإذنه لها"[٦].

قال القشيري:" أي: إنما تفعل ذلك بأمر الله"[٧].

عن سفيان:" {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}، قال: أعلمها ذلك"[٨].

قال مقاتل:" يقول: يوحي الله إليها بأن تحدث أخبارها"[٩].

عن مجاهد: "{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}، قال: أمرها"[١٠].

قال مجاهد:" أمرها، فألقَت ما فيها وتخلَّت"[١١].

وعن ابن عباس: "{أَوْحَى لَهَا}، قال: أوحى إليها"[١٢].

قال ابن عباس:" يريد أذن لها لتخبر بما عُمِل عليها"[١٣].

قال البخاري : "أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها : واحد"[١٤].

قال ابن كثير:" الظاهر أن هذا مُضَمَّن بمعنى: أذن لها"[١٥].

وقال القُرَظي : "أمرها أن تنشق عنهم"[١٦].

قال النحاس: الوحي على وجهين: أحدهما: وحي الله إلى أنبيائه عليهم السلام، والآخر: بمعنى: «الإلهام»، مثل قوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل : ٦٨]، ومثل هذه الآية، وهو قوله تعالى: {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة : ٥]، أي: ألهمها أن تحدث"[١٧].

---

(١) المسند(١١٠٣١):ص٧٧/١٧-٧٨. إسناده صحيح على شرط البخاري، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة وأبوه من رجاله، وقد قلب ابن عيينة اسمه في هذا الإسناد، فقال: عبد الله بن عبد الرحمن، والصواب ما ذكره الإمام أحمد عقب هذه الرواية.
وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (١٨٦٥) ، والحميدي (٧٣٢) ، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٩٩٧) ، وابن ماجه (٧٢٣) ، وأبو يعلى (٩٨٢) ، وابن خزيمة (٣٨٩) ، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص٢٩٨، والبيهقي في "المعرفة" (٢٥٠٦) من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٤. عن سعيد، قال: {زُلْزِلتِ الأرْضُ} على عهد عبد الله، فقال لها عبد الله: مالك؟، أما إنها لو تكلَّمت قامت الساعة".

(٥) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٨٣/٣.

(٧) لطائف الإشارات: ٧٥٥/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٣٣):ص٣٤٥٥/١٠.

(١٣) التفسير البسيط للواحدي: ٢٢٧/٢٤.

(١٤)صحيح البخاري (٧٢٦/٨) "فتح".

(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٦١/٨.

(١٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٦١/٨.

(١٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٦٨/٦.

قال الزمخشري:" معنى «تحديث الأرض والإيحاء لها»: هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان، حتى ينظر من يقول مالها إلى تلك الأحوال، فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات؟ وأنّ هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على الحقيقة. وتخبر بما عمل عليها من خير وشر"[١].

**القرآن**

**{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)} [الزلزلة : ٦]**

التفسير:

يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافًا متفرقين؛ ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويجازيهم عليها.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا} [الزلزلة : ٦]، أي:" يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافًا متفرقين"[٢].

قال الطبري:" يومئذ يصدر الناس أشتاتا متفرّقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار"[٣].

قال الزجاج:" أي: يصدرون متفرقين، منهم من عمل صالحا، ومنهم من عمل شرا"[٤].

قال القشيري:" {أَشْتَاتاً}: متفرّقين"[٥].

عن السدى: "{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا}، قال: فرقا"[٦].

عن ابن عباس:"{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا}، قال: من كل من هاهنا وهاهنا"[٧].

قال ابن جريج : "يتصدعون أشتاتًا فلا يجتمعون آخر ما عليهم"[٨].

قال مقاتل:" يعني: يرجع الناس من بعد العرض والحساب إلى منازلهم من الجنة والنار متفرقين، كقوله: {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} [الروم : ٤٣]، يعني: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير.. و«الأشتات»: الذين لا يلتقون أبدا"[٩].

قال ابن عطية:" معناه: قوم مؤمنون وقوم كافرون، وقوم عصاة مؤمنون، والكل سائر إلى العرض ليرى عمله، ويقف عليه"[١٠].

قال السمعاني:" يقال: شتان ما بين فلان وفلان أي: ما أشد التفرقة بينهما"[١١].

قوله تعالى:{لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} [الزلزلة : ٦]، أي:" ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويجازيهم عليها"[١٢].

---

(١) الكشاف: ٧٨٤/٤.

قال ابن عطية:" وهذا الوحي على هذا التأويل يحتمل أن يكون وحي إلهام، ويحتمل أن يكون وحيا برسول من الملائكة، وقد قال الشاعر:

أوحى لها القرار فاستقرت ... وشدها بالراسيات الثبت

والوحي في كلام العرب إلقاء المعنى إلقاء خفيا، وقال بعض المتأولين: أوْحى لها معناه: أوْحى إلى ملائكته المصرفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال". [المحرر الوجيز: ٥١١/٥، والشعر للعجاج، انظر: ديوانه: ٥، واللسان، مادة: «وَحَى»].

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٤.

(٤) معاني القرآن: ٣٥١/٥.

(٥) لطائف الإشارات: ٧٥٦/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٦):ص٣٤٥٥/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٣):ص٣٤٥٥/١٠.

(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٦١/٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٥١١/٥.

(١١) تفسير السمعاني: ٢٦٨/٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٩٩.

قال القشيري:" ليحاسبوا "[1].

قال ابن كثير:" أي : ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا، من خير وشر"[2].

قال الطبري:" فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله وما أعد الله له يومئذ من الكرامة، على طاعته إياه كانت في الدنيا، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه كانت في الدنيا، وكفره به"[3].

قال ابن فورك: أما رؤية الأعمال المعرفة بها عند تلك الحال وهذه رؤية القلب، ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف أعمالهم يقرؤون ما فيها. {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف : ٤٩]"[4].

**القرآن**

**{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧-٨]**

التفسير:

فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا، ير ثوابه في الآخرة، ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا، ير عقابه في الآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن العرب كانوا لا يتصدقون بالشيء القليل، وكانوا لا يرون بالذنب الصغير بأسا، فزهدهم الله- عز وجل- في الذنب الحقير، ورغبهم في الصدقة القليلة، فقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨] في كتابه- والذرة أصغر النمل وهي النملة الصغيرة، وأيضا {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} قدر نملة {شَرًّا يَرَهُ} يوم القيامة في كتابه، نزلت في رجلين بالمدينة، كان أحدهما إذا أتاه السائل يستقل أن يعطيه الكسرة أو التمرة، ويقول ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وقد قال الله- عز وجل-: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه} [الإنسان : ٨]، فيقول: ليس هذا مما يحب، فيستقل ذلك ويرى أنه لا يؤجر عليه، فيرد المسكين صفرا، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، ويقول ليس على من فعل هذا شيء إنما وعد الله النار أهل الكبائر. فأنزل الله- عز وجل- يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه لله فإنه يوشك أن «يكثر ويحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر فالذنب الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال الرواسي، ولجميع محاسنه التي عملها في دار الدنيا أصغر في عينه من حسنة واحدة"[5].

عن سعيد بن جبير:" في قول الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨]، وذلك لما نزلت هذه الآية :{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [ الإنسان : ٨ ]، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون : ما هذا بشيء. إنما نُؤجَر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت :{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني : وزن أصغر النمل {خَيْرًا يَرَهُ} يعني : في كتابه، ويَسُرُّه ذلك. قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين

---

(١) لطائف الإشارات: ٧٥٦/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦١/٨.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٤.

(٤) تفسير ابن فورك: ٢٥٨/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤-٧٩٢.

أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة"[1].

قوله تعالى:{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة : ٧]، أي:" فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا، ير ثوابه في الآخرة"[2].

قال الطبري:" يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك، وقيل: إن الذَّرَّة دُودة حمراء ليس لها وزن"[3].

قال مقاتل:" يقول من يعمل في الدنيا مثقال ذرة، -يعني: وزن نملة أصغر النمل الأحمر التي لا تكاد نراها من صغرها- خيرا، يره يوم القيامة في كتابه"[4].

عن ابن عباس:" {مِثْقَالَ ذَرَّة}: مثقال ذرّة حمراء"[5].

عن ابن عباس، {مِثْقَالَ ذَرَّة}:نملة حمراء"[6].

قال يزيد بن هارون: "وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن"[7].

عن إبراهيم التيمي، قال: "أدركت سبعين من أصحاب عبد الله، أصغرهم الحارث بن سويد، فسمعته يقرأ: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، حتى بلغ إلى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، قال: إن هذا إحصاء شديد"[8].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة : ٨]، أي:" ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا، ير عقابه في الآخرة"[9].

قال الطبري:" يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك"[10].

وفي تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨]، قولان:

أحدهما : يلقى ذلك في الآخرة ، مؤمناً كان أو كافراً ، لأن الآخرة هي دار الجزاء. وهذا قول ابن عباس[11]، وبه قال مقاتل[12]، والطبري[13]، والزجاج[14].

قال ابن عباس:" ليس مؤمن ولا كافر عمِل خيرا ولا شرا في الدنيا، إلا آتاه الله إياه، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته، فيغفر الله له سيئاته. وأما الكافر فيردّ حسناته، ويعذّبه بسيئاته"[15].

عن أبي سعيد الخدري قال: "لما نزلت: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨]، قلت: يا رسول الله، إني لراء عملي؟ قال: نعم تلك الكبار الكبار؟ قال: نعم قلت الصغار الصغار؟ قال:؟ نعم قلت: واثكل أمي؟ قال: «أبشر يا سعيد،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٦٤/٨، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٠):ص٣٤٥٦/١٠، [مختصرا]

(٢) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٤، ٥٥٣.[بتصرف واختصار]

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤.[باختصار]

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٤، ٥٥٣.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٥٢/٥.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٤.

فإن الحسنة بعشر أمثالها- يعني إلى سبعمائة ضعف ويضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يغفر الله، ولن ينجو أحد منكم بعمله» قلت: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة»"[١].

الثاني : أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا ، وجزاء حسناته في الآخرة حتى يصير إليها وليس عليه سيئة . وإن كان كافراً رأى جزاء حسناته في الدنيا، وجزاء سيئاته في الآخرة حتى يصير إليها وليس له حسنة ، قاله محمد بن كعب القرظي[٢]، وطاووس[٣]، ويحيى بن سلام[٤].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ -من طريق عمرو بن قتادة- في الآية، قال: مَن يعمل مِثقال ذرّة مِن خير مِن كافر يرى ثوابها في الدنيا، في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يَخرج من الدنيا وليس عنده خير"[٥].

وعن محمد بن كعب: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}، قال: "أما المؤمن فيرى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيرى حسناته في الدنيا"[٦].

وفي رواية عن محمد بن كعب :"{ومَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} مِن مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يَخرج من الدنيا وليس عليه شيء"[٧].

عن أنس، قال: "كان أبو بكر رضى الله عنه يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، فرفع أبو بكر يده من الطعام، وقال: يا رسول الله إني أُجزَى بما عملت من مثقال ذرة من شرّ، فقال: "يا أبا بَكر، ما رأيْتَ في الدنْيا ممَّا تكره فمثاقيلُ ذرّ الشَّرّ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللهُ مثاقِيلَ الخير حتى تُوَفَّاه يَوْمَ القِيامَةِ"[٨].

عن الشعبي، قال: قالت عائشة: "يا رسول الله، إن عبد الله بن جُدْعان كان يصل الرحم، ويفعل ويفعل، هل ذاك نافعه؟ قال: «لا إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»"[٩].

عن مسروق، عن عائشة، قالت: "قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويُطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا يَنْفَعُهُ، إنَّهُ لَمْ يَقُلْ يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»"[١٠].

عن سلمة بن يزيد الجعفي، قال: ذهبت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، إن أمنا كانت في الجاهلية تقري الضيف، وتصل الرحم، هل ينفعها عملها ذلك شيئا؟ قال: «لا»"[١١].

روي :" أن سلمان بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنّ أبي كان يصل الرحم، ويفي بالذمة، ويُكرم الضيف، قال: "ماتَ قَبْلَ الإسْلام"؟ قال: نعم، قال: "لَنْ يَنْفَعَهُ ذَلكَ"، فولى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَليَّ بالشَّيْخ"، فجاءَ، فَقالَ رسولُ الله صلى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٩):ص٣٤٥٦/١٠. قال أبو زرعة: "لم يرو هذا غير ابن لهيعة".
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢١/٦.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣١٩/١
(٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨، والطبري: ٥٥٢/٢٤، من طريق عمرو بن قتادة وعمرو بن دينار أيضًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.
(٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨، والطبري: ٥٥٢/٢٤، من طريق عمرو بن قتادة وعمرو بن دينار أيضًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٤-٥٥٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.

الله عليه وسلم: «إنَّها لَنْ تَنْفَعَهُ، وَلَكِنَّهَا تَكُونُ فِي عَقِبِهِ، فَلَنْ تُخْزَوْا أَبَدًا، وَلَنْ تَذِلُّوا أَبَدًا، وَلَنْ تَفْتَقِرُوا أبدًا»"[١].

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ المُؤْمِنُ حَسَنَةً يُثابُ عَلَيْها الرِّزْقَ فِي الدنْيا، ويُجْزى بها فِي الآخِرَةِ; وأمَّا الكافِرُ فَيُعْطِيهِ بِها فِي الدنْيا، فإذا كَانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنة"[٢].

عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ، مُؤْمِنٍ أوْ كَافِرٍ إلا وَقَعَ ثَوَابُهُ عَلَى الله فِي عاجِلِ دُنْيَاهُ، أوْ آجِلِ آخِرَتِهِ"[٣].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص:" أنه قال: أنزلت: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، وأبو بكر الصدّيق قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يُبْكِيكَ يا أبا بَكْرٍ؟ " قال: يُبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْلا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ لَخَلَقَ اللهُ أُمَّةً يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُم"[٤].

عن أبي هُرَيرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الخيل لثلاثة : لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طِيلها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شَرَفا أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقَى به كان ذلك حسنات له، وهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخرًا ورئاء ونواء، فهي على ذلك وزر". فسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحُمُر، فقال : "ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة :{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}"[٥].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأيها الناس لا تغتروا بالله فإن الله لو كان مغفلا شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة»[٦].

عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه :{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} قال : حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها"[٧].

روي عن عَدي مرفوعا : "اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة، ولو بكلمة طيبة"[٨].

وفي الصحيح : "لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط"[٩].

وفي الصحيح أيضا : "يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة"[١٠]. يعني : ظلفها.

وفي الحديث الآخر : "ردوا السائل ولو بظلف مُحَرق"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤-٥٥٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.
(٥)صحيح البخاري برقم (٤٩٦٢) وصحيح مسلم برقم (٩٨٧).
(٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣١٩/١.
(٧)المسند (٥٩/٥)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٩٤).
(٨)صحيح البخاري برقم (٧٥١٢).
(٩)صحيح مسلم برقم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه.
(١٠)صحيح البخاري برقم (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.
(١١)رواه أحمد في المسند (٣٨١/٥) وأبو داود في السنن برقم (١٦٦٧) والترمذي في السنن برقم (٦٦٥) من حديث أم بجيد الأنصارية، رضي الله عنها. وقال الترمذي : "حديث أم بجيد حديث حسن صحيح".

عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان"[١].

قال مالك: "بلغني أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب. فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها. فجعل ينظر إليها ويعجب. فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟"[٢].

عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : "يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا"[٣].

عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه" وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صَنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، وأجَّجوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها[٤].

قال الربيع بن صبيح: "مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة، فلمّا بلغ آخرها قال: «حسبي قد أتممت الموعظة» فقال الحسن: «لقد فقه الرجل»[٥].

قال أبو الفضل أحمد بن محمد بن حمدون الفقيه: "أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد بن إبراهيم الحواربي بواسط:

إنّ من يعتدي ويكسب إثما ... وزن مثقال ذرّة سيراه
ويجازى بفعله الشر شرّا ... وبفعل الجميل أيضا جزاه
هكذا قوله تبارك ربّي ... في إذا زلزلت جلّ ثناه"[٦].

قال السعدي:" وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا"[٧].

فوائد السورة الكريمة:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- الإعلام بالانقلاب الكوني الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسموات غير السموات.

٣- تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته وهي موجبات ألوهيته بعبادته وحده دون سواه.

٤- تقرير حديث الصالح :«اتقوا النار ولو بشق تمرة»[٨].

---

(١)المسند (٧٩/٦).

(٢) موطأ مالك(٣٦٥٦):ص١٤٥٣/٥، وأخرجه أبو مصعب الزهري، ٢١٠٦ في الجامع؛ والحدثاني، ٨٠٥ في الجامع، كلهم عن مالك به.

(٣)المسند (١٥١/٦) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٣).

(٤)المسند (٤٠٢/١).

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦٧/١٠.

(٦) الكشف والبيان: ٢٦٧/١٠، وتفسير القرطبي: ١٥٢/٢٠.

(٧) تفسير السعدي: ٩٣٢. قال السعدي:" وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا}".

(٨)حديث أنس: أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤٤٢/١، رقم ٩٣٤) ، والطبراني في الأوسط (٧٣/٤، رقم ٣٦٤٤) قال الهيثمي (١٠٦/٣) : رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح. والضياء (٦٨/٦، رقم ٢٠٤٨) قال الحافظ في مختصر زوائد البزار (٣٨٨/١، رقم ٦٣٩) : إسناده صحيح.
حديث عدى بن حاتم: أخرجه أحمد (٢٥٨/٤) ، والبخارى (٥١٤/٢، رقم ١٣٥١) ، ومسلم (٧٠٤/٢، رقم ١٠١٦) ، والنسائى (٧٤/٥، رقم ٢٥٥٢) . وأخرجه أيضا: الطبرانى (٨٩/١٧، رقم ٢٠٨) ، والبغوى فى الجعديات (٨١/١، رقم ٤٥٤) ، والقضاعى (٣٩٧/١، رقم ٦٨٢) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٦٧/١، رقم ٧٣٣) .
حديث أبى أمامة: أخرجه الطبرانى (٢٦٢/٨، رقم ٨٠١٧) . وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الأوسط (٧٨/٣، رقم ٢٥٤٢) . قال الهيثمى (١٠٦/٣) : فيه فضال بن الزبير أبو مهند الغدانى، وهو ضعيف.

٥- الكافر عمله الخيري ينفعه في الدنيا دون الآخرة.
٦- المؤمن يجزي بالسيئة في الدنيا ويدخر له صالح عمله للآخرة.
٧- تقرير أن العمل يوزن[١]، سواء كان خيرا أم شرا، فإن الله سبحانه وتعالى يجعل هذه الأعمال أجساما، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل، وله نظير، وهو الموت؛ فإنه يجعل على صورة كبش، ويذبح بين الجنة والنار[٢]، مع أن الموت معنى، وليس بجسم، وليس الذي يذبح ملك الموت، ولكنه نفس الموت، حيث يجعله الله تعالى جسما يشاهد ويرى، كذلك أعمالك، يجعلها الله عز وجل أجساما توزن بهذا الميزان الحسي.

---

حديث ابن عمر: أخرجه ابن عساكر (٢٥١/٦٠) .
حديث النعمان بن بشير: أخرجه البزار (١٩١/٨، رقم ٣٢٢٦) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (١٠٦/٣) قال الهيثمى: فيه أيوب بن جابر، وفيه كلام كثير، وقد وثقه ابن عدى.
حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (١٦٣/١٢، رقم ١٢٧٧١) ، وأبو يعلى (٩٧/٥، رقم ٢٧٠٧) . قال الهيثمى: (١٠٥/٣) : فيه أبو بحر البكراوى، وفيه كلام، وقد وثق. وأخرجه أيضا: ابن خزيمة (٩٤/٤، رقم ٢٤٢٩) .
حديث أبى هريرة: أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٤٤٣/١ ٤٤٤، رقم ٩٣٧) ، قال الهيثمى (١٠٦/٣) : فيه عثمان بن عبد الرحمن الجمحى، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وحسن البزار حديثه. والدارقطنى (١٢٥/٢) .
حديث عائشة: أخرجه أحمد (١٣٧/٦، رقم ٢٥١٠١) . وأخرجه أيضا: البخارى فى التاريخ الكبير (١٠٥/١) ، والبزار كما فى كشف الأستار (٤٤٣/١، رقم ٩٣٦) ، والقضاعى (٣٩٥/١، رقم ٦٧٨) . قال الهيثمى (١٠٥/٣) : رواه كله أحمد، وروى البزار بعضه وفيه أبو هلال، وفيه بعض كلام، وهو ثقة.
ومن غريب الحديث: "بشق": أى بنصف.
(١)فقال بعض العلماء: إن الجمع بينها أن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن هو بنفسه.
- وقال بعض العلماء: الجمع بينها أن يقال: إن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف، ويبقى وزن صاحب العمل، فيكون لبعض الناس.
- ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه.
وأما ما ورد في حديث ابن مسعود، وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمرا يخص الله به من يشاء من عباده.
- روي أن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكا من الأراك، وكان رضي الله عنه دقيق الساقين، جعلت الريح تحركه، فضحك الصحابة رضي الله عنهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "مم تضحكون؟ ". قالوا: من دقة ساقيه. قال: "والذي نفسي بيده؛ لهما في الميزان أثقل من أحد".
فصار ها هنا ثلاثة أشياء: العمل، والعامل، والصحائف.
رواه أحمد (١/ ٤٢١)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٢٨٩): "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح".
- حديث صاحب البطاقة: عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء".
وظاهر هذا أن الذي يوزن صحائف الأعمال.
رواه: أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٣٥)، وللحافظ حمزة الكناني "جزء البطاقة".
(٢)كما جاء ذلك في "صحيح البخاري" (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

٨-**أهمية محاسبة النفس**: إذ إن المحاسبة قضية مهمة للغاية، تدور عليها السعادة ولا يحصل الصلاح إلا بها .. محاسبة النفس أمر عظيم جداً، المحاسبة لا تصلح النفس إلا بها، المحاسبة من قام بها اليوم أمِن غداً، المحاسبة أن تنظر في نفسك وتتأمل فيها وتعرف عيوبها، المحاسبة لا نجاة إلا بها قال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَاهُ اللّهُ وَنَسُوهُ وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: ٦].

**والمحاسبة تصدر من التأمل في هذه النصوص:**

قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتَاتاً لّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة ٦: ٧]

والمحاسبة انطلاقاً من آثار قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلّ نَفْسٍ مّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدّ لَوْ أَنّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً وَيُحَذّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: ٣٠]

والمحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر وأن الله يحاسب فيه الخلائق وقد حذرنا الله ذلك اليوم فقال تعالى: [وَاتّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمّ تُوَفّىَ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ] [البقرة: ٢٨١]

والمحاسبة تنطلق من الإيمان بأسماء الله وصفاته وأنه تعالى الرقيب المهيمن المطّلع على ما تعمل كل نفس وأنه شهيد على أعمالنا فهو الشهيد على أعمال عباده، جعل علينا كراماً كاتبين يحصون أعمالنا قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبّكَ أَحَداً} [سورة: الكهف - الأية: ٤٩]

والمحاسبة تنطلق من إيمان الإنسان بالهدف، بالغرض، أن يعلم أنه لأي شيء خُلِق قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥]

قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة: ٣٦].

ومحاسبة النفس طريقة المؤمنين وسمة الموحدين وعنوان الخاشعين، فالمؤمن متق لربه محاسب لنفسه مستغفر لذنبه، يعلم أن النفس خطرها عظيم، وداؤها وخيم، ومكرها كبير وشرها مستطير، فهي أمارة بالسوء ميالة إلى الهوى، داعية إلى الجهل، قائدة إلى الهلاك، توّاقة إلى اللهو إلا من رحم الله، فلا تُترك لهواها لأنها داعية إلى الطغيان، من أطاعها قادته إلى القبائح، ودعته إلى الرذائل، وخاضت به المكاره، تطلعاتها غريبة، وغوائلها عجيبة، ونزعاتها مخيفة، وشرورها كثيرة، فمن ترك سلطان النفس حتى طغى فإن له يوم القيامة مأوىً من جحيم قال تعالى: {فَأَمّا مَن طَغَىَ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدّنْيَا * فَإِنّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىَ * وَأَمّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الْهَوَىَ * فَإِنّ الْجَنّةَ هِيَ الْمَأْوَىَ} [النازعات ٣٧: ٤١][1].

**«آخر تفسير سورة (الزلزلة)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد عويضة: ١٢٦/٢-١٢٨.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «العاديات»**

«سورة العاديات»: هي السورة المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة العصر»، وقبل «سورة الكوثر»، آياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة وستون. فواصل آياتها على «دار» [(١)].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي :«سورة العاديات»:**

سميت في أكثر المصاحف وكتب التفسير[(٢)]: «سورة العاديات» بدون واو، فهي تسمية لما ذكر فيها دون حكاية لفظه، قال تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١].

وسميت في بعض كتب التفسير[(٣)] «سورة والعاديات» بإثبات الواو.

**مكية السورة ومدنيتها:**

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[(٤)]، وعطاء[(٥)]، وعكرمة[(٦)]، وجابر[(٧)].

عن ابن عباس، قال: "نزلت والعاديات بمكة"[(٨)].

الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس[(٩)]، وأنس[(١٠)]، ومالك[(١١)]، وقتادة[(١٢)]، ومقاتل[(١٣)].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من أهل العلم، وقال المهدوي عن أنس بن مالك: وهي مدنية"[(١٤)].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه المناسبة بينها وبين ما قبلها- أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير[(١٥)].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- ذم خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالبة على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٠٨/٣، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٤/٥، والكشف والبيان: ٢٦٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٢٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٠/٦، وتفسير البغوي: ٥٠٥/٨، والكشاف: ٧٨٦/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٣/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلا : تأويلات أهل السنة: ٦٠٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٢٦٠/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٣٩٩/١٢، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٨) الدر المنثور: ٥٩٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٥١٢/٥.

(١٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢١/٣٠.

٢- وعظ الناس بأن وراءهم حسابا على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويهدد به الجاحد.
٣- أكدت السورة على المعاني السابقة بأن افتتح بالقسم، وأدمج في القسم التنويه بخيل الغزاة أو رواحل الحجيج.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان شرف الغزاة فى سبيل الرحمن، وذكر كفران الإنسان، والخبر عن اطلاع الملك الديان، على الإسرار والإعلان، وذم محبة ما هو فان، والخبر من إحياء الأموات بالأجساد والأبدان، وأنه - تعالى - خبير بما للخلق من الطاعة والعصيان"(١).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة(٢).

- **فضائل السورة:**

- أخرج أبو عبيد في فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "{إذا زلزلت}: تعدل بنصف القرآن، {والعاديات}: تعدل بنصف القرآن"(٣).
- أخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إذا زلزلت}: تعدل نصف القرآن {والعاديات} تعدل نصف القرآن، و{قل هو الله أحد}: تعدل ثلث القرآن، و{قل يا أيها الكافرون}: تعدل ربع القرآن"(٤).
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة العاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا»(٥). [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.
(٣) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.
(٤) الدر المنثور: ٥٩٩/٨.
(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٨/١٠. [موضوع]

**القرآن**

**{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)} [العاديات : ١]**

التفسير:

أقسم الله تعالى بالخيل الجاريات في سبيله نحو العدوِّ، حين يظهر صوتها من سرعة عَدْوِها. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم إلا بالله، فإن القسم بغير الله شرك.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا، فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، ضبحت بأرجلها"[١].

عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت :{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} ضبحت بأرجلها، {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا} قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا، {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} صبَّحت القوم بغارة، {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} أثارت بحوافرها التراب، {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} قال : صبحت القوم جميعا"[٢].

عن إبراهيم : قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت"[٣].

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبي- صلى الله عليه وسلم- خبرها، فأخبره الله- عز وجل- عنها فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يعني: الخيل، وقيل: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الحبر فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلا من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا بأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمرا عظيما، فجاءه جبريل- عليه السلام- يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يقول: غدت الخيل إلى الغزوة حتى أصبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب"[٤].

في «العاديات»، قولان :

أحدهما : أنها الخيل في الجهاد، قاله ابن عباس[٥]، وأنس[٦]، والحسن[٧]، وسالم[٨]، وقتادة[٩]، ومجاهد[١٠]، والضحاك[١١]، وعكرمة[١٢]،وأبو العالية[١٣]، والربيع بن أنس[١٤]، وعطاء[١٥]، ومنه قول الشاعر[١٦]:

وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ ... طَعَنْتُهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَادِيَهْ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤١):ص٣٤٥٧/١٠.

(٢)مسند البزار برقم (٢٢٩١) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٤٢/٧) : "فيه حفص بن جميع وهو ضعيف".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٣):ص٣٤٥٧/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٤.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٩)انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(١٠)انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٤.

(١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(١٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(١٦) الشعر منسوب لناجية بن عمير بن يعمر بن دارم، وهو سائق بدن رسول الله. انظر البيت مع القصة: في سيرة ابن هشام: ٣١١/٢، والبداية والنهاية: ٤/ ١٨٩، ودلائل النبوة للبيهقي: ١١٢/٤-١١٣.

يعني: الخيل.

قال الزجاج:" يعنى بـ«العاديات» -ههنا-: الخيل، وهذا قسم جوابه: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات : ٦]"[١].

قال ابن كثير:" يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فَعَدت وضَبَحت، وهو : الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو"[٢].

عن ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، وعطاء: "{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال: الخيل"[٣].

قال ابن عباس: "هو في القتال"[٤].

قال قتادة:" هي الخيل، عدت حتى ضبحت"[٥]. وفي لفظ:" هي الخيل تعدو حتى تضبح"[٦].

قال مجاهد:" الخيل تضبح"[٧].

عن سعيد بن جبير، قال: "سمعت سالما يقرأ: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال: هي الخيل عدت ضبحا"[٨].

عن عكرمة:" {والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الخيل، ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يضبح؟ وما ضبح بعيرٌ قط"[٩].

الثاني : أنها الإبل في الحج ، قاله عليٌّ -رضي الله عنه-[١٠]، وابن مسعود[١١]، وإبراهيم[١٢]، وعبيد بن عمير[١٣]،والسدي[١٤]، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب[١٥]:

---

(١) معاني القرآن: ٣٥٣/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٤، ٥٥٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٣):ص٣٤٥٧/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤-٥٥٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٤):ص٣٤٥٧/١٠-٣٤٥٨.
(١٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.
(١٥) انظر: سيرة ابن إسحاق: ١٥٦-١٥٧، ضمن أبيات قالتها في خبر «صحيفة المقاطعة»:

عن ابن إسحق قال: "فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بعث به، وقامت بنو هاشم، وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا، ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم، وبنو المطلب، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم معهم، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم، فكتبوا صحيفة في ذلك، وكتب في الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش، وقال: قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش، فأنزل الله عز وجل: «تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ» إلى آخرها.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: وقالت صفية بنت عبد المطلب:

ألا من مبلغ عني قريشاً ... ففيم الأمر فينا والإمار
لنا الأمر المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار
مجازيل العطا إذا وهبنا ... وأيسار إذا ابتغى اليسار
وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار
فلا والعاديات غداه جمع ... بايديها إذا سطع الغبار
لنصطبرن لأمر الله حتى ... يبين ربنا أين القرار".

فَلاَ والعَادِيَاتِ غَداةَ جَمْعٍ ... بأيْدِيهَا إذا سَطعَ الغُبَارُ

يعني: الإبل ، وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو ، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي.

عن إبراهيم النَّخْعي -من طريق منصور- {والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الإبل"[1].

وعن محمد بن كعب القُرَظيّ، "{والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الدّفعة من عرفة"[2].

عن السدي:" أنها الإبل في الحج، تعدو مِن عرفة إلى المُزدلفة، ومن المُزدلفة إلى مِنى"[3].

عن مجاهد، في قول الله: "{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال: قال ابن مسعود: هو في الحج"[4].

عن إبراهيم: قال ابن مسعود: هي الإبل"[5].

عن ابن مسعود :"{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال هي الإبل إذا ضبحت تنفست"[6].

عن ابن عباس حدثه قال: "بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي; فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}![7] إنما {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} من عرفة إلى مزدلفة إلى منى; قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه"[8].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحا"[9].

وفي قوله تعالى: {ضَبْحًا} [العاديات : ١]، وجهان :

أحدهما : أن الضبح: حمحمة الخيل عند العدو ، قاله من زعم أن العاديات: الخيل.

الثاني : أنه شدة النّفس عند سرعة السير، قاله من زعم أنها: الإبل.

قال ابن عطية:" الضبح: تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح، بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح"[10].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(٧) روي عن إبراهيم، قال : "قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت". [أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٣):ص٣٤٥٧/١٠].

(٨) أخرجه الطبري: ٥٥٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٤٢):ص٣٤٥٧/١٠.

وفي لفظ ابن أبي حاتم: قال ابن عباس :" بينما أنا في الحجر جالس، إذ أتاني رجل فسأل عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} فقلت: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب عني إلى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم، فسأله عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}. فقال: سألت عنها أحدا قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس، فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله فقال: اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك والله إن أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}؟ إنما {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أدوا إلى المزدلفة أوروا إلى النيران {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} من المزدلفة إلى منى فذلك جمع، وأما قوله: {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} فهو نقع الأرض حين تطؤه بخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي".

(٩) تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٥١٣/٥.

قال علي -رضى الله عنه-: الضبح من الخيل: الحمحمة، ومن الإبل: النفس"[1].
قال الزجاج:" وضبحها صوت أجوافها إذا عدت"[2].
عن عطاء، قال: "سمعت ابن عباس يصف الضبح: أحْ أحْ"[3].
وقال ابن عباس : ضبحها : قول سائقها: أج أج"[4].
وقيل: "أن الإبل ضبحها بالنفَس"[5].
قال عطاء:" ليس شيء من الدوابّ يضبح غير الكلب والفرس"[6].
قال ابن عباس:" ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس[7].
قال ابن عطية:" هذا عندي لا يصح عن ابن عباس -رضي الله عنه-، وذلك أن الإبل تضبح والأسود من الحيات والبوم والصدى والأرنب والثعلب[8]، والقوس هذه كلها قد استعملت لها العرب الضبح، وأنشد أبو حنيفة في صفة قوس[9]:
حَنَّانَةٌ من نَشَمِ أو تَأْلَبِ ... تَضْبَحُ فِي الكَفِّ ضُباحَ الثعْلَبِ
والظاهر في الآية، أن القسم بالخيل أو بالإبل أو بهما"[10].

**القرآن**
**{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)} [العاديات : ٢]**
التفسير:
فالخيل اللاتي تنقدح النار من صلابة حوافرها؛ من شدَّة عَدْوها.
وفي تفسير الآية، أقوال:
أحدها : أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع ، قاله قتادة[11]، والضحاك[12]، وعكرمة[13]، وعطاء[14]، والكلبي[15].
قال ابن كثير:" يعني : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار"[16].
عن قتادة: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هي الخيل"[17].
عن عطاء: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: أورت النار بحوافرها"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٣٥٣/٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٢٤/٦، وفي الكشف والبيان: ٢٦٩/١٠، قال أبو الضحى: "وكان ابن عباس يقول: ضباحها أج أج".
(٥) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٢٤/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.
(٨) قال أبو حيان:" وقال أهل اللغة: أصله للثعلب، فاستعير للخيل، وهو من ضبحته النار: غيرت لونه ولم تبالغ فيه، وانضبح لونه: تغير إلى السواد قليلا".
[البحر المحيط في التفسير: ٥٢٦/١٠]
(٩) انظر: اللسان، والمحكم والمحيط الأعظم، مادة«ضبح».
قال ابن منظور:" انضبح لونه: تغير إلى السواد قليلا. وضبح الأرنب والأسود من الحيات والبوم والصدى والثعلب والقوس يضبح ضباحا: صوت".
(١٠) المحرر الوجيز: ٥١٣/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٨.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

قال الضحاك:" توري الحجارة بحوافرها"[٢].
قال الكلبي: تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار"[٣].
قال أبو رجاء: "سئل عكرمة، عن قوله: {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: أورت وقدحت"[٤].
وقال مقاتل[٥] والكلبي[٦]: "والعرب تسمي تلك النار نار أبي حباحب".
قال مقاتل:" يقول يقدحن بحوافرهن في الحجارة نارا كنار أبي حباحب، وكان شيخا من مضر في الجاهلية له نويرة نقدح مرة وتخمد مرة لكيلا يمر به ضيف فشبه الله- عز وجل- ضوء وقع حوافرهن في أرض حصباء بنويرة أبي حباحب"[٧].
قال الثعلبي:" وكان أبي حباحب شيخا من مضر في الجاهلية وكان من أبخل الناس، وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام كل ذي عين، فإذا نام أصحابه وقد نويرة تقد مرّة وتخمد مرّة، فإذا استيقظ بها أحد أطفأها كراهية أن ينتفع بها أحد، فشبّهت العرب هذه النار بناره، أي: لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار أبي حباحب"[٨].
الثاني : أنها نيران الحجيج بمزدلفة ، قاله محمد بن كعب[٩].
الثالث : أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت فكثرت نيرانها إرهاباً، قاله ابن عباس[١٠].
عن ابن عباس، قال:" سألني علي بن أبي طالب رضى الله عنه، عن {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، فقلت له: الخيل تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم"[١١].
روى مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال: "الناس، يورون النار ليراها غيرهم"[١٢].
الرابع : أنها الخيل تشعل الحرب بينهم وبين عدوهم ، قاله قتادة[١٣].
عن قتادة: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هجن الحرب بينهم وبين عدوهم"[١٤].
قال ابن عطية:" وهذا على الاستعارة البينة"[١٥].
الخامس : أنه مكر الرجال في الحروب، قاله ابن عباس-أيضا-[١٦]، ومجاهد[١٧]، وزيد بن أسلم[١٨].
عن ابن عباس: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: المكر"[١٩].
قال البغوي:" يعني: رجال الحرب، والعرب تقول -إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه-: أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك"[٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٤.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٧٠/١٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٤-٨٠٢.
(٨) الكشف والبيان: ٢٧٠/١٠.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٢٤/٦، وتفسير البغوي: ٥٠٨/٨. بلفظ:" هي النيران تجتمع".
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.
(١٢) نقلا عن: إعراب القرآن: ١٧٣/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.
(١٥) المحرر الوجيز: ٥١٤/٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.
(١٨) انظر: تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.
(١٩) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٤.
(٢٠) تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.

السادس : أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق، وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة[١].

عن عكرمة قال: يقال في هذه الآية: {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هي الألسنة"[٢].

عن عكرمة: "هي ألسنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلّم به"[٣].

قال ابن عطية:" فهذا على الاستعارة، أي: ببيانها تقدح الحجج وتظهرها"[٤].

السابع : أنها الإبل حين تسير ترجم الحصى بالحصى فيتطاير منه النار. قاله ابن مسعود[٥]. وهو مذهب علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-[٦].

قال ابن مسعود:" نسفت الحصى بمناسمها، فضرب الحصى بعضه بعضا، فيخرج منه النار"[٧].

الثامن : أن "الكلام عام يدخل في القسم كل من يظهر بقدحه نارا، وذلك شائع في الأمم طول الدهر وهو نفع عظيم من الله تعالى، وقد وقف عليه في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} [الواقعة: ٧١]، معناه: تظهرون بالقدح، قال عدي بن زيد[٨]:

فقدحنا زنادا ووريا ... فوق جرثومة من الأرض نار

حكاه ابن عطية عن ابن عباس –أيضا-، وجماعة من العلماء[٩]. وبه قال النحاس[١٠].

قال النحاس:" ولا دليل يدلّ على تخصيص شيء من هذه الأقوال فالصواب أن يقال ذلك لكل من أورى على أن المعنى واحد إذا كان التقدير: وربّ العاديات"[١١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا; فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان - مثلا - يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر - مثلا -، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر"[١٢].

**القرآن**

**{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)} [العاديات : ٣]**

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٤.

(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧٠/١٠.

(٤) المحرر الوجيز: ٥١٤/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٢):ص٣٤٥٧/١٠.

وفي لفظ ابن أبي حاتم: قال ابن عباس :" بينما أنا في الحجر جالس، إذ أتاني رجل فسأل عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} فقلت: الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب عني إلى علي بن أبي طالب وهو جالس تحت سقاية زمزم، فسأله عن {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}. فقال: سألت عنها أحدا قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس، فقال هي الخيل حين تغير في سبيل الله فقال: اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك والله إن أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}؟ إنما {الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أدوا إلى المزدلفة أوروا إلى النيران {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} من المزدلفة إلى منى فذلك جمع، وأما قوله: {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} فهو نقع الأرض حين تطؤه بخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي".

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٤.

(٨) بلا نسبة في: المحرر الوجيز: ٥١٤/٥.

(٩) انظر: المحرر الوجيز: ٥١٤/٥.

(١٠) انظر: إعراب القرآن: ١٧٣/٥.

(١١) إعراب القرآن: ١٧٣/٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٦١/٢٤.

التفسير:
فالخيل التي تغير بركبانها على الأعداء عند الصبح.
وفي تفسير الآية، قولان:
أحدهما : أنها الخيل تغير على العدو صبحاً، أي: علانية ، تشبيهاً بظهور الصبح، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وقتادة[٣]، وعكرمة[٤]، وعطية العوفي[٥]، وحكاه الثعلبي وابن الجوزي والبغوي عن اكثر المفسرين[٦].
قال ابن كثير:" يعني : الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحًا ويتسمّع أذانا، فإن سمع وإلا أغار"[٧].
قال ابن فورك:" وإنما أقسم بها تنبيه على عظم الشأن وتأكيد الأخبار"[٨].
عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: "سألني رجل عن المغيرات صبحا، فقال: الخيل تغير في سبيل الله"[٩].
قال عكرمة:" أغارت على العدو صبحا"[١٠].
قال قتادة:" أغارت حين أصبحوا"[١١].
قال الحسن:" هي الخيل تُغير على العدوّ إذا أصبحتْ"[١٢].
قال قتادة:" أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوهم"[١٣].
عن مجاهد، وقتادة: "{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}، قال: هي الخيل"[١٤].
قال البغوي:" الإغارة :سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نغير"[١٥].
قال الشوكاني:" وتخصيص إثارته بالصبح، لأنه وقت الإغارة، ولكونه لا يظهر أثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح"[١٦].
قال ابن عطية:" وعرف الغارات أنها مع الصباح، لأنها تسري ليلة الغارة، والضمير في: {بِهِ} ظاهر أنه للصبح المذكور، ويحتمل أن يكون للمكان والموضع الذي يقتضيه المعنى وإن كان لم يجر له ذكر، ولهذا أمثلة كثيرة، ومشهورة إثارة النقع هو للخيل ومنه قول الشاعر[١٧]:
يَخْرُجْنَ منْ مُسْتطيرِ[١٨] النَّقْع داميَةً ... كأنَّ آذانَها أطْرافُ أقْلامِ "[١٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٤ -.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٧٠/١٠، وزاد المسير: ٤٨١/٤، وتفسير البغوي: ٥٠٨/٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٨.
(٨) تفسير ابن فورك: ٢٦١/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(١٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٤ -.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.
(١٥) تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.
(١٦) فتح القدير: ٥٨٨/٥.
(١٧) بلا نسبة في أدب الكاتب: ١٠٩، والمعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة: ١١٤/١، وأمالي القالي: ٢٤٧/٢. وهو لجرير في العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٢٦٤/١، وهو لعدي بن زيد العبادي في خزانة الأدب: ٢٤٠/١٠.
(١٨) المستطير: المتفرق.
(١٩) المحرر الوجيز: ٥١٤/٥.

الثاني : أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى، قاله عليّ -رضي الله عنه-[١]، وابن مسعود[٢]، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

عن ابن مسعود: "{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}، حين يفيضون من جمع"[٤].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، {فالمُغِيراتِ صُبْحًا}، قال: الدّفعة مِن جمْع"[٥].

وحكي البغوي القرظي: "هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى»[٦]. قال البغوي-: "والسنة أن لا تدفع بركبانها يوم النحر حتى تصبح"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحا، ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحا، فداخلة فيما أقسم به ; وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به"[٨].

عن ابن زيد: "{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هذا قسم أقسم الله به. وفي قوله: {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، قال: كل هذا قسم، قال: ولم يكن أبي ينظر فيه إذا سئل عنه، ولا يذكره، يريد به القسم"[٩].

**القرآن**

**{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤)} [العاديات : ٤]**

التفسير:

فهيَّجْنَ بهذا العَدْو غبارًا.

وفي «النقع»، أقوال:

أحدها: أنه الغبار الذي يسطع من حوافر الخيل. ، قاله ابن عباس[١٠]، وابن مسعود[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة[١٣]، وعكرمة[١٤]، ومنه قول الشاعر[١٥]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومنه قول الآخر[١٦]:

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٢):ص٣٤٥٧/١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤.

(٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢٤.

(٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦) تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.

(٧) تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.

(٨) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤-٥٦٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.

(١٢) انظر: صحيح البخاري: ١٧٦/٦، وتفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٥)البيت لبشّار في ديوانه: ٣١٨/١، والأغاني ١٩٦/٣، وديوان المعاني ٦٧/٢، والحماسة البصرية ٨/١، وطبقات ابن المعتز ٢٦، وأخبار أبي تمام ١٨، والوساطة ٣١٣، وعيون الأخبار ١٩٠/٢، والإيضاح ص ٢١٣، تحقيق د. هنداوي، والمصباح ص ١٠٦، والشعر والشعراء ص ٧٥٩، ودلائل الإعجاز ص ٩٦، تحقيق د. محمود شاكر، والتبيان ص ١٩٨، والمفتاح ص ٣٣٧، ويروى «رءوسهم» بدلا من «رءوسنا». مثار النقع: الغبار الذي أثاره المتحاربون. تهاوى: أصلها تتهاوى خفف بحذف إحدى التاءين: تتساقط

(١٦) البيت لعبدالله بن رواحة، كما في : النكت والعيون: ٣٢٥/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٨/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢٧/١٠، والدر المصون: ٨٦/١١. ولم أقف عليه.

والبيت ورد لحسان بن ثابت في "ديوانه" ص ٨، ط. دار صادر، برواية:

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إنْ لَمْ تَرَوْها ... تُثير النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَداءِ

قال الشوكاني:" المعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين أن النقع: الغبار[1]، وهذا هو المناسب لمعنى الآية، والنقع: الغبار الذي أثرنه في وجه العدو عند الغزو، وتخصيص إثارته بالصبح، لأنه وقت الإغارة، ولكونه لا يظهر أثر النقع في الليل الذي اتصل به الصبح، وقيل: المعنى: فأثرن بمكان عدوهن نقعا"[2].

قال الفراء:" النقع: الغبار، ويقال: التراب، قوله عز وجل: {بِهِ نَقْعًا}، يريد: بالوادي[3]، ولم يذكره قبل ذلك، وهو جائز لأن الغبار لا يثار إلا من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كني عنه وإن لم يجر له ذكر"[4].

قال الزجاج:" النقع: الغبار، المعنى: فأثرن بمكان عدوها غبارا"[5].

قال ابن كثير:" يعني : غبارًا في مكان معترك الخيول "[6].

قال أبو عبيدة:" فرفعن به غبارا، النقع: الغبار"[7].

قال علي-رضي الله عنه-:" فهي نقع الأرض حين تطأها أخفافها وحوافرها"[8]. وفي لفظ:" الأرض حين تطؤها بأخفافها وحوافرها"[9]. أي: الإبل.

عن ابن مسعود :"{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا}، قال: إذا سرن يثرن التراب"[10].

قال عكرمة:" أثارت التراب بحوافرها"[11].

قال قتادة:" أثرن بحوافرها نقع التراب"[12]. وفي لفظ:" أثرن به غبارا"[13].

قال عكرمة:" هي أثارت الغبار، يعني: الخيل"[14].

عن مجاهد: "{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا}، قال: الخيل"[15].

قال مجاهد:" رفعنا به غبارا"[16].

عن عطاء وابن زيد، قال: "النقع: الغبار"[17].

قال الطبري: أي:" فرفعن بالوادي غبارا; والنقع: الغبار، ويقال: إنه التراب"[18].

قال مقاتل:" فأثرن بجريهن، يعني: بحوافرهن نقعا في التراب"[19].

---

عَدِمْنَا خيلنا إن لم تَرَوهْا ... تُثير النقع موعدها كداء

كداء -بفتح الكاف ومد الدال-: جبل بمكة. والهاء في تروها: راجعة إلى الخيل المفهومة من السياق.

(١) قال الفخر:" قيل: إنه مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع، فالغبار يسمى نقعا لارتفاعه، وقيل: هو من النقع في الماء، فكأن صاحب الغبار غاص فيه، كما يغوص الرجل في الماء". [مفاتيح الغيب: ٢٦٠/٣٢].

(٢) فتح القدير: ٥٨٨/٥.

(٣) واختاره ابن قتيبة، فقال:" {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً}، يعني: بالوادي". [تأويل مشكل القرآن: ١٤٣].

(٤) معاني القرآن: ٢٨٤/٣-٢٨٥.

(٥) معاني القرآن: ٣٥٣/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٨.

(٧) مجاز القرآن: ٣٠٧/٢.

(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٣٦):ص٧٠/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٦) صحيح البخاري: ١٧٦/٦.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٨) تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٤.

الثاني : أن «النقع»: رفع الصوت، والمعنى: فهيجن في المغار عليهم صياح النوائح، وارتفعت أصواتهن، قاله أبو عبيدة[١]، وأنشد قول لبيد[٢]:

فَمَتَى يَنْفَعُ صُراخٌ صادقٌ ... يُحْلِبوه ذاتَ جَرْسٍ وزَجَل

يقول: متى سمعوا صارخا، أي مستغيثا، أحلبوا الحرب، أي جمعوا لها[٣].

قال أبو عبيدة: وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم"[٤].

قال الفراء: "يقال: نقع الصارخ بصوته وأنقع صوته، إذا تابعه وأدامه"[٥].

ومنه قول عمر-رضي الله عنه-: «ما لم يكن نقع ولا لقلقة»[٦].

قال ابن فارس:" ويقال: النقع: صوت النعامة. والنقاع: الرجل يتكثر بما ليس عنده، كأنه يصيح به"[٧].

عن ابن الأعرابي: "النقع: الغبار المرتفع. والنقع: الصراخ المرتفع"[٨].

قال الشوكاني:" وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى، فإن قولك أغارت الخيل على بني فلان صبحا فأثرن به صوتا، قليل الجدوى مغسول المعنى بعيد من بلاغة القرآن المعجزة "[٩].

الثالث : أن النقع: ما بين مزدلفة إلى منى ، قاله محمد بن كعب[١٠].

الرابع: أن النقع: شق الجيوب، حكاه شمر[١١]، ومنه قول مرار الأسدي[١٢]:

نَقَعْنَ جُيُوبَهُنَّ عليَّ حيًّا ... وأَعْدَدْنَ المَرَاثي والعَوِيلاَ

قال شمر: "وقيل في قول عمر: «ما لم يكن نقع ولا لقلقة»[١٣]، إنه شق الجيوب"[١٤].

**لقرآن**

**{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)} [العاديات : ٥]**

التفسير:

---

(١) عزاه إليه الأزهري في تهذيب اللغة: ١٧٤/١، والرازي في مفاتيح الغيب: ٢٦٠/٣٢، والشوكاني في "فتح القدير": ٥٨٨/٥.

(٢) ديوانه: ١٩١، والعين، واللسان، مادة«نقع»:ص١٧٣/١. ورواية اللسان: «يُحْلبوها».

(٣) انظر: تهذيب اللغة: ١٧٤/١.

(٤) .

(٥) نقلا عن: تهذيب اللغة: ١٧٤/١.

(٦) ذكره البخاري في "الجنائز" تعليقا عن عمر. قال «دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة» قال: والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت. ووصله عبد الرزاق والحاكم وابن سعد وأبو عبيد والحربي في الغريب كلهم من طريق الأعمش عن أبى وائل قال «وقيل لعمر: إن نسوة من بنى المغيرة قد اجتمعن في دار خالد بن الوليد يبكين عليه. وإنا نكره أن يؤذينك. فلو نهيتهن فقال: ما عليهن أن يهرقن من دموعهن على أبى سليمان- سجلا أو سجلين ما لم يكن نقع أو لقلقة» وفي رواية ابن سعد قال: وكيع: النقع الشق. واللقلقة الصوت. وقال بعضهم: رفع التراب على الرأس وشق الجيوب. وأما اللقلقة فهي شدة الصوت.
ولم أسمع فيه خلافا. وقال الحربي عن الأصمعي. النقع الصياح. وعن أبى سلمة هو وضع التراب على الرأس.

(٧) مقاييس اللغة: ٤٧٣/٥.

(٨) تهذيب اللغة: ١٧٥/١.

(٩) فتح القدير: ٥٨٨/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.

(١١) انظر: تهذيب اللغة: ١٧٥/١، واللسان: ٣٦٣/٨، والفائق في غريب الحديث: ٢٠/٤.

(١٢) انظر: تهذيب اللغة: ١٧٥/١.

(١٣) مصنف عبدالرزاق(٦٦٨٥):ص٥٥٨/٣، ومصنف ابن أبي شيبة(١١٣٤٢):ص٤٨٦/٢.
روي عن شقيق، قال: "لما مات خالد بن الوليد واجتمعن نسوة بني المغيرة يبكين عليه فقيل لعمر أرسل إليهن، فانههن لا يبلغك عنهن شيء تكرهه قال: فقال عمر: «وما عليهن أن يهرقن من دموعهن على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة».

(١٤) تهذيب اللغة: ١٧٥/١.

فتوسَّطن بركبانهن جموع الأعداء.

وفي تفسير الآية، قولان:

أحدهما : أنها مزدلفة تسمى جمعاً، لاجتماع الحاج لها وإثارة النقع في الدفع إلى منى، قاله ابن مسعود[١]، ومكحول[٢].

عن عبد الله: "{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، يعني: مزدلفة"[٣].

الثاني : فوسطن بركبانهن جمع العدو، قاله ابن عباس[٤]، والحسن[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وعكرمة[٨]، وعطاء[٩].

قال ابن كثير:" أي : توسطن ذلك المكان كُلُّهن جمع"[١٠].

عن الضحاك:"{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، قال: الجمع: الكتيبة"[١١].

عكرمة :"{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، قال: جمع الكفار"[١٢]. وفي لفظ:" جمع القوم"[١٣].

قال ابن عباس:" هو جمع القوم"[١٤].

قال عطاء:" جمع العدو"[١٥].

قال قتادة:" فوسطن جمع القوم"[١٦].

قال قتادة:" فوسطن بالقوم جمع العدو"[١٧].

قال مجاهد:" جمع هؤلاء وهؤلاء"[١٨].

قال مقاتل:" فوسطن بذلك الغبار جمعا، يقول حمل المسلمون عليهم، فهزموهم، فضرب بعضهم بعضا، حتى ارتفع الوهج الذي كان ارتفع من حوافر الخيل إلى السماء، فهزم الله المشركين وقتلهم، فأخبره الله- عز وجل- بعلامات الخيل، والغبار، وكيف فعل بهم؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: يا جبريل، ومتى كان هذا؟ قال: اليوم. فخرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأخبر المسلمين بذلك، وقرأ عليهم كتاب الله- عز وجل- ففرحوا واستبشروا، وأخرى الله- عز وجل- اليهود والمنافقين "[١٩].

**القرآن**

**{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)} [العاديات : ٦-٨]**

التفسير:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٦٦/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٤-٨٠٣.

إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود، وإنه بجحوده ذلك لمقر. وإنه لحب المال لشديد.

قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات : ٦]، أي:" إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود"[١].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : لكفور جحود لنعم الله تعالى. قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والربيع[٤]، والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئا، قال الأعشى[٥]:

أحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنَّها ... كُنُدٌ لوَصْلِ الزَّائِرِ المُعْتادِ

قال ابن كثير:" هذا هو المقسم عليه، بمعنى : أنه لنعم ربه لجحود كفور"[٦].

قال النحاس:" أهل التفسير على أن معناه: لكفور، أي: كفور لنعمه"[٧].

عن ابن عباس: "{إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}، قال: لربه لكفور"[٨].

قال ابن عباس:" «الكنود» بلساننا أهل البلد: الكفور"[٩].

عن الحسن، ومجاهد، وقتادة:"{لَكَنُودٌ}، قال: لكفور"[١٠].

عن الربيع، قال: "الكنود: الكفور"[١١].

قال ابن زيد:" الكنود: الكفور، وقرأ: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُور}"[١٢].

عن سماك أنه قال: "إنما سميت كندة: أنها قطعت أباها، {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}، قال: لكفور"[١٣].

قال الكلبي: «الكنود»" بلسان مضر وربيعة وقضاعة: الكفور"[١٤].

ونقل الفراء عن الكلبي :" أنها في لغة كندة وحضرموت: لكفور بالنعمة"[١٥].

قال الأصمعي: "امرأة كُنُدٌ: أي: كفور للمواصلة"[١٦].

قال الواحدي:" وأصل الكنود مع الحق والخير، والكنود الذي يمنع مَا عليه"[١٧].

الثاني : أنه اللوام لربه ، يذكر المصائب وينسى النعم ، قاله الحسن[١٨]، وهو قريب من المعنى الأول.

قال الحسن:" هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه"[١٩].

قال الحسن:" لوام لربه يعد المصائب"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(٣)انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(٤)انظر: تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٥) ورد البيت في: "ديوانه":ص ٥٠ ط. دار صادر، ومجاز القرآن لأبي عبيدة٣٠٧/٢، وتفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤، وتفسير القرطبي: ١٦١/٢٠، وهو بلا نسبة في المخصص: ١٦/ ١٦٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٨.

(٧) إعراب القرآن: ١٧٤/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٥):ص٣٤٥٨/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤، ٥٦٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.

(١٥) معاني القرآن للفراء: ٢٨٥/٣.

(١٦)تهذيب اللغة" ١٠/ ١٢٢: (كند)، أبو عبيد عن الأصمعي، وانظر: "لسان العرب" ٣/ ٣٨١: (كند) من غير عزو.

(١٧) التفسير البسيط: ٢٥٠/٢٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

قال الحسن:" لوام لربه، يعد المصائب، وينسى النعم"[٢].
وقال ذو النّون: "تفسير الهلوع والكنود قوله: {إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً}"[٣].
الثالث : ما روي عن أبي أمامة موقوفًا عليه، ومرفوعًا –أيضًا- : أن: «الكنود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده»[٤].
وقال الضحاك : "نزلت في الوليد بن المغيرة"[٥].
الرابع : أن الكنود: العاصي، بلسان كندة وحضرموت ومعد، ذكره الكلبي[٦]، ويحيى بن سلام[٧].
الخامس : أنه: البخيل، بلسان مالك بن كنانة. قاله الكلبي[٨]، ومقاتل[٩].
قال مقاتل:" نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي، وهو الرجل الذي أكل وحده، وأشبع بطنه وأجاع عبده، ومنع رفده، ولم يعط قومه شيئا، يسمى بلسان بني مالك بن كنانة «الكنود»"[١٠].
وقال عطاء: "الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه"[١١].
وقال الفضيل بن عياض: "الكنود: الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة"[١٢].
وقال أبو عبيدة: "هو قليل الخير"[١٣].
قال السعدي:" أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه. فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق"[١٤].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات : ٧]، أي:" وإنه بجحوده ذلك لمقر"[١٥].
وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات : ٧]، وجوه من التفسير:
أحدهما : أن الله تعالى على كفر الإنسان لشهيد، قاله مجاهد[١٦]، وقتادة[١٧]، وسفيان[١]، وابن جريج[٢]، والفراء[٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧٢/١٠.
(٤)حديث أبى أمامة المرفوع: أخرجه الطبري(٥٦٦/٢٤) ، والطبراني (٢٤٥/٨، رقم ٧٩٥٨) ، قال الهيثمي (١٤٢٩/٧) : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف، وفى الآخر من لم أعرفه. وأخرجه أيضا: الديلمي (٣٣٨/٤، رقم ٦٩٧٧) ، وابن معين فى تاريخه رواية الدوري (٤٨٥/٤، رقم ٥٤٠٧). وذكره ابن كثير في تفسيره: (٤٦٧/٨) وعزاه إلى ابن أبى حاتم، ثم قال: "رواه ابن أبى حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف".
حديث أبى أمامة الموقوف: أخرجه البخاري في الأدب (٦٨/١، رقم ٦٠).
(٥) نقلا عن : النكت والعيون: ٣٢٦/٦. قال الماوردي:" وعلى هذا وقع القسم بجميع ماتقدم من السورة".
(٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٤.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.
(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.
(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٣٢.
(١٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٧):ص٣٤٥٨/١٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢٤.

قال الزمخشري:" وإنّ الله على كنوده لشاهد، على سبيل الوعيد"[٤].
قال الثعلبي: "قال أكثر المفسّرين: وإن الله على كنود هذا الإنسان وصنيعه لشاهد"[٥].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الله على كنوده ربه لشاهد"[٦].
عن مجاهد: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: الله عز وجل"[٧].
قال سفيان:" وإن الله عليه شهيد"[٨].
قال قتادة:" إن الله على ذلك لشهيد"[٩].
قال قتادة:" في بعض القراءات: «إن الله على ذلك لشهيد»[١٠].
الثاني : أن الإنسان شاهد على نفسه بما يصنع، قاله ابن عباس[١١]، ومحمد بن كعب[١٢]، وابن كيسان[١٣].
عن محمد بن كعب:" {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: الإنسان شاهد على نفسه"[١٤].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات : ٨]، أي:" وإنه لحب المال لشديد"[١٥].
عن قتادة: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: هذا في مقاديم الكلام، قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد"[١٦].
وفي «الخير» -ها هنا-، وجهان :
أحدها : الدنيا ، قاله ابن زيد[١٧].
عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}، قال: الخير: الدنيا; وقرأ: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ}، قال: فقلت له: {إن ترك خيرا}: المال؟ قال: نعم، وأي شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراما، ولكن الناس يعدونه خيرا، فسماه الله خيرا، لأن الناس يسمونه خيرا في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثا، وسمي القتال في سبيل الله سوءا، وقرأ قول الله: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}، قال: لم يمسسهم قتال; قال: وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءا"[١٨].
الثاني : المال، قاله ابن عباس[١٩]، ومجاهد[٢٠]، وقتادة[٢١]، والضحاك[٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٦/٦.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٨٥/٣.
(٤) الكشاف: ٧٨٨/٤.
(٥) الكشف والبيان: ٢٧٢/١٠.
(٦) تفسير الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٧):ص٣٤٥٨/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون:٣٢٦/٦.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.
(١٣) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٢/١٠.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.
(١٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(١٦) أخرجه الطبر]: ٥٦٨/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٦٧١):ص٣٩٤/٣.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(٢٦٦٧):ص٣٩٣/٣.
(٢١) انظر: تفسير الطبري(٢٦٦٨):ص٣٩٣/٣.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري(٢٦٧٢):ص٣٩٤/٣. قال الضحاك:" ألا ترى أنه يقول: قال شعيب لقومه: {إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود: ٨٤]، يعني: الغني".

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن الإنسان لحب المال لشديد"[١].
قال قتادة:" حب الخير، هو المال"[٢].
قال مجاهد:" «الخير» -في القرآن كله-: المال، {لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨]: الخير: المال، {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص: ٣٢]: المال، {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور: ٣٣]: المال، و{إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ} [البقرة : ١٨٠]: المالُ"[٣].
عن الليث بن سعد:" في قول الله: {وإنه لحب الخير لشديدٌ}، قال: الخير المال"[٤].
وفي قوله:{ لَشَدِيدٌ} [العاديات : ٨]، وجهان :
أحدهما : لشديد المحبة للمال ، وشدة الحب: قوته وتزايده. قاله الفراء[٥].
قال الزمخشري:" وأنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوى مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس. تقول: هو شديد لهذا الأمر، وقوىّ له: إذا كان مطيقا له ضابطا. أو أراد: أنه لحب الخيرات غير هش منبسط، ولكنه شديد منقبض"[٦].
الثاني : لحريص بخيل؛ من محبة المال، يمنع حق الله منه، من قولهم فلان شديد، أي: شحيح. وهذا قول الحسن[٧]، وأبي عبيدة[٨]، والكلبي[٩]، وابن قتيبة[١٠]، والزجاج[١١]، ومنه قول الشاعر[١٢]:
أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطفي ... عَقِيلةَ مَالِ الباخل المُتَشَدّدِ
قال السعدي:" وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة"[١٣].
قال أبو عبيدة:" وإنه من أجل حبّ الخير لبخيل، يقال للبخيل: شديد ومتشدد"[١٤].
قال الزجاج:" معنى {لشديد}: لبخيل، أي: وإنه من أجل حب المال لبخيل"[١٥].
قال الزمخشري:" يعنى: وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه: لبخيل ممسك"[١٦].
قال النحاس:" سمعت علي بن سليمان يقول كما تقول: أنا أكرم فلانا لك. أي: من أجلك، أي: وإنه من أجل حبّ المال لبخيل"[١٧].
قال ابن كثير:" كلا المعنيين صحيح"[١٨].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٦٧/٢٤.
(٢) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨١):ص٤٥٢/٣، وتفسير الطبري(٢٦٦٨):ص٣٩٣/٣.
(٣) أخرجه الطبري(٢٦٦٧):ص٣٩٣/٣.
(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٩):ص١٥٩/٢.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٥٤/٥.
(٦) الكشاف: ٧٨٨/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٦/٦.
(٨) انظر: مجاز القرآن: ٣٠٧/٢.
(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٥٤/٥.
(١٠) انظر: غريب القرآن: ٥٣٦.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٣٥٤/٥.
(١٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه: ص ٣٤؛ ولسان العرب: ٣/ ٢٣٤ (شدد)، ٦/ ٣٢٦ (فحش)، ١٢/ ٤٣٣ (عيم)؛ والتنبيه والإيضاح: ٢/ ٣٢٢؛ وكتاب العين: ٢/ ٢٦٩؛ ومقاييس اللغة: ٣/ ١٧٩، ٤/ ٤٧٨؛ وتهذيب اللغة: ٤/ ١٨٨، ١١/ ٢٦٦؛ وتاج العروس: ٨/ ٢٤٢ (شدد)، ١٧/ ٢٩٧ (فحش)، (عقل)، (عيم). وفي بعض المصادر «الفاحش» بدلا من«الباخل».
(١٣) تفسير السعدي: ٩٣٢.
(١٤) مجاز القرآن: ٣٠٧/٢.
(١٥) معاني القرآن: ٣٥٤/٥.
(١٦) الكشاف: ٧٨٨/٤.
(١٧) إعراب القرآن: ١٧٤/٥.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٨.

**القرآن**

**{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩)} [العاديات : ٩]**

التفسير:

أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟

قال الطبري:" يقول: أفلا يعلم هذا الإنسان الذي هذه صفته، إذا أثير ما في القبور، وأخرج ما فيها من الموتى وبحث"[١].

قال السعدي:" أي: هلا يعلم هذا المغتر {إذَا} أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم"[٢].

عن ابن عباس: "{بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ}، بحث"[٣].

قال أبو عبيدة:" أثير فأخرج"[٤].

قال ابن قتيبة:" أي: قُلِب وأُثِير"[٥].

قال ابن أبي زمنين:" أخرج ما فيها من الأموات"[٦].

عن محمد بن كعب:" {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ}، قال: حين يبعثون"[٧].

قال الفراء:" وهما لغتان: بحثر، وبعثر"[٨].

قال الزجاج:" بعثر، وبحثر، بمعنى واحد، والمعنى: أفلا يعلم إذا بعث الموتى"[٩].

في قراءة ابن مسعود : «إذا بحث ما في القبور»[١٠].

**القرآن**

**{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)} [العاديات : ١٠]**

التفسير:

واستُخرج ما استتر في الصدور من خير أو شر.

قال الطبري:" يقول: وميز وبين، فأبرز ما في صدور الناس من خير وشر"[١١].

قال ابن قتيبة:" مُيِّز ما فيها من الخير والشر"[١٢].

عن سفيان: "{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}، يقول: ميز"[١٣].

عن ابن عباس: "{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}، يقول: أبرز"[١٤].

عن محمد بن كعب:" {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ}، قال: حين يبعثون"[١٥].

قال محمد بن كعب:" أخرج ما في الصدور"[١٦]. وروي عن أبي صالح مثله[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٦٨/٢٤.

(٢) تفسير السعدي: ٩٣٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٤.

(٤) مجاز القرآن: ٣٠٨/٢.

(٥) غريب القرآن: ٥٣٦.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٥/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٦/٣.

(٩) معاني القرآن: ٣٥٤/٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢٤.

(١١) تفسير الطبري: ٥٦٩/٢٤.

(١٢) غريب القرآن: ٥٣٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٦٩/٢٤.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.

(١٦) الدر المنثور: ٦٠٤/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

عن محمد بن كعب:" {وحُصِّلَ ما فِي الصُّدُور}، قال: الأعمال حُصِّل ما فيها"[١].
قال ابن كثير:" يعني: أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم"[٢].
قال ابن أبي زمنين:" أي: ميّز، كقوله: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق : ٩]"[٣].
قال السمعاني:" أي: أظهر ما فيها. وقيل: جمع يعني: ما في صحائف الأعمال"[٤].
قال السعدي:" أي: ظهر وبان ما فيها وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم"[٥].
قال الزمخشري:" معنى {حُصِّلَ}: جمع في الصحف، أي: أظهر محصلا مجموعا. وقيل: ميز بين خيره وشره. ومنه قيل للمنخل: المحصل"[٦].

**القرآن**
**{إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)} [العاديات : ١١]**
التفسير:
إن ربهم بهم وبأعمالهم يومئذ لخبير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.
عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٧].
قال ابن أبي زمنين:" أي: لعالم"[٨].
قال ابن كثير:" أي : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة "[٩].
قال الطبري:" يقول: إن ربهم بأعمالهم، وما أسرّوا في صدورهم، وأضمروه فيها، وما أعلنوه بجوارحهم منها، عليم لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ"[١٠].
قال السعدي:" أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه"[١١].
قال الزجاج:" الله عز وجل خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: إن الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وليس يجازيهم إلا بعلمه أعمالهم، ومثله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم} [النساء : ٦٣]، فمعناه: أولئك الذين لا يترك مجازاتهم"[١٢].
قال الزمخشري:" معنى علمه بهم يوم القيامة: مجازاته لهم على مقادير أعمالهم، لأنّ ذلك أثر خبره بهم"[١٣].
في قراءة عبد الله: «بأنه يومئذ بهم خبير»[١٤].

---

(١)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٨.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٥/٥.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٧٢/٦.
(٥) تفسير السعدي: ٩٣٣.
(٦) الكشاف: ٧٨٨/٤-٧٨٩.
(٧) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٥/٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٦٩/٢٤.
(١١) تفسير السعدي: ٩٣٣.
(١٢) معاني القرآن: ٣٥٤/٥.
(١٣) الكشاف: ٧٨٨/٤-٧٨٩.
(١٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/٣.

حكي:" أن الحجاج بن يوسف قرأ على المنبر هذه السورة يحض الناس على الغزو فجرى على لسانه: «أن ربهم»، بفتح الألف، ثم استدركها من جهة العربية، فقال: «خبير»، وأسقط اللام"[1].

فوائد السورة الكريمة:

١- الترغيب في الجهاد والإعداد له كالخيل أمس، ونفاث الطائرات اليوم.

٢- بيان حقيقة وهي أن الإنسان كفور لربه ونعمه عليه يذكر المصيبة إذا أصابته وينسى النعم التي غطته إلا إذا آمن وعمل صالحا.

٣- بيان أن الإنسان يحب المال حبا شديدا إلا إذا هذب بالإيمان وصالح الأعمال.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

**«آخر تفسير سورة (العاديات)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) تفسير الثعلبي: ٢٧٣/١٠.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «القارعة»**

«سورة القارعة»: هي السورة الحادية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفص، نزلت بعد «سورة قريش» وقبل «سورة القيامة»، آياتها إحدى عشرة في عد الكوفة، وعشرة في الحجاز، وثمان فى البصرة، والشام. وكلماتها ست وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون فواصل آياتها «شثه»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي :«سورة القارعة»:**

اتفقت المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة على تسمية هذه السورة: «سورة القارعة»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: {الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)} [القارعة : ١ - ٣].

ولا يعرف لهذه السورة اسم آخر غيره، ولم يرو شيء في تسميتها من كلام الصحابة والتابعين-رضوان الله عليهم أجمعين-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «القارعة»، بمكة"[٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أن آخر السابقة كان في وصف يوم القيامة، وهذه السورة يأسرها فى وصف ذلك اليوم، وما يكون فيه من الأهوال[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- إثبات وقوع البعث وما يسبق ذلك من الأهوال.

٢- إثبات الجزاء على الأعمال.

٣- أن أهل الأعمال الصالحة المعتبرة عند الله في نعيم، وأهل الأعمال السيئة التي لا وزن لها عند الله في قعر الجحيم.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: بيان هيبة العرصات، وتأثيرها فى الجمادات والحيوانات، وذكر وزن الحسنات والسيئات، وشرح عيش أهل الدرجات وبيان حال أصحاب الدركات في قوله: {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة : ١١]"[٦].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٧].

- **فضائل السورة:**

– عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ القارعة ثقّل الله سبحانه بها ميزانه يوم القيامة» [٨]. [موضوع]

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٢) الدر المنثور: ٦٠٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٥١٦/٥.

(٤) زاد المسير: ٤٨٣/٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٢٤/٣٠.

(٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٢.

(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٤/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٢٦. [موضوع]

- عن أبي سليمان الداراني؛ قال: "كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ «القارعة»"[١]. وفي لفظ:" ولا تقرأ عليه"[٢].
- عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام، سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده، ففقد رجلا من الأنصار في اليوم الثالث، فسأل عنه فقيل: يا رسول الله، تركناه مثل الفرخ، لا يدخل في رأسه شيء إلا خرج من دبره. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: «عودوا أخاكم». قال: فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوده، وفي القوم أبو بكر، وعمر، فلما دخلنا عليه إذا هو كما وصف لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف تجدك؟». قال: لا يدخل في رأسي شيء إلا خرج من دبري، قال: «ومم ذاك؟». قال: يا رسول الله، مررت بك وأنت تصلي المغرب، فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة: {الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: ٢]- إلى آخرها - {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة: ١١]، قال: فقلت: اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة، فعجل لي عقوبته في الدنيا، فنزل بي ما ترى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئس ما قلت، ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار؟». قال: فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فدعا بذلك، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقام كأنما نشط من عقال، قال: فلما خرجنا قال عمر: يا رسول الله، حضضتنا آنفا على عيادة المريض، فما لنا في ذلك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المرء المسلم إذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم، خاض في الرحمة إلى حقويه، فإذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وغمرت المريض الرحمة، وكان المريض في ظل عرشه، وكان العائد في ظل قدسه، ويقول الله لملائكته: انظروا كم احتسبوا عند المريض العواد " قال: " تقول: أي رب، فواقا - إن كانوا احتسبوا فواقا - فيقول الله لملائكته: اكتبوا لعبدي العائد عبادة ألف سنة، قيام ليله وصيام نهاره، وأخبروه أني لم أكتب عليه خطيئة واحدة " قال: " ويقول لملائكته: انظروا كم احتسبوا؟ " قال: " يقولون: ساعة - قال: إن كانوا احتسبوا ساعة - فيقول: اكتبوا له دهرا، والدهر عشرة آلاف سنة، إن مات قبل ذلك دخل الجنة، وإن عاش لم يكتب عليه خطيئة واحدة، وإن كان صباحا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وكان في خراف الجنة، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان في خراف الجنة"»[٣].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) المجالسة وجواهر العلم، للدينوري(١٢٣٤):ص٦٧/٤.
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٢٩٩/٨.
(٣) مسند أبي يعلى الموصلى(٣٤٢٩):ص١٥٠/٦. [حكم حسين سليم أسد] : إسناده ضعيف.

**القرآن**

**{الْقَارِعَةُ (١)} [القارعة : ١]**

التفسير:

الساعة التي تقرع قلوب الناس بأهوالها.

قال الطبري:" الساعة التي يقرع قلوب الناس هولُها، وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها، وذلك صبيحة لا ليل بعدها"[١].

عن ابن عباس:"{الْقَارِعَةُ}، من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله وحذّره عباده"[٢].

قال ابن عباس:" هي الساعة"[٣].

قال ابن عباس:" القارعة: يوم القيامة"[٤].

قال ابن كثير:" {الْقَارِعَةُ} من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك"[٥].

قال وكيع:" سمعت أن «القارعة»، و«الواقعة»، و«الحاقة»: القيامة"[٦].

قال مقاتل:" وإنما سميت «القارعة»، لأن الله- عز وجل- يقرع أعداءه بالعذاب"[٧].

قال المبرد: "سميت القيامة «قارعة»؛ لأنها تقرع القلوب، وتهجم عليها بالشدة والكرب"[٨].

قال ابن فورك:" القارعة: البلية التي تقرع القلوب بشدة المخافة يقال: قرع يقرع قرعا. وهو الضرب بشدة اعتماد، ومنه انشقت القرعة"[٩].

**القرآن**

**{مَا الْقَارِعَةُ (٢)} [القارعة : ٢]**

التفسير:

أيُّ شيء هذه القارعة؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره معظما شأن القيامة والساعة التي يقرع العباد هولها: أيّ شيء القارعة، يعني بذلك: أيّ شيء الساعة التي يقرع الخلق هولها، أي: ما أعظمها وأفظعها وأهولها"[١٠].

عن قتادة:"{القارِعَةُ ما القارِعَةُ}، قال: هي الساعة"[١١].

عن قتادة، قوله: "{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}، أي: بالساعة"[١٢].

**القرآن**

**{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)} [القارعة : ٣]**

التفسير:

وأيُّ شيء أعلمك بها؟

---

(١) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٤.
(٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤/٦.
(٩) تفسير ابن فورك: ٢٦٣/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٤-٥٧٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أشعرك يا محمد أيّ شيء القارعة"[١].

**القرآن**

**{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)} [القارعة : ٤]**

التفسير:

في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحركتهم كالفراش المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.

وفي «الفراش»، قولان :

أحدهما : أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره ، ومنه الجراد ، قاله الفراء[٢].

قال الفراء:" يريد: كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يومئذ يجول بعضهم في بعض"[٣].

الثاني : أنه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب ، قاله قتادة[٤]، وأبو عبيدة[٥].

قال الزجاج:" والفراش ما تراه كصغار البق يتهافت في النار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض"[٦].

قال أبو عبيدة:" طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش، والمبثوث: المتفرق"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: القارعة يوم يكون الناس كالفراش، وهو الذي يتساقط في النار والسراج، ليس ببعوض ولا ذباب، ويعني بالمبثوث: المفرّق"[٨].

عن قتادة: "{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}، هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار"[٩].

قال ابن زيد:" هذا شَبَه شبهه الله"[١٠].

قال الماوردي:" وإنما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث، لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش"[١١].

قال مقاتل:" إذا خرجوا من قبورهم تجول بعضهم في بعض، فشبههم بالفراش المبثوث، وشبههم في الكثرة بالجراد المنتشر، فقال: {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [القمر : ٧]"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش مبثوث كما قال في الآية الأخرى :{كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ}"[١٣].

قال ابن فورك:" المبثوث: المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهاب فيها"[١٤].

قال الحسن، في قوله: "{كالفَراشِ المَبْثُوثِ}: المبسوط"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٨٦/٣.
(٣) معاني القرآن: ٢٨٦/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٣٠٩/٢.
(٦) معاني القرآن: ٣٥٥/٥.
(٧) مجاز القرآن: ٣٠٩/٢.
(٨) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١١) النكت والعيون: ٣٢٨/٦.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١١/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٨.
(١٤) تفسير ابن فورك: ٢٦٣/٣.

**القرآن**

**{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)} [القارعة : ٥]**

التفسير:

وتكون الجبال كالصوف متعدد الألوان الذي يُنْفَش باليد، فيصير هباء ويزول.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعِهْن: هو الألوان من الصوف"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : قد صارت كأنها الصوف المنفوش، الذي قد شَرَع في الذهاب والتمزق"(٣).

قال مقاتل:" تكون الجبال يومئذ بعد القوة والشدة كالصوف المندوف عرقها في الأرض السفلى، ورأسها في السماء، يقول هو جبل فإذا مسسته فهو لا شيء من شدة الهول: فما حالك يومئذ يا بن آدم، قال: كالصوف المنفوش في الوهن، أوهن ما يكون الصوف إذا نفش"(٤).

عن قتادة: "{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، قال: الصوف المنفوش"(٥).

قال قتادة:" هو الصوف. وذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء"(٦).

عن مجاهد وقتادة: "{كَالْعِهْنِ}، قال: كالصوف"(٧).

قال الزجاج:" العِهْن: الصوف"(٨).

قال أبو عبيدة:" {العهن}: الصوف الألوان"(٩).

قال الفراء:" لأن ألوانها مختلفة، كألوان العهن"(١٠).

قال السعدي:" وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد ذاك هباء منثورا فتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ أليس حقيقا أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟"(١١).

وفي قراءة عبد الله: «كالصوف المنفوش»(١٢).

**القرآن**

**{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧)} [القارعة : ٦-٧]**

التفسير:

فأما من رجحت موازين حسناته، فهو في حياة مرضية في الجنة.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [القارعة : ٦]، أي:" فأما من رجحت موازين حسناته"(١٣).

---

(١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٦ -.
(٢) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١١/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
(٨) معاني القرآن: ٢٢٠/٥.
(٩) مجاز القرآن: ٣٠٩/٢.
(١٠) معاني القرآن: ٢٨٦/٣.
(١١) تفسير السعدي: ٨٨٦.
(١٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٦٠٠.

قال الزجاج:" معناه من ثقلت موازينه بالحسنات، كما تقول: لفلان عندي وزن ثقيل، تأويله له وزن في الخير ثقيل"[١].

قال الطبري:" فأما من ثقُلت موازين حسناته"[٢].

قال ابن كثير:" أي : رجحت حسناته على سيئاته"[٣].

قال مقاتل:" ولا يثقل الميزان إلا قول: لا إله إلا الله بقلوب المخلصين في الأعمال وهم الموحدون"[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: {فَأَمّا مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ} [القارعة :٦]، وجهان:

أحدهما: معناه: فمن كثرت حسناته. قاله مجاهد[٥].

عن مجاهد: "{فمن ثقلت موازينه}، قال: حسناته"[٦].

عن مجاهد:" {فَأَمّا مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ}، يقول: ليس ميزان، إنما هو مَثَلٌ ضُرِب"[٧].

الثاني: معناه: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته. وهذا قول عمرو بن دينار[٨].

والصواب هو القول الثاني: من أن ذلك هو«الميزان» المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: {فمن ثقلت موازينه}، موازين عمله الصالح {فأولئك هم المفلحون}، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:«ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق»[٩]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله:وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[١٠].

---

(١) معاني القرآن: ٣٥٥/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٨.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١١/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

(٧)أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٥٩٥. وللازدزادة حول هذه المسألةيمكن الرجوع إلى قوله تعالى: {والوزن يومئذ الحق ... } [الأعراف: ٨ - ٩].

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٥):ص٣١١/١٢.

(٩) رواه الترمذي رقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود رقم (٤٧٩٩) في الأدب، باب حسن الخلق، وإسناده حسن، وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وقد ذكر الرواية الثانية المنذري في " الترغيب والترهيب " ٣ / ٢٥٦ من رواية البزار باسناد جيد.

(١٠) تفسير الطبري:٣١٢/١٢-٣١٣.

قوله تعالى:{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [القارعة : ٧]، أي:" فهو في حياة مرضية في الجنة"(١).

قال الطبري:" يقول: في عيشة قد رضيها في الجنة"(٢).

قال البغوي: أي:" مرضية في الجنة"(٣).

قال الزجاج:" أي: ذات رضى يرضاها من يعيش فيها"(٤).

قال قتادة:" يعني: في الجنة"(٥).

قال مجاهد: "يرضى بها"(٦).

قال مقاتل: يعني:" لا يسخط بعد دخولها أبدا"(٧).

قال الراغب:" العَيْشُ: الحياة المختصّة بالحيوان، وهو أخصّ من الحياة، لأنّ الحياة تقال في الحيوان، وفي الباري تعالى، وفي الملك، ويشتقّ منه المَعِيشَةُ لما يُتَعَيَّشُ منه"(٨).

**القرآن**

**{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)} [القارعة : ٨-٩]**

التفسير:

وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فمأواه جهنم.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [القارعة : ٨]، أي:" وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته"(٩).

قال الطبري:" يقول: وأما من خفّ وزن حسناته"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : رجحت سيئاته على حسناته"(١١).

قال مقاتل:" بسيئاته، وهو الشرك، لأنه لا يرى شيئا مما كسب إلا صار كالرماد"(١٢).

عن عبيد بن عمير ، في قوله تعالى: {وأما من خفت موازينه} [القارعة: ٨] قال: «يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب يوم القيامة ، فيوضع الميزان فما يزن عند الله جناح بعوضة»(١٣).

عن عبيد الله بن العيزار قال: " إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن، والسعيد الذي يجد لقدميه موضعا يضعهما عليه، وإن الشمس تدنى من رءوسهم حتى لا يكون بينها وبين رءوسهم، إما قال: ميل، أو ميلين، ثم يزاد في حرها بضعة وستون ضعفا، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى: ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، إلا فلان ابن فلان خفت موازينه، وشقي شقاء لا يسعد بعده أبدا"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٣) تفسير البغوي: ٥١١/٨.

(٤) معاني القرآن: ٣٥٥/٥. قال الزجاج:" وقال قوم: معناه مرضية، وهو يعود إلى هذا المعنى في التفسير".

(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٦) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٧٥/٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٢/٤.

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٥٩٦.

(٩) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٨.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٢/٤.

(١٣) أخرجه عبدالرزاق(٣٦٨٦):ص٤٥٥/٣.

(١٤) الزهد والرقائق لابن المبارك(٩١٤):ص٣١٩/١، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٥٤٠٨):ص٢٠٩/٧. بلفظ:" إن الأقدام يوم القيامة كمثل النبل في القرن , والسعيد من وجد لقدميه موضعا يضعهما , وعند الميزان ملك

عن عبد الله بن مسعود قال: «يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار»، ثم قرأ {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم} [الأعراف: ٩]، ثم قال: " إن الميزان يخف بمثقال حبة، أو يرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة، وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا إلى أصحاب النار، قالوا: {ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين} [الأعراف: ٤٧] فتعوذوا بالله من منازلهم، قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نورا، وكل أمة نورا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ماذا لقي المنافقون قالوا: {أتمم لنا نورنا} [التحريم: ٨] وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان في أيديهم، ومنعتهم سيئاتهم أن يمضوا بها، فبقي في قلوبهم الطمع، إذ لم ينزع النور من أيديهم، فبذلك يقول الله تبارك وتعالى: {لم يدخلوها وهم يطمعون} [الأعراف: ٤٦] فكان الطمع النور في أيديهم، ثم أدخلوا بعد ذلك الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولا "، قال: وقال ابن مسعود وهو على المنبر: " إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرا، وإذا عمل سيئة لم يكتب عليه إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت وحداته أعشاره"[١].

عن زبيد أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب: " إني موصيك بوصية إن حفظتها: إن لله تعالى حقا بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حقا لا يقبله في النهار، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق، وثقله عليهم، وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الباطل، وخفته عليهم، وحق لميزان ألا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وإن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا، وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول قائل: أنا أفضل من هؤلاء، وذكر آية الرحمة، وآية العذاب، فيكون المؤمن راغبا راهبا، ولا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإن حفظت قولي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه"[٢].

عن عبد الله بن سابط، قال: "لما بلغ الناس، أن أبا بكر يريد أن يستخلف عمر، قالوا: ماذا يقول لربه إذا لقيه؟ استخلف علينا فظا غليظا وهو لا يقدر على شيء، فكيف لو قدر؟ فبلغ ذلك أبا بكر فقال: أبربي تخوفوني؟ أقول: استخلفت خير أهلك، ثم أرسل إلى عمر فقال: إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار، لا يقبله بالليل، واعلم أنه لن تقبل نافلة حتى تؤدوا الفريضة، ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وذلك أنه تجاوز عن سيئة حتى يقول القائل: أنى يبلغ عملي هذا؟ ألم تر أن الله حين ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وذلك أنه رد عليهم حسنة فلم تقبل منهم حتى يقول القائل: عملي خير من هذا؟ ألم تر أن الله أنزل الرغبة والرهبة لكي يرهب المؤمن فيعمل، وكي يرغب فلا يلقي بيديه إلى التهلكة؟ ألم تر أن من ثقلت موازينه يوم القيامة ثقلت موازينهم باتباعهم الحق وتركهم الباطل، فثقل ذلك عليهم، وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل؟ ألم تر أن ما خفت موازين من خفت موازينه إلا باتباعهم الباطل وتركهم الحق، وحق لميزان أن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف؟ ثم قال: أما إن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وأنت لا بد لاقيه، وإن أنت ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولا تعجزه"[٣].

---

ينادي: ألا إن فلان بن فلان ثقلت موازينه , فسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا , ألا إن فلان بن فلان خفت موازينه فشقي شقاء لا يسعد بعده أبدا".

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك١٢٣/٢.

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك: ١١٠/٢، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٤٤٣٣):ص٩١/٧.

(٣) التفسير من سنن سعيد بن منصور(٩٤٢):ص١٣٣/٥-١٣٤.

قوله تعالى:{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة : ٩]، أي:" فمأواه جهنم"[١].
قال الطبري:" فمأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه في جهنم"[٢].
قال قتادة:" وهي النار هي مأواهم"[٣].
قال مقاتل: " يقول: لا تحمله الأرض، ولا تظله السماء، ولا شيء إلا النار"[٤].
قال الماتريدي:" {هَاوِيَةٌ}، أي: تهوي به؛ حيث لا يكون له ثبات ولا قرار"[٥].
وروى المبرد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "لا أم لك، فقال: يا رسول الله، أتدعوني إلى الهدى وتقول: لا أم لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أردت لا نار لك، قال الله تعالى: {فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ}"[٦].
وفي قوله تعالى: {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة : ٩]، ثلاثة وجوه:
أحدها: معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعَبَّر عنه بـ«أمه»، يعني: دماغه. روي نحو هذا المعنى عن قتادة[٧]، وعكرمة[٨]، وأبي صالح[٩]، وابن خالد الوالبي[١٠].
قال عكرمة:" أم رأسه هاوية في جهنم"[١١].
عن أبي صالح: "{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}، قال: يهوون في النار على رءوسهم"[١٢].
قال قتادة:" يهوي في النار على رأسه"[١٣].
قال الزمخشري:" فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوسا"[١٤].
قال يحيى بن سلام:" النار كلها هاوية، يهوون فيها"[١٥].
الثاني: أنها كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قتادة-أيضا-[١٦].
قال قتادة:" مصيره إلى النار، هي «الهاوية»: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمه"[١٧].
الثالث: أن المعنى: فمسكنُه النار. وإنما قيل لمسكنه: أمّه، لأنّ الأصل السّكون إلى الأمّهات. فالنّار لهذا كالأُمِّ، إذ لا مأوى له غيرها، وهذا قول ابن عباس[١٨]، وابن زيد[١٩]، والفراء[٢٠]، وابن قتيبة[٢١]، والزجاج[٢٢]، والأخفش[١]، وأنشد الأخير قول الشاعر[٢]:

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٢) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٢/٤.
(٥) تأويلات أهل السنة: ٦٠٦/١٠.
(٦) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٥١٧/٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٢٩/٦، وزاد المسير: ٤٨٤/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(١٤) الكشاف: ٧٩٠/٤.
(١٥) يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(٢١) انظر: غريب القرآن: ٥٣٧.
(٢٢) انظر: معاني القرآن: ٣٥٦/٥.

هوت أمّه ما يبعث الصّبح غاديا ... وماذا يؤدّي اللّيل حين يؤوب

قال الزمخشري:" قيل للمأوى: أمّ، على التشبيه، لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه"[٣].

قال ابن قتيبة:" أي: النارُ له كالأم يأوي إليها"[٤].

قال الفراء:" صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لا مأوى له غيرها أما له"[٥].

قال الزجاج:" قيل {أمه} لمسكنه، لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، فأبدل فيما يسكن إليه {نار حامية}[٦].

قال ابن زيد:" الهاوية: النار، هي أمُّه ومأواه التي يرجع إليها، ويأوي إليها، وقرأ: (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}"[٧].

عن ابن عباس :"{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}، وهو مثلها، وإنما جعل النار أمَّه، لأنها صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها، بمنزلة أمّ له"[٨].

ويدل على صحة القول الأخير، ما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه قال: إذا مات العبد تلقى رُوحُه أرواحَ المؤمنين، فتقول له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوية، فَبِئِسَتِ الأُمُّ، وبِئستِ المربَّيَة[٩].

---

(١) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٧٥/٥-١٧٦. وفيه قال الأخفش:" إن معنى {أمّه}: مستقرّه".

(٢)الشاهد لكعب بن سعد الغنويّ في الأصمعيات ص ٩٥، ولسان العرب (أمم) و (هوا) ، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٢، وجمهرة اللغة ٢٢٩، والأصمعيات ٩٥، وسمط اللآلي ص ٧٧٣، وجمهرة أشعار العرب ٧٠٣، وتاج العروس (أم) و (هوى) ، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٦/ ٤٩٢، والمخصّص ١٢/ ١٨٢، ولسان العرب (هبل).

(٣) الكشاف: ٧٩٠/٤.

(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٣٧.

(٥) معاني القرآن: ٢٨٧/٣.

(٦) معاني القرآن: ٣٥٦/٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٤.

(٩) أخرجه الحاكم في "المستدرك مرفوعا(١٣٠٢):ص٥٠٤/١، عن أبي هريرة مرفوعا، "عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إن المؤمن إذا احتضر أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله، وريحان، ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى أنهم ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض؟ فكلما أتوا سماء قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين ". قال: «فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه» . قال: «فيسألونه ما فعل فلان؟» قال: " فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال لهم: أما أتاكم؟ فإنه قد مات ". قال: «فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية» . قال: " وأما الكافر، فإن ملائكة العذاب تأتيه فتقول: اخرجي ساخطة مسخوط عليك إلى عذاب الله، وسخطه فيخرج كأنتن ريح جيفة فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح كلما أتوا على الأرض قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح الكفار".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور":ص (٦٠٦/٨)، عن أنس بن مالك مرفوعا، قال : "أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فإن كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية حتى يقولوا : ما فعل فلان هل تزوج ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فيقولون : دعوه فيستريح فقد خرج من كرب الدنيا".

والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٩٦٨):ص٥٨١/٢عن الحسن مرسلا:" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا مات العبد المؤمن تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولوا له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم وبئست المربية".

قال الحاكم «هذا حديث مرسل صحيح الإسناد، فإني لم أجد لهذه السورة تفسيرا على شرط الكتاب فأخرجته إذ لم أستجز إخلاءه من حديث».

قلت: ومراسيل الحسن واهية.

وورد الحديث من كلام أبي أيوب الأنصاري موقوفا عليه، كما في "الدر المنثور":ص (٦٠٦/٨-٦٠٧) بلفظ:" إذا قبضت نفس العبد تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ليسألوه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب فيقبلون عليه يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة

الرابع: أي: أصله هاو، أي: هالك، لأن أمّ الشيء أصله ومعظمه، ومنه قيل للحمد: «أمّ القرآن»، قاله مقاتل[١]، وحكاه النحاس[٢]، وأنشد قول الشاعر[٣]:

لأمّ الأرض ويل ما أجنّت ... غداة أضرّ بالحسن السّبيل

قرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرّف، والجحدري «فإمه»، بكسر الهمزة[٤].

عن الأشعث بن عبد الله الأعمى -من طريق معمر- قال: "إذا مات المؤمنُ دُهِب بروحه إلى روح المؤمنين، فتقول: روِّحوا أخاكم؛ فإنه كان في غَمٍّ الدنيا. ويسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلتْ فلانة؟ فيخبرهم، فيقول: صالح. حتى يسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أما جاءكم؟ فيقولون: لا، دُهب به إلى أُمّه الهاوية"[٥].

عن وهْب بن مُنَبِّه -من طريق مهاجر- قال: "مَرَّ عيسى - عليه السلام - بقريةٍ قد مات أهلها؛ إنسُها وجنّها وهوامها وأنعامها وطيورها، فقام ينظر إليها ساعة، ثم أقبل على أصحابه، فقال: مات هؤلاء بعذاب الله، ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا مُتفرِّقين. ثم ناداهم: يا أهل القرية، فأجابه مجيب: لبَّيك، يا روح الله. قال: ما كان جنايتكم؟ قالوا: عبادة الطاغوت، وحُبّ الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل معاصي الله. قال: فما كان حُبّكم الدنيا؟ قال: كحُبّ الصبي لأمّه، كُنّا إذا أقبلتْ فَرحنا، وإذا أدبرتْ حزنّا، مع أمل بعيد، وإدبار عن طاعة الله، وإقبال في سخط الله. قال: وكيف كان شأنكم؟ قال: بِتنا ليلة في عافية، وأصبحنا في الهاوية. فقال عيسى: وما الهاوية؟ قال: سِجِّين. قال: وما سِجِّين؟ قال: جمرة مِن نار، مثل أطباق الدنيا كلّها، دُفنتْ أرواحنا فيها. قال: فما بال أصحابك لا يتكلّمون؟ قال: لا يستطيعون أن يتكلّموا؛ مُلجمون بلجام من نار. قال: فكيف كلّمتني أنتَ من بينهم؟ قال: إني كنتُ فيهم، ولم أكن على حالهم، فلما جاء البلاء عمّني معهم، فأنا مُعلّق بشعرة في الهاوية، لا أدري أُكردس في النار أم أنجو! فقال عيسى: بحقّ أقول لكم: لأكل خُبز الشعير، وشُرْب ماء القَراح، والنوم على المزابل مع الكلاب، كثير مع عافية الدنيا والآخرة"[٦].

**القرآن**

**{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠)} [القارعة : ١٠]**

التفسير:

---

هل تزوجت فإذا سألوه عن الرجل مات قبله قال لهم: إنه قد هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية فيعرض عليهم أعمالهم فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها وإن رأوا سوءا قالوا: اللهم راجع عبدك". قال ابن المبارك:" ورواه سلام الطويل عن ثور فرفعه".

وورد أيضا من كلام أبي أيوب الأنصاري مرفوعا، كما في "الدر المنثور":ص ٦٠٦/٨بلفظ: "إن نفس المؤمن إذا قبضت تقلتها أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير من أهل الدنيا فيقولون: انظروا صاحبكم يستريح فإنه كان في كرب شديد ثم يسألونه ما فعل فلان وفلانة هل تزوجت فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: هيهات قد مات ذاك قبلي فيقولون: إنا لله وإنه إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية".

وأخرجه الطبري عن الأشعث بن عبد الله الأعمى موقوفا: ٥٧٥/٢٤، قال: "إذا مات المؤمن دُهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روّحوا أخاكم، فإنه كان في غمّ الدنيا؛ قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهبوا به إلى أمّه الهاوية".

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٢/٤.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ١٧٦/٥.

(٣)الشاهد لعبد الله بن عنمة الضبيّ في لسان العرب (ضرر) و (حسن) ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٥٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣١٦، وجمهرة اللغة ٥٣٥، ولعنمة بن عبد الله الضبيّ في تاج العروس (حسن) ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ١٢٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٥٨، ومجمل اللغة ٢/ ٦٢، وأساس البلاغة (سلف).

(٤) انظر: زاد المسير: ٤٨٣/٤.

(٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٢.

(٦)أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٦١.

وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه الهاوية؟
قال القشيري:" سؤال على جهة التهويل"[١].
قال السمرقندي:" تعظيما لشدتها"[٢].
قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أشعرك يا محمد ما الهاوية، ثم بَيَّن ما هي"[٣].
قال البغوي:" يعني: الهاوية، وأصلها: «ما ه»، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة"[٤].
قال ابن قتيبة:" إنما يجوز في رءوس الآي: أن يزيد هاءً للسكت"[٥].
تفسير الحسن: أي: "أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما الهاوية"[٦].
قال سفيان بن عيينة: كل شيء، قال: {وما أدراك}، فإنَّه أخبره به، وما قال: وما يدريك فإنَّه لم يخبره به"[٧].

**القرآن**
**{نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)} [القارعة : ١١]**
التفسير:
إنها نار قد حَمِيت من الوقود عليها.
قال الطبري:" يعني بالحامية: التي قد حميت من الوقود عليها"[٨].
قال ابن كثير:" أي : حارة شديدة الحر، قوية اللهيب والسعير"[٩].
قال الماتريدي:" أي: تحميه، وتنضجه"[١٠].
قال السمعاني:" أي: حامية على الكفار محرقة لهم"[١١].
قال الواحدي:" حارة، قد انتهى حرها"[١٢].
قال مقاتل:" تحمي ستة أبواب من جهنم"[١٣].
عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها"[١٤].

---

(١) لطائف الإشارات: ٧٦١/٣.
(٢) بحر العلوم: ٦١١/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(٤) تفسير البغوي: ٥١٤/٨.
(٥) غريب القرآن: ٤٤٠.
(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٧٨/٥. ذكر نحوه في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، قال: تفسي الحسن: " أي: أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك". ثم كرر عبارة" أي: أنك لم تكن تدري". في تفسير عبارة" وما أدراك" في جميع القرآن. فهو يحكي هذا التفسير عن الحسن. -والله أعلم-.
(٧) تفسير الثعلبي: ٤٠٥/٢٩. [ط. دار التفسير]، وانظر: صحيح البخاري" كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر معلقًا.
(٨) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٩/٨.
(١٠) تأويلات أهل السنة: ٦٠٦/١٠.
(١١) تفسير السمعاني: ٢٧٤/٦.
(١٢) التفسير الوسيط: ٥٤٧/٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٢/٤.
(١٤) صحيح البخاري(٣٢٦٥):ص١٢١/٤، و أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في شدة حر نار جهنم رقم ٢٨٤٣. (لكافية) في تعذيب أهل النار. (فضلت عليهن) أي على نيران الدنيا وفي رواية (عليها) ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد والمعنى أنها زادتها في العدد والكمية].

عن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "نار بني آدم التي تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم". قالوا : يا رسول الله، إن كانت لكافية. فقال : "إنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جُزءًا"[1].

عن أبي هريرة، قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : " نار بني آدم التي توقدون، جزء من سبعين جزءا من نار جهنم". فقال رجل : إن كانت لكافية. فقال : "لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا حَرًّا فحرا"[2].

فوائد السورة الكريمة:

١-تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صورة صادقة لها.

٢-التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله تعالى فيها.

٣-تقرير عقيدة وزن الأعمال صالحها وفاسدها وترتيب الجزاء عليها.

تقرير أن الناس يوم القيامة فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير.

**«آخر تفسير سورة (القارعة)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١)الموطأ برواية الزهري برقم (٢٠٩٨) وهو في رواية يحيى (٩٩٤/٢).

(٢)المسند (٤٦٧/٢).

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «التكاثر»**

«سورة التكاثر»: هي السورة الثانية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الكوثر» وقبل «سورة الماعون»[١]، وآياتها ثمان. وكلماتها ثمانية وعشرون. وحروفها مائة وعشرون. فواصل آياتها «نمر»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**

**١-«سورة التكاثر»:**

سميت في المصاحف وأكثر كتب التفسير[٣]، وبعض كتب السنة[٤]: «سورة التكاثر»، وذلك لمفتتحها بقوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

**٢-سورة «ألهاكم التكاثر»:**

اشتهرت تسميتها بسورة: «ألهاكم التكاثر»، في بعض كتب التفسير[٥]، وقد وردت هذه التسمية في كلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وفي كلام ابن عباس-رضي الله عنهما-[٦]، وكذلك ترجم لها الترمذي، في «سننه»[٧]، والحاكم في «المستدرك»[٨].

في حين ترجم لها البخاري في «صحيحه»[٩]، والطبري في «التفسير»[١٠] باسم سورة: «ألهاكم». دون تتمة الآية.

وهي تسمية بأول آية افتتحت بها السورة، قال تعالى: : {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: سورة «المقبرة»**

وردت هذه التسمية عند الألوسي[١١]، مستندا بما رواه ابن أبي حاتم، عن سعيد بن أبي هلال -رضي الله عنه- قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون {ألهاكم التكاثر}: [المقبرة][١٢]"[١٣].

ووجه تسميتها بسورة «المقبرة»، لورود لفظ: «المقابر»، في السورة، وهو جمع: «المقبرة»، قال تعالى: {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر : ٢].

فهو إذن اسم اجتهادي من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-. ولم يثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) بناء على أنها مكية.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٣) انظر مثلا: بحر العلوم للسمرقندي: ٦١٣/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٦٦/٣، والكشف والبيان: ٢٧٦/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٠/٦، والوسيط للواحدي: ٥٤٨/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٥/٦، وتفسير البغوي: ٥١٥/٨، والكشاف: ٧٩١/٤، والمحرر الوجيز: ٥١٨/٥، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٤٨٥/٤، وتفسير القرطبي: ١٦٨/٢٠، وغيرها.

(٤) انظر مثلا: السنن الكبرى للنسائي: ٣٤٣/١٠.

(٥) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٠٧/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٥٨/٥.

(٦) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٧) انظر: سنن الترمذي: ٤٤٧/٥.

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٨٢/٢.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ١٧٦/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢٤.

(١١) انظر: روح المعاني: ٤٥١/١٥.

(١٢) في تفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور: «المغيرة» بدلا من «المقبرة»، وهو تصحيف. والصحيح «المقبرة»، كما في روح المعاني: ٤٥١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٢):ص٣٤٥٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٦٠٩/٨.

عن ابن عباس، قال: " نزلت بمكة سورة {ألهاكم التكاثر}"[١].
قال ابن عطية:" هي مكية لا أعلم فيها خلافا"[٢].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٣].
قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين. وقال البخاري: مدنية"[٤].
قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية، ويدل لكونها مدنية - وهو المختار -:
ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة: «أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا»...الحديث[٥].
وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: «كنا نرى هذا من القرآن - يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب»،- حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}»[٦][٧].
وأخرج الترمذي عن علي قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت»[٨].
قال السيوطي:" وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية"[٩].
قال ابن عاشور:" والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكية، وأن المخاطب بها فريق من المشركين، لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين"[١٠].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في هذه ذكر الجحيم وهى الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة[١١].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:
١- التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور كما صار من كان قبلهم وعلى الوعيد على ذلك.
٢- الحثّ على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم.
٣- تقرير البعث، وأن الإنسان مسؤول عن إهمال شكر المنعم العظيم.
قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: ذم المقبلين على الدنيا، والمفتخرين بالمال، وبيان أن عاقبة الكل الموت والزوال، وأن نصيب الغافلين العقوبة والنكال، وأعد للمتمولين المذلة والسؤال، والحساب والوبال، في قوله: {لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر : ٨]"[١].

---

(١) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) المحرر الوجيز: ٥١٨/٥.
(٣) زاد المسير: ٤٨٥/٤.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٥/١٠.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٦) صحيح البخاري(ألهاكم التكاثر):ص٩٣/٨. قال المحقق:" أي هذه السورة التي بمعنى الحديث فحين المقايسة بينهما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس بقرآن. وقيل كان قرآنا فنسخ بنزول السورة اكتفاء بما هو في معناه".
(٧) قال ابن عاشور: "يريد المستدل بهذا أن أبيّا أنصاري، وأن ظاهر قوله: حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}، أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب إلخ من القرآن» وليس في كلام أبيّ دليل ناهض إذ يجوز أن يريد بضمير «كنا» المسلمين، أي: كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبيء صلى الله عليه وسلم أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن". [التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠]
(٨) وابن أبي حاتم(١٩٤٥٤):ص٣٤٥٩/١٠.
(٩) الإتقان: ٥٤/١-٥٥.
(١٠) المحرر الوجيز: ٥١٨/٣٠.
(١١) انظر: تفسير المراغي: ٢٢٨/٣٠.

- **الناسخ والمنسوخ:**
السورة محكمة[٢].
- **فضائل السورة:**

- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}»[٣].
- عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وهو يقرأ {ألهاكم التكاثر} حتى ختمها"[٤].
- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قارئ عليكم سورة: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، فمن بكى فقد دخل الجنة. فقرأها، فمنا من بكى ومنا من لم يبك، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نقدر عليه، فقال: إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة ومن لم يقدر أن يبكي فليتباك"[٥].[ضعيف]
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ {أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ}، لم يحاسبه بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية» [٦]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.
(٣) المستدرك على الصحيحين(٢٠٨١):ص٧٥٥/١، وقال: «رواة هذا الحديث كلهم ثقات وعقبة هذا غير مشهور». وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"( ٢٢٨٧):ص١٣٠/٤
(٤) الدر المنثور: ٦١٠/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٥) الدر المنثور: ٦١٠/٨، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في شعب الإيمان.
(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٦/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٣٠. [موضوع]

**القرآن**
**{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١)} [التكاثر : ١]**
التفسير:
شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد.
في سبب نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنّ اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالا، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة[١]. [ضعيف][٢].
عن قتادة، في قوله: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قال: نزلت في اليهود"[٣].
عن قتادة :" {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قال: قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا"[٤].
عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم"[٥].
الثاني: أنها: "نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل"[٦]. قاله ابن بريدة[٧]. وذكر نحوه ابن السائب[٨]، ومقاتل[٩]، والفراء[١٠].
حكي الواحدي عن الكلبي، ومقاتل: "أنّ حيّين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما لحاء، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّدا، وأعزّ نفرا. وقال أولئك مثل هذا، فتعادّوا السّادة والأشراف أيّهم أكثر، فكثّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم، فكثّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم"[١١].
وفي قوله تعالى: {أَلْهَاكُمُ} [التكاثر: ١]، قولان[١٢]:
أحدهما : شغلكم التكاثر عن ذكر الآخرة. قاله مقاتل[١٣].
الثاني : أنساكم، ومعناه: ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم. وهو معنى قول الزجاج[١٤]، والطبري[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٦)، (١٩٤٥٧):ص٣٤٦٠/١٠.
ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٨٦٩، ٣٧٨٧٠.
(٢) وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٤٩٠، والخبر ضعيف لإرساله، وذكر اليهود يبطل الخبر، لأن ابن الجوزي وغيره نقلوا الإجماع على أن السورة مكية، وأخبار يهود مدنية. انظر: زاد المسير: ٤٨٥/٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٧):ص٣٤٦٠/١٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٦):ص٣٤٦٠/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، وابن السائب هو الكلبي، فهو ممن يضع الحديث، وخبره لا شيء.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٤، وأسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.
(١٠) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(١١)أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٣٠/٦.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٥٧/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤.

قال الزجاج:" أي: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن طاعة الله"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم، وعما ينجيكم من سخطه عليكم"[٢].

قال السمعاني:" أي: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عما أمرتم به"[٣].

قال النحاس:" أصوب ما قيل في معناه أنّ المعنى: ألهاكم التكاثر عن طاعة الله جلّ وعزّ إلى أن صرتم إلى المقابر فدفنتم، ودلّت هذه الآية على عذاب القبر"[٤].

عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} عن الطاعة، {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} حتى يأتيكم الموت"[٥].

وفي تفسير {التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : التكاثر بالمال والأولاد ، قاله الحسن[٦]، وعطاء الخراساني[٧].

ويدل عليه ما رواه مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن أبيه:" أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، قال: «ابن آدم، ليس لك من مال إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»"[٨].

عن أُبيّ بن كعب، قال: "كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن: «لو أن لابن آدم واديين من مال، لتمنى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب»، حتى نزلت هذه السورة: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} إلى آخرها"[٩].

وروي عن يعقوب بن مجاهد في قول رسول الله: لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثاني، فقال: نسخت بـ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]"[١٠].

الثاني : التفاخر بالعشائر والقبائل ، قاله قتادة[١١].

قال ابن قتيبة:" بالعَددِ والقَراباتِ"[١٢].

عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا"[١٣].

قال قتادة:" كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم"[١٤].

الثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك[١٥].

---

(١) معاني القرآن: ٣٥٧/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٧٥/٦.
(٤) إعراب القرآن: ١٧٧/٥.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥١):ص٣٤٥٩/١٠.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٣٠/٦.
(٧) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٥):ص١-٧.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤-٥٨٠. قال الطبري:" وقوله صلى الله عليه وسلم بعقب قراءته {ألهاكم}: ليس لك من مالك إلا كذا وكذا، ينبئ أن معنى ذلك عنده: ألهاكم التكاثر: المال".
(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(١٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨٢):ص٨٤/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(١٢) غريب القرآن: ٥٣٨.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٠/٦.

**القرآن**
**{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ٢]**
التفسير:
واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن صرتم إلى المقابر، ودُفنتم فيها.
وفي تفسير الآية الكريمة، وجهان:
أحدهما : حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار. وهو معنى قول عمر بن عبدالعزيز[١]، والزجاج[٢]، والطبري[٣].
عن ميمون بن مهران قال: "كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]، فلبث هنيهة، فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله"[٤].
قال القشيري:" أي: شغلكم تفاخركم فيما بينكم إلى آخر أعماركم إلى أن متّم"[٥].
قال الزجاج:" أي: حتى أدرككم الموت على تلك الحال"[٦].
قال الطبري:" يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا"[٧].
عن عليّ، قال: نزلت: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، في عذاب القبر"[٨].
الثاني : حتى عدَدتُم مَن في المقابر: من مَوتاكم. قاله ابن بريدة[٩]، وقتادة[١٠]، والكلبي[١١]، وابن قتيبة[١٢].
قال السمعاني: قيل: " أنه تفاخر حيان من قريش، وهما بنو عبد مناف، وبنو الزهرة، وقيل: بنو زهرة وبنو جمح - وهو الأصح - فعدوا الأحياء فكثرتهم بنو زهرة فعدوا الأموات فكثرتهم بنو جمح، فهو معنى قوله تعالى: {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، أي: عددتم من في القبور"[١٣].
حكي الماوردي عن قتادة : "أن حيّين من قريش ، بني عبد مناف وبني سهم ، كان بينهما ملاحاة فتعادّوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر ، فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيّداً وعزاً وعزيزاً وأعظم نفراً ، وقال بنو سهم مثل ذلك ، فكثرهم بنو عبد مناف ، فقال بنو سهم إن البغي

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٥):ص٣٤٥٩/١٠.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٥٧/٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٥):ص٣٤٥٩/١٠.
(٥) لطائف الإشارات: ٧٦٢/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٥٧/٥. قال الزجاج:" وجاء في التفسير أن حيين من العرب، وهم بنو عبد مناف وبنو سهم تفاخروا وتكاثروا، ففخرت بنو عبد مناف على بني سهم بأن عدوا الأحياء، فقالت بنو سهم: فاذكروا الموتى. وكثرتهم بنو سهم بعد أن كان بنو عبد مناف قد كثروا بني سهم". وراجع الأقوال في سبب نزول السورة.
(٧) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
قال ابن بريدة:" نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل".
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٣١/٦.
(١٢) انظر: غريب القرآن: ٥٣٨.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٧٥/٦.

أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحياء والأموات ، فعدّوهم فكثرتهم بنو سهم ، فأنزل الله تعالى{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} -يعني بالعدد- {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} – أي: حتى ذكرتم الأموات في المقابر-"[1].

**القرآن**

**{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)} [التكاثر : ٣]**

التفسير:

ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال، سوف تتبيَّنون أن الدار الآخرة خير لكم.

قوله تعالى:{كَلَّا} [التكاثر : ٣]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال"[2].

قال الفراء:" «كلا»، ليس الأمر على ما أنتم عليه"[3].

قال الطبري:" «كلا»، ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يُلْهِيَكُم التكاثر"[4].

قال الزجاج:" «كلا»: ردع وتنبيه، المعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة الله والإيمان بنبيه - صلى الله عليه وسلم –"[5].

قوله تعالى:{سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر : ٣]، أي:" سوف تتبيَّنون أن الدار الآخرة خير لكم"[6].

قال الطبري:" سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، أيها الذين ألهاهم التكاثر، غبّ فعلكم، واشتغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة الله ربكم"[7].

قال مقاتل:" هذا وعيد: ما نحن فاعلون بذلك إذا نزل بكم الموت"[8].

**القرآن**

**{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)} [التكاثر : ٤]**

التفسير:

ثم احذروا سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها.

قوله تعالى:{ثُمَّ كَلَّا} [التكاثر : ٤]، أي:" ثم :" ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال وكثرة العدد"[9].

قال الطبري:" يقول: ثم ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر بالأموال، وكثرة العدد"[10].

قوله تعالى:{سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر : ٤]، أي:" سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عن الآخرة"[11].

قال الطبري: أي:" سوف تعلمون إذا زرتم المقابر، ما تلقون إذا أنتم زرتموها، من مكروه اشتغالكم عن طاعة ربكم بالتكاثر"[12].

وفي قوله تعالى: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر: ٣-٤]، وجوه:

أحدها: أنه تكرار، للتغليظ والتخويف. قاله الفراء[1]، والطبري[2].

---

(١) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٣١/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٣) معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٣٥٧/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٧) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

قال الفراء:"والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف، فهذا من ذاك"[٣].

قال الطبري: وكرّر قوله: {كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، مرتين، لأن العرب إذا أرادت التغليظ في التخويف والتهديد كرّروا الكلمة مرتين"[٤].

قال القشيري:" {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر: ٣-٤]، على جهة التهويل"[٥].

قال السمعاني:" تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، والمعنى: ستعلمون عاقبة تفاخركم وتكاثركم إذا نزل بكم الموت"[٦].

قال ابن قتيبة:" يراد به التأكيد للمعنى الذي كرّر به اللفظ"[٧].

الثاني: أن الأولى للكفار، وأما الثانية فللعصاة من المؤمنين. وهذا قول الضحاك[٨]، واختيار النحاس[٩].

وروي عن الضحاك: "{كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال: الكفار، {ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال: المؤمنون. وكذلك كان يقرأها-أي: الأولى بالتاء والثانية بالياء-"[١٠].

قال النحاس:" تكرير عند الفراء. وأحسن منه ما قاله الضحاك، قال: «الأولى للكفار، وذهب إلى أن الثانية للعصاة من المؤمنين»"[١١].

الثالث: المعنى: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}: حين نزل بكم الموت، {ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}: إذا دخلتم قبوركم. قاله مقاتل[١٢]، وحكاه الماتريدي[١٣].

ويسنده ما وروي عن علي-رضي الله عنه-، قال: "كنا نشكّ في عذاب القبر، حتى نزلت هذه الآية: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} ... إلى: {كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، في عذاب القبر"[١٤].

**القرآن**

**{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)} [التكاثر : ٥-٨]**

التفسير:

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٣) معاني القرآن: ٢٨٧/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٥) لطائف الإشارات: ٧٦٢/٣.

(٦) تفسير السمعاني: ٢٧٥/٦.

(٧) تأويل مشكل القرآن: ١٥٠. قال ابن قتيبة:" قد يقول القائل في كلامه: والله لا أفعله، ثم والله لا أفعله. إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع من أن يفعله. كما يقول: والله أفعله، بإضمار (لا) إذا أراد الاختصار.

قال الله عز وجل: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) [التكاثر: ٣، ٤] .

وقال: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦) [الشرح: ٥، ٦] .

وقال: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (٣٤) ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (٣٥) [القيامة: ٣٤، ٣٥] .

وقال: وَما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الدِّينِ (١٨) [الانفطار: ١٧، ١٨] كلّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كرّر به اللفظ."

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٩) انظر: إعراب القرآن: ١٧٧/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٤.

(١١) إعراب القرآن: ١٧٧/٥.

(١٢) انظر: تفسير مقال بن سليمان: ٨١٩/٤-٨٢٠.

(١٣) انظر: تأويلات أهل السنة: ٦٠٩/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢٤.

ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك. لتبصرُنَّ الجحيم، ثم لتبصرُنَّها دون ريب، ثم لتسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

قوله تعالى:{كَلَّا} [التكاثر : ٥]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس"[٢][٣].

وقال مقاتل: كلا لا يؤمنون بالوعيد"[٤].

قوله تعالى:{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٥]، أي:" لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٥]، وجهان:

أحدهما : ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء. قاله قتادة[٦].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أن علم اليقين: أن يعلم أنَّ الله باعثه بعد الموت"[٧].

قال الطبري: أي:" لو تعلمون أيها الناس علما يقينا، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتم إلى عبادته، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا إشفاقا على أنفسكم من عقوبته"[٨].

قال الماتريدي:" يعني بهذا - واللَّه أعلم -: إبطال ما كانوا عليه من الظنون والحسبان في هذه الدنيا؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: {مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}، فإذا نزل بهم العذاب تحقق عندهم، وعلموا علما يقينا"[٩].

الثاني: أن «علم اليقين»: الموت، والمعنى: لو تعلمون علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريه شك. قاله قتادة-أيضا-[١٠].

عن قتادة:" {عِلْمَ الْيَقِينِ}، قال: كنا نتحدث أنه الموت"[١١].

قال مقاتل: {عِلْمَ الْيَقِينِ}: لا شك فيه"[١٢].

وقال الزجاج:" المعنى: لو علمتم الشيء حق علمه، وصرفتم التفهم إليه، لارتدعتم"[١٣].

قال الكسائي: "جواب {لَوْ} في أول السورة، أي: «لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم التكاثر»"[١٤].

قوله تعالى:{لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} [التكاثر : ٦]، أي:" لتبصرُنَّ الجحيم"[١٥].

قال الطبري:" لترونّ أيها المشركون جهنم يوم القيامة"[١٦].

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٢) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٣) قال الثعلبي:" قيل: ذكر {كلّا} ثلاث مرّات أراد: تعلمون عند النزوع، وتعلمون في القبر، وتعلمون في القيامة، ثم ذكر في الثالثة «علم» اليقين، لأنّه صار عيانا ما كان مغيّبا".
[الكشف والبيان: ٢٧٧/١٠].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٦٠٩/١٠.

(١٠) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨٨):ص٤٥٦/٣.

(١١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨٨):ص٤٥٦/٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.

(١٣) معاني القرآن: ٣٥٧/٥.

(١٤) نقلا عن: إعراب القرآن: ١٧٧/٥.

(١٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(١٦) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

قال الماتريدي:" يرونها عند الموت، وقيل: يرونها بالتفكر والنظر في آيات اللّه وحججه في الدنيا"[١].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[٢]. وقال مقاتل مثل ذلك[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٧]، أي:" ثم لتبصرُنَّها دون ريب"[٤].

قال الفراء:" {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا}، مرتين من التغليظ أيضا"[٥].

عن ابن عباس: "{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}، يعني: أهل الشرك"[٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٧]، وجهان:

أحدهما : أن «عين اليقين»: المشاهدة والعيان.

قال مقاتل:" لترون الجحيم في الآخرة معاينة.. يقينها: رؤية العين"[٧].

قال الفراء:" عينا لستم عنها بغائبين"[٨].

قال الطبري:" ثم لترونها عيانا لا تغيبون عنها"[٩].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: بالمعاينة"[١٠].

الثاني : أنه بمعنى: الحق اليقين ، قاله السدي[١١].

وفي تفسير قوله تعالى: {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)} [التكاثر : ٦ - ٧]، وجوه:

أحدها: أن الثاني تأكيد للأول، والمعنى فيهما واحد. إنما أراد التغليظ. قاله الفراء[١٢].

الثاني: معناه: {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}: عن بعد إذا أبرزت، {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}: إذا دخلتموها. حكاه السمعاني[١٣].

الثالث: {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}: بعيون قلوبكم، فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك، وهو أن تتصور لك تارات القيامة، وقطع مسافاتها. {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}: أي: عند المعاينة بعين الرأس، فتراها يقينا، لا تغيب عن عينك. حكاه القرطبي[١٤].

الرابع : {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}: في القبر، {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}: في القيامة. حكاه السمعاني-أيضا-[١٥].

قال النحاس:" والأحسن ألا يكون تكريرا، ويكون المعنى لترونّ الجحيم في موقف القيامة"[١٦].

قرأ الكسائي «لَتَرَوُنَّ»، بضمّ التاء. حكاه أبو عبيد عنه، وقرئ على إبراهيم بن موسى عن محمد بن الجهم عن أبي عبد الرّحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قرأ":

---

(١) تأويلات أهل السنة: ٦٠٩/١٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٥) معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(٩) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.
(١٠) تفسير ابن ابي زمنين: ١٦٠/٥.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني: ٢٧٦/٦، وتفسير القرطبي: ١٧٤/٢٠
(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٧٤/٢٠.
(١٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٧٦/٦.
(١٦) إعراب القرآن: ١٧٧/٥.

«لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها»، الأولى بضمّ التاء والثانية بفتحها، والأولى عند الفرّاء[١]، وأبي عبيد فتحها، لأن التكرير يكون متفقا[٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر : ٨]، أي:" ثم لتسألنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم"[٣].

قال الطبري:" يقول: ثم ليسألنكم الله عزّ وجلّ عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، من أين وصلتم إليه، وفيم أصبتموه، وماذا عملتم به"[٤].

واختلف أهل التفسير في ذلك «النعيم»، على أقوال:

أحدها : الأمن والصحة ، قاله ابن مسعود[٥]، ورواه مرفوعا[٦]، وبه قال مجاهد[٧]، والشعبي[٨]، وسفيان[٩].

قال الشعبي:" النعيم المسئول عنه يوم القيامة: الأمن والصحة"[١٠].

الثاني : أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن -النبيّ صلّى الله عليه وسلم-[١١].

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعري، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة، يعني العبد من النعيم، أن يقال له: ألم نصح لك جسمك، ونرويك من الماء البارد"[١٢].

الثالث: أنه خبز البُرّ والماءُ العَذْبُ[١٣]، قاله أبو أُمامة[١٤].

عن بشر بن عبد الله بن بشار، قال: سمعت بعض أهل يمن يقول: "سمعت أبا أُمامة يقول: النعيم المسئول عنه يوم القيامة: خبز البرّ، والماء العذب"[١٥].

الرابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله علي بن أبي طالب[١٦]، وأبو أمامة[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، وأبو معمر عبد الله بن سخبرة[١٩]. ورواه جابر بن عبدالله مرفوعا[٢٠].

---

(١)انظر معاني الفراء ٣/ ٢٨٨.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٧٧/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٦١):ص٣٤٦٠/١٠، و(١٩٤٦٦):ص٣٤٦٢/١٠.
عن ابن أبي ليلى، أظنه عن عامر، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {لتسئلن يومئذ عن النعيم}، قال: الأمن والصحة".
ولا يصح مرفوعا، إنما هو من كلام ابن مسعود، كما أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤. والمرفوع فيه انقطاع وضعف.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(١١)جيد. أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ والحاكم ٤/ ١٣٨ والطبري ٣٧٨٩٩ والبيهقي ٤٦٠٧ من طرق عن عبد الله بن العلاء بن زبر عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعا، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال البخاري سوى الضحاك بن عبد الرحمن، وهو ثقة.

(١٢) سنن الترمذي(٣٣٥٨):ص٣٠٥/٥.

(١٣) ورد في بعض المصادر أن النعيم: الماء الحار في الشتاء. ذكره ابن قتيبة، في : غريب القرآن: ١١، ضمن منكر التأويل، ومنحول التفسير، وذكره مكي في " : قوت القلوب": ٤٢٩/٢].

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦١): ٣٤٦٠/١٠.

(١٧) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.

(٢٠) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.

عن عَمَّار بن أبي عمار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمرُ رضي الله عنهما، فأطعمناهم رطبا، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسألون عَنْهُ"[١].

عن أبي هريرة، قال: بينما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان، إذ جاء النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما أجْلَسَكُما ها هُنا؟ " قالا الجوع، قال: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بالْحَقّ ما أخْرَجَنِي غَيرُهُ"، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وسلم: "أيْنَ فُلانٌ؟ " فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء، فجاء صاحبهم يحمل قربته، فقال: مرحبا، ما زار العباد شيء أفضل من شيء زارني اليوم، فعلق قربته بكَرَب نخلة، وانطلق فجاءهم بعِذْق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ؟ " فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "إيَّاكَ والْحَلُوبَ"، فذبح لهم يومئذ، فأكلوا، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ، أخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حتى أصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيم"[٢].

عن ابن عباس أنه سمع عمر بين الخطاب يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «ما أخرجك يا ابن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي أخرجكما قال: فقد عمر، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثهما، ثم قال: «هل بكما من قوة تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا؟» قلنا نعم. قال: «مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري» قال: فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيدينا، فسلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت: يا رسول الله قد- والله- سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيرا» ثم قال «أين أبو الهيثم؟ لا أراه» قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يستعذب الماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله، فبسطت بساطا تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «حسبك يا أبا التيهان الهيثم» قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكلون من بسره ومن رطبه ومن تذنوبه، ثم أتاهم بماء فشربوا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[٣].

عن أبي عسيب، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: "أطْعِمْنا بُسْرًا"، فجاء بعذق فوضعه، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، فقال: "لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ"، فأخذ عمر العذق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر، ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسئولون عن هذا؟ قال: "نَعَمْ، إلا مِنْ كِسْرَةٍ يُسَدُّ بِها جَوْعَةٌ، أوْ حُجْرٌ يُدْخَلُ فِيه مِنَ الحَرِّ والقَرِّ"[٤].

عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "مرّ بي النبيّ صلى الله عليه وسلم، فدعاني وخرجت ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، فدخل حائطا لبعض الأنصار، فأُتِيَ بِبُسْرٍ عِذْق منه، فوُضِع بين يديه، فأكل هو وأصحابه، ثم دعا بما بارد، فشرب، ثم قال: "لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ القِيامَةِ"، فقال عمر: عن هذا يوم القيامة؟ فقال: "نَعَمْ، إلا مِنْ ثَلاثَةٍ: خِرْقَةٍ كَفَّ بِها عَوْرَتَهُ، أو كِسْرَةٍ سَدَّ بِها جَوْعَتَهُ، أوْ جُحْرٍ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الحَرِّ والقَرّ"[٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤-٥٨٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٣):ص٣٤٦١/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٤-٥٨٥.

عن أبي بصيرة، قال: أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وناس من أصحابه أكلة من خبز شعير لم يُنْخَل، بلحم سمين، ثم شربوا من جدول، فقال: "هذا كله من النعيم الذي تُسْأَلونَ عنه يوم القيامة"[١].

عن محمد بن محمود بن لبيد، قال: "لما نزلت {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، فقرأها حتى بلغ: {لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قالوا: يا رسول الله، عن أيّ النعيم نسأل، وإنما هو الأسودان: الماء، والتمر، وسيوفنا على عواتقنا، والعدوّ حاضر! قال: "إن ذلكَ سَيَكُونُ"[٢].

عن أبي هريرة: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أولَ ما يُسْأَلُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أنْ يُقَالَ لَهُ: ألَم نُصِحَّ لَك جِسْمَكَ، وَنُروَ مِنَ الماءِ البارِدِ؟"[٣].

عن ثابت البناني، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "النَّعِيم: المَسْئُولُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ: كِسْرَةٌ تُقَوّيهِ، وَماءٌ يُرْوِيهِ، وَثَوْبٌ يُوَارِيهِ"[٤].

عن بشر بن عبد الله بن بشار، قال: سمعت بعض أهل يمن يقول: "سمعت أبا أمامة يقول: النعيم المسئول عنه يوم القيامة: خبز البرّ، والماء العذب"[٥].

عن علي بن أبي طالب:" أنه سئل عن قوله: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قال: عن أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا، وكان له منزله يسكنه، فذاك من النعيم الذي يسأل عنه"[٦].

عن بكير بن عتيق، قال: "رأيت سعيد بن جُبَير أُتيَ بشربة عسل، فشربها، وقال: هذا النعيم الذي تُسألون عنه"[٧].

عن بكير بن عتيق العامري، قال: "أُتِيَ سعيد بن جُبير بشَربة عسل، فقال: أما إن هذا النعيم الذي نسأل عنه يوم القيامة: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}"[٨].

عن مجاهد، قال: قال أبو معمر عبد الله بن سخبرة: "ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً، إن أهونهم عيشا الذي يأكل خبز البرّ، ويشرب ماء الفرات، ويستظلّ من الظلّ، وذلك من النعيم"[٩].

عن عكرمة قال: لما أنزلت هذه الآية {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم"[١٠].

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخُبْز، يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه"[١١].

روي عن مغيرة عن إبراهيم قال: "من أكل فسمّى الله وفرغ فحمد الله لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام"[١٢].

وقال عروة بن محمد: "كنّا مع وهب بن منبه فرأينا رجلا أصمّ أعمى مقعدا مجذوما مصابا، فقلنا: هل بقي على هذا شيء من النعيم؟ قال: نعم، أعظمه بشبعه ما يأكل ويشرب، ويسهل عليه إذا خرج لذلك"[١٣].

قال بكر عن عبد الله المزني: "يا لها من نعمة يأكل لذّة ويخرج سرجا! "[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦١): ٣٤٦٠/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤-٥٨٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٥):ص٣٤٦١/١٠-٣٤٦٢.
(١١) مسند البزار برقم (٣٦٤٣) "كشف الأستار" وليث بن أبي سليم ضعيف.
(١٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.
(١٣) رواه الثعلبي في " الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.

الخامس : أنه صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباس[٢].

قال ابن عباس:" النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا}"[٣].

وقال الحسن:" السمع والبصر، وصحة البدن"[٤].

وروي سعد بن طريف، عن أبي جعفر، قال: "العافية"[٥].

عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني"[٦].

السادس : أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن[٧].

السابع : أنه الصحة والفراغ. قاله عكرمة[٨].

وقال سعيد بن جبير:" الصحة والفراغ والمال"[٩].

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ"[١٠].

قال ابن كثير:" ومعنى هذا : أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون"[١١].

الثامن : أنه كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد[١٢]، وقتادة[١٣].

قال قتادة:" إن الله عزّ وجل سائل كلّ عبد عما استودعه من نِعَمه وحقه"[١٤].

قال قتادة:" إن الله تعالى ذكره سائل كلّ ذي نعمة فيما أنعم عليه"[١٥].

عن مجاهد، في قول الله: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قال: عن كل شيء من لذّة الدنيا"[١٦].

قال ابن كثير:" وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال"[١٧].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يقول الله، عز وجل - قال عفان : يوم القيامة - : يا بن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تَرْبَع وترأس، فأين شكر ذلك ؟"[١٨].

التاسع : أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد -صلى الله عليه وسلم-. قاله محمد بن كعب[١].

---

(١) رواه الثعلبي في " الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٦) سنن الترمذي(٢٤٢٨):ص١٩٧/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦، وزاد المسير: ٤٨٦/٤، وتفسير ابن كثير: ٤٧٧/٨.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، وزاد المسير: ٤٨٦/٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٢/٦.
(١٠)صحيح البخاري برقم (٦٤١٢) وسنن الترمذي برقم (٢٣٠٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٧٠).
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٨.
(١٨)المسند (٤٩٢/٢).

قال الثعلبي:" ودليل هذا التفسير قوله سبحانه {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} [النحل : ٨٣]"[٢].

وقال أبو العالية: "الإسلام والستر"[٣].

العاشر: أنه في صنوف النعم، يعني: الشكر للنعيم الذي أعطاه الله- عز وجل-، فلم يهتد ولم يشكر. قاله قاله مقاتل[٤]، وأبو بكر الوراق[٥]، والنحاس[٦].

قال أبو بكر الورّاق: "عن الآلاء والنعماء"[٧].

قال النحاس:" ظاهر الكلام يدلّ على أنه عام، وأنّ الإنسان مسؤول عن كل نعيم تنعّم به في الدنيا من أين اكتسبه؟ وما قصد به؟ وهل فعل ما غيره أولى منه؟ ويسند الظاهر للأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه"[٨].

وقال مقاتل:" يعني: كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه"[٩].

قال السعدي: أي:" الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل. أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} الآية"[١٠].

الحادي عشر: أي: عن النعيم الذي يشغل عن طاعة الله جلّ وعزّ. حكاه النحاس[١١].

الثاني عشر : أنه تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، قاله الحسن -أيضاً-[١٢]، والحسين بن الفضل[١٣].

الثالث عشر : أنه شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. قاله مكحول الشامي[١٤]، ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : :{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} يعني : "شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم"[١٥].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض"[١٦].

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء فضل عن ظل بيت، وكسر خبز، وثوب يواري عورة ابن آدم فليس لابن آدم فيه حق» قال الحسن: فقلت

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٢/٦، وزاد المسير: ٤٨٦/٤.
(٢) الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٦) انظر: إعراب القرآن: ١٧٨/٥.
(٧)نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٨) إعراب القرآن: ١٧٨/٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٤.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٣٣.
(١١) انظر: إعراب القرآن: ١٧٨/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٧٦/٢٠.
(١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٨.
(١٦) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.

لحمران: «ما يمنعك أن تأخذ بهذا وكان يعجبه الجمال؟» قال: يا أبا سعيد إن الدنيا تقاعدني"[١].

عن معمر , وكان الحسن , وقتادة , يقولان: "ثلاث لا يسأل عنهن ابن آدم , وما خلاهن فيه المسألة والحساب , إلا ما شاء الله: «كسوة يواري بها سوأته , وكسرة يشد بها صلبه , وبيت يكنه من الحر , والبرد»[٢].

قال الحسن: "لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار"[٣].

قال البيضاوي:" الخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله، للقرينة، والنصوص الكثيرة كقوله: {مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه} [الأعراف : ٣٢] {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَات} [المؤمنون : ٥١]، وقيل: يعمان إذ كل يسأل عن شكره. وقيل: الآية مخصوصة بالكفار"[٤].

قال ابن الجوزي:" والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يوحِّده. والمؤمن يسأل عن شكرها"[٥].

قال الماوردي:" وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر ، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ، وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية[٦]، ويحتمل أن يكون ذلك تذكيراً بما أوتوه ، ليكون جزاء على ما قدموه"[٧].

فوائد السورة الكريمة:

١- التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره وترك طاعة الله ورسوله من أجله.

٢- إثبات عذاب القبر وتأكيده بقوله حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون أي في القبر.

٣- تقرير عقيدة البعث وحتمية الجزاء بعد الحساب والاستنطاق والاستجواب.

٤- حتمية سؤال العبد عن النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها في الدنيا فإن كان شاكرا لها فاز وإن كان كافرا لها أخذ والعياذ بالله.

**«آخر تفسير سورة (التكاثر)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه البيهقي في "الآداب"( ٤٩٧):ص٢٠٢.

(٢) تفسير عبدالرزاق(٣٦٩٠):٣/٤٥٦، وتفسير الطبري: ٢٤/٥٨٦،

(٣) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ٣/٢٦٨.

(٤) تفسير البيضاوي: ٥/٣٣٥.

(٥) زاد المسير: ٤/٤٨٦.

(٦) قال الماتريدي:

" قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر : ٨]، ظاهر هذا يقتضي أن يكون سؤالهم بعدما دخلوا النار؛ لأنه قال: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ} بعدما وصف أنهم يدخلون النار؛ فبان أنه في ذلك الوقت، فإن كان على ذلك، فهو في موضع التقرير عندهم: أنهم استوجبوا المقت والعقوبة؛ لأنه كان عندهم أن من أنعم عليه بنعمة، فلم يشكرها، استوجب المقت والعقوبة؛ فالله - تعالى - يسألهم في ذلك الوقت عن شكر ما أنعم عليهم؛ ليقرر عندهم استيجاب العقوبة، ويجوز أن يكون هذا عند الحساب؛ لأنه قال: {يَوْمَئِذٍ}، ولم يقل: قبل ذلك، أو بعده؛ بل قال على الإطلاق؛ فيعمل به.

وإذا احتمل ذلك الوجه أن ينصرف إلى المؤمنين والكافرين كان الوجه في سؤال المؤمنين تذكيرهم أن أعمالهم لم تبلغ ما يستوفي بها شكر النعمة التي أنعمها عليهم، وليعلموا أن الله - تعالى - تفضل عليهم، وتجاوز عنهم، لا أن بلغت إليه حسناتهم، فاستوجبوا رحمته بها؛ بل بكرمه وفضله.

وإن كان في الكافرين، فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه". [تأويلات أهل السنة: ١٠/٦١٠]

(٧) النكت والعيون: ٦/٣٣٢.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «العصر»**

«سورة العصر»: هي السورة الثالثة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشرح»، وقبل «سورة العاديات». آياتها ثلاث. وكلماتها أربع عشرة. وحروفها ثمان وستون المختلف فيها آيتان: {وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، {بِالْحَقِّ } [العصر : ٣][١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة العصر»:**

سميت في المصاحف وفي معظم كتب التفسير[٢]: «سورة العصر»، وذلك لمفتتح السورة بقوله تعالى: {وَالْعَصْرِ (١)} [العصر : ١]،

وسميت في بعض كتب التفسير[٣]، وفي «صحيح البخاري»[٤]: «سورة والعصر» بإثبات الواو على حكاية أول كلمة فيها، أي: سورة هذه الكلمة.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس[٥]، وابن الزّبير[٦]، وحكاه ابن الجوزي وأبو حيان عن الجمهور[٧].

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة {والعصر}، بمكة"[٨].

الثاني: مدنيّة، قاله مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، ومقاتل[١١].

قال ابن عطية:" هي مكية"[١٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين"[١٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه ذكر في السورة السابقة أنهم اشتغلوا بالتفاخر والتكاثر وبكل ما من شأنه أن يلهى عن طاعة الله، وذكر هنا أن طبيعة الإنسان داعية له إلى البوار، وموقعة له في الدمار إلا من عصم الله وأزال عنه شرر نفسه، فكأن هذا تعليل لما سلف- إلى أنه ذكر في السالفة صفة من اتبع نفسه وهواه، وجرى مع شيطانه حتى وقع في التهلكة، وهنا

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١١/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٥/٣، والكشف والبيان: ٢٨٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٣/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥١/٤، وتفسير السمعاني: ٢٧٨/٦، وتفسير البغوي: ٥٢٣/٨، والكشاف: ٧٩٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢٠/٥، وغيرها.

(٣) انظر مثلا: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦١/٥، وتفسير ابن فورك: ٢٦٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٢٣/١٢، وتفسير القرطبي: ١٧٨/٢٠، وتفسير البيضاوي: ٣٣٦/٥، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه ، وانظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٨) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(١٢) المحرر الوجيز: ٥٢٠/٥.

(١٣) التحرير والتنوير: ٥٢٧/٣٠.

ذكر من تجمل بأجمل الطباع، فآمن بالله وعمل الصالحات، وتواصى مع إخوانه على الاستمساك بعرى الحق، والاصطبار على مكارهه[1].

**الرد على شبهة : أن سورتي: «العصر» و«الكوثر» قلقتان في موضعهما:**

إن هذا الزعم ينقضه بضعة أسباب :

١- أن العبرة ليس بطول السورة أو بقصرها في ترتيبها فلو نظرنا في المصحف الشريف لوجدنا سورا كثيرة تسبق في الترتيب سورا أطول منها فلماذا ركز الكاتب على هاتين السورتين بالذات ؟

٢- أن التلاحم القوي بين السور على الرغم من أن مكيها قد يكون بعد مدنيها أو قبله واضح وملحوظ يخيل للناظر إليها أنها نسيج واحد ، وفوق ذلك نجد هذا التناسق والتلاحم والارتباط وكأنه لا توجد مسافة زمنية في النزول أو بعد مكاني ، مع العلم أن مثل هذه الظروف قد تغير أسلوب الخطاب .

٣- أن الكاتب نسي أو تناسى أن من أهم مميزات القرآن هو تناسب سوره مع بعضها البعض ، وإن موضع السور في مكانها هذا لحكمة إلهية لها غرضها ومغزاها.

٤- أنه رغم نزول القرآن نجوما مفرقة على اختلاف الزمان والمكان إلا إنه يتضح للجميع وكأن القرآن نزل جملة واحدة كالعقد المتصل الذي لا يشوبه أي خلل أو تناقض .

٥- أن هناك رأي قوي بين العلماء على أن سور القرآن ترتيبها كان بالتوقيف ، وأجمع على ذلك كثير من العلماء القديم والحديث، وبهذا يكون وجود هاتين السورتين في هذا الموضع من القرآن ليس فيه أي غرابة.

ولعل علم المناسبات كشف للجميع بعضا من أسرار ترتيب السور على هذا النحو، فمثلا : -

- سورة العصر سورة مكية ، ترتيبها في المصحف الثالثة والمائة ،عدد آياتها (٣) ، وكان ترتيبها في المصحف الشريف لغاية وهدف ، يوضح ذلك على سبيل المثال ما قاله البقاعي على لسان أبو جعفر بن الزبير:" لما قال الله:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، وتتضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان وحصر إدراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه وذلك ، ببعده عن العلم بموجب الطبع: {وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا} [الأحزاب: ٧٢]، فأخبر سبحانه أن ذلك شأن الإنسان بما هو إنسان فقال :{وَٱلعَصرِ إِنَّ ٱلإِنسَنَ لَفِي خُسرٍ} [العصر: ١-٢]، فالقصور شأنه ، والظلم طبعه ، والجهل جبلته ، فيحق أن يلهيه التكاثر ويدخل عليه روح الإيمان ،{إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ} [العصر: ٣] إلى آخرها، فهؤلاء الذين :{لَّا تُلهِيهِم تِجَرَة وَلَا بَيعٌ عَن ذِكرِ ٱللَّهِ} [النور: ٣٧]"[2].

- أما سورة الكوثر، وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب المصحف ، مكية ، عدد آياتها (٣)، فوجه مناسبتها لما قبلها طبقا لما ذكره البقاعي أيضا على لسان أبو جعفر بن الزبير:"لما نهى عباده عما يلتذ به من أراد الدنيا وزينتها من الإكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا ، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون وهو الكوثر وهو الخير الكثير ...."إلى آخر ما ذكر من وجه المناسبة والتناسق في الترتيب للسورة"[3].

فالزعم بأن سور القرآن غير متسقة في أماكنها هو قصور عن فهم طبيعة القرآن وأسلوبه ، فالتركيز فيه ليس شكليا البتة ، وأما ما يتصوره هؤلاء الكتاب ما هو إلا محاولة لإيجاد نقطة ضعف غير موجودة أصلا، ليبني عليها نظرياته وأوهامه.ولكن ندعو هؤلاء إلى الإطلاع على كتب المناسبات ، والنظر فيها بحيادية ، دون التعصب لدين أو فئة ، فإنه سيجد فيها الإجابة على تساؤلاته في هذا الصدد، ليدرك بنفسه تلك الأسرار النفيسة من ترتيب السور بهذا الشكل .

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٣/٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, البقاعي , برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر, ( القاهرة , دار الكتاب الإسلامي ) , (٢٣٧/٢٢, ٢٣٨).

(٣) المصدر نفسه (٢٨٨/٢٢،٢٨٩).

من أبرز مقاصد السورة:

١- اشتملت على إثبات الخسران الشديد لأهل الشرك ومن كان مثلهم من أهل الكفر بالإسلام بعد أن بلغت دعوته، وكذلك من تقلد أعمال الباطل التي حذر الإسلام المسلمين منها.

٢- إثبات نجاة وفوز الذين آمنوا وعملوا الصالحات والداعين منهم إلى الحق.

٣- بيان على فضيلة الصبر على تزكية النفس ودعوة الحق.

قال الفيروزآبادي :" مقصود السورة: بيان خسران الكفار والفجار، وذكر سعادة المؤمنين الأبرار، وشرح حال المسلم الشكور الصبار، في قوله: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر : ٣]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة. وقيل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، منسوخ بالاستثناء[٢].

قال هبة الله:" قيل بالمدينة فيها آية واحدة منسوخه وهي قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، نسخها الله تعالى بالاستثناء بعده: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ٣]"[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن ثابت البناني، عن أبي مدينة الدارمي، وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]، ثم يسلم أحدهما على الآخر»[٤].

- عن ميمون قال: شهدت عمر حين طعن فأمنا عبد الرحمن بن عوف فقرأ بأقصر سورتين في القرآن بـ«العصر»، و {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} [النصر : ١]، في الفجر"[٥].

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة وَالْعَصْرِ ختم الله له بالصبر، وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة»[٦]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٣.

(٤) أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط": (٥١٢٤):ص٢١٥/٥، قال علي بن المديني: «اسم أبي مدينة عبد الله بن حصن» . قال الطبراني: "لا يروى هذا الحديث عن أبي مدينة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: حماد بن سلمة". والحديث رواه أبو داود في "الزهد"(٤٠٢):ص٣٤١.

قال الألباني في الصحيحة ح٢٦٤٨: "وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا رضي الله عنهم جميعا: إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النص بذلك صريحا من قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، وإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة " , والأخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها. وهي قراءة سورة (العصر) لأننا نعتقد أنهم أبعد الناس عن أن يحدثوا في الدين عبادة يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا، ولم لا؟ , وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليهم أحسن الثناء، فقال: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم}

وقال ابن مسعود : «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». [جامع بيان العلم وفضله(١٨١٠):ص٩٤٧/٢]

(٥) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

(٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٣٤. [موضوع]

**القرآن**

**{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١-٢]**

التفسير:

أقسم الله بالدهر؛ لما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان. ولا يجوز للعبد أن يقسم إلا بالله، فإن القسم بغير الله شرك.

قوله تعالى:{وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، أي:" أُقسمُ بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات"[١].

عن محمد بن كعب:" {وَالْعَصْرِ}، قال: قسم أقسم الله به ربنا تبارك وتعالى"[٢].

قال ابن كثير:" ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب -لعنه الله- وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يسلم عمرو، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال : وما هي ؟ فقال : {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ١ - ٣]، ففكر مسيلمة هُنَيهة ثم قال : وقد أنزل علي مثلها. فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا وَبْر يا وَبْر، إنما أنت أذنان وصَدْر، وسائرك حفز نَقْز. ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب[٣].

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف ب "مساوى الأخلاق"، في الجزء الثاني منه، شيئًا من هذا أو قريبا منه[٤].

والوبْر : دويبة تشبه الهر، أعظم شيء فيه أذناه، وصدره وباقيه دميم. فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان"[٥].

اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ} [العصر : ١ ]، على أقوال :

أحدها : أنه العشيّ، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن[٦]، وقتادة[٧]. وقاله مالك عن زيد بن أسلم[٨]، ومنه قول الشاعر[٩] :

تَرَوّحْ بنا يا عمرُو قد قصر العَصْرُ ... وفي الرَّوْحةِ الأُولى الغنيمةُ والأَجْرُ

وروي عن ابن عباس:" هو ما قبل مغيب الشمس من العشي"[١٠].

قال الماوردي:" وخصه بالقسم لأن فيه خواتيم الأعمال"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٥٧٤/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.

(٣) وهذه القصة فيه نظر؛ لأن إسلام عمرو بن العاص متقدم على تنبئ مسيلمة، فإن مسيلمة الكذاب تنبأ سنة عشر من الهجرة، وكان قد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه سنة عشرة من الهجرة، كما في السيرة النبوية لابن هشام (٧٤/٣). وعمرو بن العاص أسلم سنة ثمان على الأصح كما في الإصابة للحافظ ابن حجر (٢/٣). ثم وقفت على ما نقله الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢٢٥/٣) : أن عمرا بن العاص أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البحرين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هناك وأنه مر على مسيلمة وأنه أعطاه الأمان ثم قال له : إن محمدا أرسل في جسيم الأمر وأرسلت في المحقرات.. فذكر نحو القصة، وعزاه لابن شاهين في الصحابة، فعلى هذا يكون ما جاء هنا بعد إسلام عمرو بن العاص وليس قبل إسلامه، والله أعلم. [أفاده المحقق]

(٤)لم أقف عليه في المطبوع من مساوئ الأخلاق، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن ابن شاهين وصل هذه القصة من طريق الليث عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال : "أن قرة بن هبيرة قدم على رسول الله... ثم ذكر أن رسول الله أرسل عمرا إلى البحرين، فذكر نحو القصة". انظر : الإصابة (٢٢٥/٣).[أفاده المحقق]

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٢٨٣/١٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٧/٤.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.

(٩)بلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٥٧٦ (عصر)؛ وتاج العروس ١٣/ ٦٠ (عصر)؛ وكتاب العين ١/ ٢٩٣.

(١٠) الدر المنثور: ٦٢٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

قال أبو حيان:" أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة"[٢].

قال ابن عاشور:" وأشهر إطلاق لفظ العصر أنه علم بالغلبة لوقت ما بين آخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس فمبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثلي قدره بعد الظل الذي كان له عند زوال الشمس. وذلك وقت اصفرار الشمس، والعصر مبدأ العشي. ويعقبه الأصيل والاحمرار وهو ما قبل غروب الشمس، قال الحارث بن حلزة[٣]:

آنَست نَبأةً وأفزَعها القَـ ... ـنَّاص عَصرًا وقد دَنا الإمساءُ

فذلك وقت يؤذن بقرب انتهاء النهار، ويذكر بخلقة الشمس والأرض، ونظام حركة الأرض حول الشمس، وهي الحركة التي يتكون منها الليل والنهار كل يوم وهو من هذا الوجه كالقسم بالضحى وبالليل والنهار وبالفجر من الأحوال الجوية المتغيرة بتغير توجه شعاع الشمس نحو الكرة الأرضية. وفي ذلك الوقت يتهيأ الناس للانقطاع عن أعمالهم في النهار كالقيام على حقولهم وجناتهم، وتجاراتهم في أسواقهم، فيذكر بحكمة نظام المجتمع الإنساني وما ألهم الله في غريزته من دأب على العمل ونظام لابتدائه وانقطاعه. وفيه يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم لمبيتهم والتأنس بأهليهم وأولادهم. وهو من النعمة أو من النعيم، وفيه إيماء إلى التذكير بمثل الحياة حين تدنو آجال الناس بعد مضي أطوار الشباب والاكتهال والهرم"[٤].

الثاني : انه ساعة من ساعات النهار. قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦].

قال ابن عباس:" العصر: ساعة من ساعات النهار"[٧]. وروي عن قتادة مثل ذلك[٨].

وحكي الثعلبي عن قتادة:" آخر ساعة من ساعات النهار"[٩].

وقال أبي بن كعب: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»[١٠].

الثالث : يريد صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى ، لأنها أفضل الصلوات. قاله مقاتل[١١]، وبه قال الزمخشري[١٢].

قال مقاتل:" قسم، أقسم الله- عز وجل- بعصر النهار، وهو آخر ساعة من النهار، وأيضا «العصر» سميت العصر حين تصوبت الشمس للغروب وهو عصر النهار، فأقسم الله- عز وجل- بصلاة العصر"[١٣].

---

(١) النكت والعيون: ٣٣٣/٦.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٣) هذا البيت للحارث بن حلزة في ديوانه ص ٢٢؛ ولسان العرب ٥/ ١٠٣ (قصر)؛ ومقاييس اللغة ١/ ١٤٥؛ والحيوان ٤/ ٣٨٩؛ والزاهر ٢/ ١٨٠؛ وشرح القصائد السبع ص ٤٤٢؛ وشرح القصائد العشر ص ٣٧٤؛ وشرح المعلقات السبع ص ٢١٩؛ وشرح المعلقات العشر ص ١٢٠؛ والمعاني الكبير ٢/ ٣٤٣؛ وتاج العروس ١٥/ ٤١٥ (أنس)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ١/ ١٦٤ (نبأ)؛ وتهذيب اللغة ٨/ ٣٥٨، ١٥/ ٤٨٧؛ وتاج العروس ١/ ٤٤٩ (نبأ).

قال الزوزني في شرح البيت: النبأة الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله، والقناص جمع قانص، وهو الصائد.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٢٨/٣٠-٥٢٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٦٧):ص٣٤٦٢/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٤.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٦٧):ص٣٤٦٢/١٠.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٣/١٠.

(١٠) نقلا عن: البحر المحيط في التفسير: ٥٢٠/٥.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.

(١٢) انظر: الكشاف: ٧٩٣/٤-٧٩٤.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.

قال الزمخشري:" أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى: {وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} [البقرة : ٢٣٨]: صلاة العصر في مصحف حفصة. وقوله عليه الصلاة والسلام «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»[١]، ولأنّ التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم"[٢].

الرابع : أن يريد عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، لفضله بتجديد النبوة فيه. حكاه الماوردي[٣].

الخامس : أن «العصر»: هو الدَّهر، قاله ابن عباس[٤]، وزيد بن أسلم[٥]، والفراء[٦]، وابن قتيبة[٧].

قال ابن كثير:" المشهور: أن العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر"[٨].

قال الفراء:" هو الدهر أقسم به"[٩].

قال أبو حيان:" أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب"[١٠].

قال ابن الجوزي:" وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم"[١١].

قال سهل:" قيل: أي: ورب الدهر"[١٢].

قال النحاس:" التقدير: وربّ العصر، ويدخل فيه كلّ ما يسمى بالعصر لأنه لم يقع اختصاص تقوم به حجة فالعصر الدهر، والعصر العشي، والعصر الملجأ"[١٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر {وَالْعَصْرِ} اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه"[١٤].

قال الشوكاني:" أقسم سبحانه بـ«العصر»: وهو الدهر، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالة بينة على

---

(١)متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.
أخرجه مالك (١١/١، رقم ٢١) ، والطيالسى (ص ٢٤٩، رقم ١٨٠٨) ، والبخارى (٢٠٣/١، رقم ٥٢٧) ، ومسلم (٤٣٥/١، رقم ٦٢٦) ، وأبو داود (١١٣/١، رقم ٤١٤) ، والترمذى (٣٣٠/١، رقم ١٧٥) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٢٥٤/١، رقم ٥١٢) ، وابن ماجه (٢٢٤/١، رقم ٦٨٥) . وأخرجه أيضا: أحمد (٨/٢ رقم ٤٥٤٥) والدارمى (٣٠٥/١، رقم ١٢٣٠) ، وابن خزيمة (١٧٣/١، رقم ٣٣٥) ، والبغوى فى الجعديات (٤٤٢/١، رقم ٣٠١٣) وابن حبان (٣٣١/٤، رقم ١٤٦٩) ، والبيهقى (٤٤٤/١، رقم ١٩٣٢).
قوله: «وتر أهله وماله»: هو بالبناء لما لم يسم فاعله. قال ابن الأثير: "أي نقص، يقال: وترته، إذا نقصته. فكأنك جعلته وترا بعد أن كان كثيرا. وقيل: هو من الوتر: الجناية التي يجنيها الرجل على غيره، من قتل أو نهب أو سبي. فشبه ما يلحق من فاتته صلاة العصر بمن قتل حميمه، أو سلب أهله وماله.
(٢) الكشاف: ٧٩٣/٤-٧٩٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٣٣/٦.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٧/٤، "(٤).والمحرر الوجيز: ٥٢٠/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٧/٤.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٨٩/٣.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٣٨.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.
(٩) معاني القرآن: ٢٨٩/٣.
(١٠) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.
(١١) زاد المسير: ٤٨٧/٤.
(١٢) تفسير التستري: ٢٠٤.
(١٣) إعراب القرآن: ١٧٩/٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤.

الصانع عز وجل وعلى توحيده، ويقال لليل: عصر وللنهار: عصر[1]، ومنه قول حميد بن ثور[2]:

ولن يلبثَ العَصْران يومٌ وليلةٌ ... إذا طَلَبا أن يُدركا ما تَيَمَّما

ويقال: للغداة والعشي: عصران، ومنه قول الشاعر[3]:

وأمطله العصرين حتى يملني ... ويرضى بنصف الدين والأنف راغم"[4].

قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، أي:" على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان"[5].

قال ابن كثير:" فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي : في خسارة وهلاك"[6].

قال النحاس:" «الإنسان» بمعنى: الناس، و«الخسر»: دخول النار. فهو أكبر الخسران"[7].

قال الفراء:" لفي عقوبة بذنوبه، وأن يخسر أهله، ومنزله فى الجنة"[8].

قال الطبري:" يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان"[9].

قال أبو عبيدة:" أي: مهلكة ونقصان"[10].

قال ابن قتيبة:" أي في نَقْص"[11]،" الخسر: النقصان"[12].

قال أبو طالب المكي:" أي: لفي خسران ونقص بفوت أوقاته وفقد أرباحه"[13].

عن مجاهد: " {لَفِي خُسْرٍ}، يعني: " لفي ضلال"[14].

عن محمد بن كعب:" {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، قال: الناس كلهم"[15].

عن كعب: "{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، قال: يعني: آدم وبنيه"[16].

عن ابن عباس في قوله: "{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]، يعني: أبا جهل بن هشام {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر : ٣]: ذكر عليا وسلمان"[17].

وقال سهل:" يعني: أبا لهب، خسر أيامه كلها"[18].

---

(١) هذا القول عزاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٨٣/١٠، إلى ابن كيسان.

(٢)ورد البيت في ديوانه، "إصلاح المنطق" ٣٩٤، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٣ (عصر) غير منسوب، و"الصحاح" ٢/ ٧٤٨ (عصر)، و"لسان العرب" ٤/ ٥٧٦ (عصر)، و"تاج العروس" ٣/ ٤٠٤ (عصر)، "البحر المحيط" ٨/ ٥٠٢، "فتح القدير" ٥/ ٤٩١، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٢٨، "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٥٩ من غير نسبة، و"الحجة" ٦/ ٤٤.

(٣) البيت لعبد الله بن الزبير الأسدى في ديوانه ص ١٢٥؛ وتاج العروس ١٣/ ٦١ (عصر).

(٤) فتح القدير: ٦٠٠/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.

(٧) إعراب القرآن: ١٧٩/٥.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٩/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤.

(١٠) مجاز القرآن: ٣١٠/٢.

(١١) غريب القرآن: ٥٣٨.

(١٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٥.

(١٣) قوت القلوب: ١٣٧/١.

(١٤) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.

(١٦) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

(١٧) الدر المنثور: ٦٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٨) تفسير التستري: ٢٠٤.

قال أبو هلال العسكري:" الخسران: أصله النقصان، ومنه قيل للتاجر: إذا وضع أنه خسر ثم كثر حتى، قيل لكل من سعى في شيء فأداه إلى مكروه خاسر، وقيل: الخسران الضلال"[١].

قال مقاتل:" يعني: أنه لفي ضلال أبدا حتى يدخل النار، نزلت في أبي لهب، اسمه: عبد العزى بن عبد المطلب"[٢].

قال ابن عطية:" «الخسر» : النقصان وسوء الحال، وذلك بين غاية البيان في الكافر لأنه خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وأما المؤمن وإن كان في خسر دنياه في هرمه وما يقاسيه من شقاء هذه الدار فذلك معفو عنه في جنب فلاحه في الآخرة وربحه الذي لا يفنى"[٣].

روى ابن عون، عن إبراهيم، قال: "أراد أن الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع إلّا المؤمنين فإنّهم يكتب لهم أجورهم والمحاسن التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوّتهم وصحّتهم، وهي مثل قوله سبحانه {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التين : ٤ - ٦] الآية"[٤].

عن عمرو ذي مرّ:" أن عليا رضى الله عنه قرأها :«وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ»"[٥].

عن عمرو ذي مرّ، قال: "سمعت عليا رضى الله عنه يقرأ هذا الحرف :«وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ، إِنَ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ، وإنه فيه إلى آخر الدهر»"[٦].

قال قتادة:" ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر»"[٧].

**القرآن**

**{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ٣ ]**

التفسير:

إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحًا، وأوصى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق، والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر : ٣ ]، أي:" إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحًا"[٨].

قال الطبري:" يقول: إلا الذين صدّقوا الله ووحَّدوه، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد"[٩].

قال ابن كثير:" فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم"[١٠].

قال سهل:" يعني: أدوا الفرائض كما فرضت عليهم"[١١].

قال مقاتل:" فليسوا في خسران"[١].

---

(١) الأشباه والنظائر: ٢٠٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.
(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٠/٥.
(٤) تفسير الثعلبي: ٢٨٣/١٠-٢٨٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٢٢ ــ ٥٢٦.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٤-٥٩٠.
(٨) التفسير الميسر: ٦٠١.
(٩) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.
(١١) تفسير التستري: ٢٠٤.

قال ابن قتيبة:" فإنهم غير منقوصين"[٢].
عن مجاهد: "{إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، ثم استثنى فقال: إلا من آمن"[٣].
قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} [العصر : ٣ ]، أي:" وأوصى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق"[٤].
قال سهل:" أي: بالله عزَّ وجلَّ"[٥].
قال مقاتل:" يعني: بتوحيد الله- عز وجل-"[٦].
قال الطبري:" يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه"[٧].
قال ابن كثير:" وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات"[٨].
عن الحسن، وقتادة: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}، قالا: "الحق: كتاب الله"[٩].
قال كعب:" الحق هو الله عز وجل، والإيمان به"[١٠].
قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر : ٣ ]، أي:" والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك"[١١].
قال الطبري:" يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله"[١٢].
قال ابن كثير: أي:" على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر "[١٣].
قال مقاتل:" يعني: على أمر الله- عز وجل-، فمن فعل هذين كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فليسوا من الخسران في شيء، ولكنهم في الجنان مخلدون"[١٤].
عن الحسن، وقتادة: "{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، قالا: "الصبر: طاعة الله"[١٥].
قال كعب:" على فرائض الله وحكمه"[١٦].
عن محمد بن كعب:" ثم استثنى فقال: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، ثم لم يدعهم وذلك حتى قال: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}، ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} يشترط عليهم"[١٧].
عن إبراهيم النَّخْعي، قال: "قراءتنا: (والعَصْرِ * إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ * وإنَّهُ لَفِيهِ إلى ءاخِرِ الدَّهْرِ * إلّا الَّذِينَ ءامَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ). قال: هي مثل التي في «التين والزيتون» [٤ - ٦]: {لَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ فِي أحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلِينَ إلّا الَّذِينَ ءامَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ}"[١٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٥.
(٣) تفسير مجاهد: ٧٤٧، وتفسير الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٦٠١.
(٥) تفسير التستري: ٢٠٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.
(٧) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(١٠) تفسير مجاهد: ٧٤٧.
(١١) التفسير الميسر: ٦٠١.
(١٢) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٩/٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٤-٥٩١.
(١٦) تفسير مجاهد: ٧٤٧.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.
(١٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

قال ابن عطية:" ومن كان في مدة عمره في التواصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه، وقد جمع له الخير كله"[١].

قال الشَّافِعِي -رحمه الله-: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة، لكفتهم...وقال: الناس في غفلة عن هذه السورة: {وَالعَصر. .}"[٢].

عن علي بن رفاعة، عن أبيه رفاعة، قال: "حججت فوافيت علي بن عبد الله بن عباس يخطب على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]: أبو جهل ابن هشام {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}: أبو بكر الصديق. {وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ}: عمر بن الخطّاب. {وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ}: عثمان بن عفّان. {وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ}: علي بن أبي طالب"[٣].

قيل لسهل التستري: "ما الصبر؟ قال: لا عمل أفضل من الصبر، ولا ثواب أكبر من ثواب الصبر ولا زاد إلا التقوى، ولا تقوى إلا بالصبر، ولا معين على الصبر لله إلا الله عزَّ وجلَّ.

قيل: الصبر من الأعمال؟ قال: نعم الصبر من العمل بمنزلة الرأس من الجسد، لا يصلح أحدهما إلا بصاحبه.

قيل: ما أجل الصبر؟ قال: أجله انتظار الفرج من الحق.

قيل: فما أصل الصبر؟ قال: مجاهدة النفس على إقامة الطاعات وأدائها بأحكامها وحدودها ومكابدتها على اجتناب المعاصي صغيرها وكبيرها.

قيل: والناس في الصبر كيف هم؟ قال: الناس في الصبر صنفان: فصنف يصبرون للدنيا حتى ينالوا منها ما تشتهي أنفسهم، فهو الصبر المذموم، وصنف يصبرون للآخرة طلباً لثواب الآخرة وخوفاً من عذابها.

قيل: فالصبر للآخرة هو على نوع واحد أو على أنواع؟ قال: الصبر للآخرة له أربع مقامات: فثلاث منها فرض، والرابع فضيلة: صبر على طاعة الله عزَّ وجلَّ وصبر على معصيته وصبر على المصائب من عنده[٤]. أو قال: صبر على أمر الله عزَّ وجلَّ، وصبر على نهيه، وصبر على أفعال الله عزَّ وجلَّ، فهذه ثلاث مقامات منه، وهي فرض، والمقام الرابع فضيلة وهو الصبر على أفعال المخلوقين. قال الله تعالى: {وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النحل: ١٢٦]، الآية، كم بالمثل وفضل الصبر، ثم قال: {وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧]، ولا يعين عليه إلا هو.

ولقد لحق رجل بأويس القرني رحمه الله فسمعه يقول: اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عاري، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري. قال: وعلى ظهره خريقة قد تردى بها"[٥].

فوائد السورة الكريمة:

١- فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات حتى قال الإمام الشافعي : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة، لكفتهم"[٦].

٢- بيان مصير الإنسان الكافر وأنه الخسران التام.

٣-ومن الفوائد، أن كلمة «الخسران»، في القرآن الكريم، تأتي على معان متعددة:

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٥٢٠.

(٢) تفسير الإمام الشافعي: ٣/١٤٦١.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٢٨٤. وانظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٨٠.

(٤)قوت القلوب ١/ ٣٣١، ٣٥١- ٣٥٢، وهو قول الحسن البصري.

(٥) تفسير التستري: ٢٠٤. وانظر: شعب الإيمان ١/ ٥٢٤ وصفوة الصفوة ٣/ ٥٣- ٥٤ والحلية ٢/ ٨٧ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠

(٦) تفسير الإمام الشافعي: ٣/١٤٦١.

الأول: بمعنى: العجز، قال الله: {لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ}، أي: عجزه، ومثله قوله: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}، وقال: {لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}.

الثاني: بمعنى: الغبن، قال: {إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ}، أي: غبنوا فصاروا إلى النار، وأصل الخسران ذهاب رأس المال، فلما كانت النفس بمنزلة رأس المال وما يستفيده بعد ذلك بمنزلة الربح، قال للهالك الذي خسر نفسه؛ لأنه بمنزلة من ذهب منه رأس المال.

الثالث: الضلال، قال: {فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}، أي: ضل ضلالا بينا، ويجوز أن يكون بمعنى الحرمان، أي: حرم الثواب كما إذا حرم الربح، فقد خسر، وقال: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}، أي: في ضلال[١].

الرابع: النقصان، قال: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ}، أي: الناقصين في الكيل والوزن، وقال جرير[٢]:

إنَّ سَليطاً في الخسار إنَّهْ ... أولادُ قومٍ خُلِقوا أقِنَّهْ

أي: فيما ينقصهم حظهم من الشرف[٣].

٤- بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح المجتنبين للشرك والمعاصي.

٥- وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

**«آخر تفسير سورة (العصر)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) وتفسير الخسران بالضلال أحد الوجوه.

(٢) ديوانه: ص ١٠١٧؛ ولسان العرب: ١٣/ ٣٤٨ (قنن)؛ وأساس البلاغة: (قنن)؛ وديوان الأدب: ٣/ ٣٥؛ وتاج العروس: (قنن).

(٣) انظر: الأشباه والنظائر: ٢٠٥.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الهمزة»**

«سورة الهمزة»: هي السورة الرابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القيامة»، وقبل «سورة المرسلات»، آياتها تسع إجماعا. وكلماتها ثلاث وثلاثون. وحروفها مائة وثلاثون. فواصل آياتها على «الهاء»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الهمزة»:**

سميت هذه السورة في المصاحف ومعظم التفاسير[٢]: «سورة الهمزة» بلام التعريف، ووجه تسميتها لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

وقد ورد هذا الاسم بلفظ«الهماز»، وذلك في سورة«القلم»، قال تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم : ١١].

- **أسماؤها الاجتهادية:**

**١- سورة «ويل لكل همزة»:**

وردت هذه التسمية في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين[٣]، وبهذا الاسم عنونها في «صحيح البخاري»[٤]، وبعض التفاسير[٥].

وهي تسمية لها بأول جملة فيها، قال تعالى: : {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١].

**٢- سورة «الحطمة»:**

ذكر الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز»[٦] أنها تسمى «سورة الحطمة» لوقوع هذه الكلمة فيها، وذلك في قوله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)} [الهمزة : ٤ - ٥].

وقد سميت في إحدى المصاحف، سورة: «اللمزة»[٧]، ولم أجد هذه التسمية عند المفسرين، كما لم أقف على أحاديث تثبت هذه الأسماء بأنها توقيفية.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "أنزلت {ويل لكل همزة} بمكة"[٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[١٠].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية"[١١].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٢) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦١٤/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٦/٣، وتفسير ابن فورك: ٢٧١/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٣٣٥/٦، والنكت والعيون: ٣٣٥/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥٢/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٠/٦، والكشاف: ٧٩٤/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢١/٥، وزاد المسير: ٤٨٨/٤، ومفاتيح الغيب: ٢٨٤/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٨١/٢٠، وغيرها.

(٣) كما سيأتي في رواية ابن عباس في مكان نزول السورة.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٥٥٩٣/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٢/٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٧) المصحف مخطوط بجامعة الإمام برقم(٨٠٤٣).

(٨) الدر المنثور: ٦٢٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(١٠) زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١١) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

وقال هبة الله:" نزلت بمكة في شأن الأخنس بن شريق، وقيل نزلت بالمدينة"[٢].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه لما ذكر سبحانه فى السورة السابقة أن جميع أفراد الإنسان منغمسون في الضلال إلا من عصم الله- ذكر هنا بعض صفات أهل الضلال[٣].

قال أبو حيان:" لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"[٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- الترهيب من الوقوع في الغيبة والنميمة.

أ- فأما الغيبة:

قال ابن كثير: "والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك، إلا ما رجحت مصلحة، كما في الجرح والتعديل والنصيحة"[٥].

واعتبر الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر حيث قال: "الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة: لكنها تختلف عظماً وضده بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس بقوله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٦]، والغصب والقتل كبيرتان إجماعا، فكذا ثلم العرض[٧].

ب- وأما النميمة:

فهي محرمة في الكتاب والسنة والإجماع، وهي من كبائر الذنوب، قَالَ تَعَالَى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة: ١].

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يدخل الجنة نمام»[٨].

قال العلامة ابن باز: "وهي من الكبائر ومن أسباب البغضاء والشحناء بين المسلمين، فالواجب الحذر منها"[٩].

قال الشيخ ابن عثيمين: "والنميمة من كبائر الذنوب، وهي سبب لعذاب القبر، ومن أسباب حرمان دخول الجنة"[١٠].

٢- بيان أخلاق المشركين ومن شاكلهم.

٣- التصريح بالخزي والتحذير بالعذاب لكل من يحسب أن نجاته وخلوده بجمع المال، فيطعن ويعيب على الناس محقراً أعمالهم ومترفعاً عليهم. بل إن جمع المال يطرح صاحبه في النار الموقدة، جزاءاً على تعاليه واغتراره به وعدم إنفاقه.

٤- وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضربا من ضروب أذاهم طمعا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك.

---

(١) التحرير والتنوير: ٥٣٥/٣٠.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٤.
(٣) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٦/٣٠.
(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٨٠/٨.
(٦) رواه مسلم (٢٥٦٤).
(٧) الزواجر، لابن حجر :٢/ ٥٥٥.
(٨)رواه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٩)فتاوى نور على الدرب لابن باز، جمع: محمد الشويعر (١٤/ ١٢٥).
(١٠)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان (٩/ ٥٢٤.

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: عقوبة العياب المغتاب، وذم جمع الدنيا ومنعه وبيان صعوبة العقوبة في قوله: {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩] "[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه»[٣]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.
(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٤.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٥/١٠. [موضوع]

**القرآن**

**{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١)} [الهمزة : ١]**

التفسير:

شر وهلاك لكل مغتاب للناس، طعان فيهم.

اختلف أهل التفسير في معنى: «الويل»، على أقوال :

أحدها : أنه العذاب، قاله ابن عباس[١]، وبه قال الزجاج[٢].

وحكي الماوردي: أنه أشق العذاب"[٣].

الثاني: أنه التقبيح، وهو قول الأصمعي[٤]، ومنه قوله تعالى:{وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} [الأنبياء : ١٨ ]، ومنه قول الشاعر[٥] :

كسا اللؤم سهما خضرة في جلودها فويل لسهم من سرابيلها الخُضْرِ

الثالث : أنه الحزن، قاله المفضل[٦]، وابن كيسان[٧].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قول الشاعر[٨]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ يميني لا تعلّلُ بالقليل

وقال ابن عطية:" «وَيْلٌ»: لفظ يجمع الشر والحزن"[٩].

الرابع : أنه الخزي والهوان. حكاه الماوردي[١٠].

الخامس : أن الويل: وادٍ في جهنم، وهذا قول أبي سعيد الخدري[١١]، وعطاء بن يسار[١٢].

السادس : أنه جبل في النار، وهو قول عثمان بن عفان[١] .

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨١):ص٢٦٧/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٦٠/١.

(٣) النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(٤) انظر: اللسان: ٧٣٩/١١.

(٥) لم أتعرف على قائله، وانظر البيت في لسان العرب: ١١/ ٧٣٨، وتفسير القرطبي: ٥/ ٢٥٤.

(٦) هو قول المفضل كما في النكت والعيون للماوردي: ١٥١/١، وابن عرفة كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨/٢، إذ قال: (الويل: الحزن، يقال تويل الرجل إذا دعا بالويل) وعزاه لهما أبو حيان في البحر المحيط: ٢٧٠/١، وانظر: انظر: تهذيب اللغة:٣٩٦٩/٤، وطرح التثريب: ١٥٤/١، والمصباح المنير: ٥٩٧.

(٧) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(٨) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٩) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٥١/١.

(١١)أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وعبد بن حميد ٩٢٤، والترمذي في التفسير، سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤)، وتفسير الطبري(١٣٨٧):ص٢٦٩/٢، وابن أبي حاتم( ٧٩٨):ص١٥٣/١، والحاكم ٢/ ٥٠٧ أبو يعلى في "مسنده" ٢/ ٥٢٣ والبيهقي في "البعث والنشور" برقم ٥٣٧ من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج ضعيف.

وقد اختلف أهل العلم في ثبوت هذا الحديث فصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص، وصححه ابن حبان والشيخ أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث الطبري، وحسنه حمزة الزين في تخريجه لأحاديث المسند. وضعفه الترمذي في السنن إذ قال بعد تخريجه له: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة"، وتعقبه ابن كثير في دعوى تفرد ابن لهيعة به مع قوله بتضعيفه إذ قال في التفسير: ١٤٩/١ "قلت: لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الإسناد-مرفوعاً-منكر، والله أعلم". كما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٨٨٧ رقم: ٦١٤٨، وشعيب الأرناؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان، وحسين سليم أسد في تخريجه لمسند أبي يعلى، ومدار ذلك على دراج بن سمعان السهمي وفيه خلاف كثير، فوثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه الجمهور كأحمد والنسائي والدارقطني وابن عدي وغيرهم، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٤٤١/٣، وميزان الاعتدال للذهبي: ٢٤/٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٠٨/٣، وغيرها. والأظهر فيه الضعف، وبالتالي عدم ثبوت هذا الحديث.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

السابع : أنها كلمة تقال لمن وقع في هلكة يستحقها[٢]، وأصله: الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومنه قوله تعالى: {يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ} [الكهف : ٤٩].

قال سيبويه[٣]: (ويح) كلمة زجر لمن أشرف على هلكة، و(ويل) لمن وقع فيها[٤].

الثامن: أن«ويل»: كلمة وعيد. قاله الكوكباني[٥].

وهي: الويل والويلة، وهما: الهلكة، والجمع: الويلات، قال الشاعر[٦] :

لَهُ الوَيْلُ إنْ أمْسَى وَلا أُمُّ هَاشِمٍ قريبٌ وَلا البَسباسَةُ ابنـةُ يَشكُـرَا

وقال أيضا[٧] :

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلاَتُ!، إنَّكَ مُرْجِلِي

التاسع: أنه باب من أبواب جهنم. حكاه الزهراوي[٨].

العاشر: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٩].

الحادي عشر : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[١٠]، وشقيق[١١].

وقال الطبري:" الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم"[١٢].

اختلف في تفسير قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]، على أقوال:

أحدها: أن الهُمَزَة: المُغْتَاب، واللُّمَزَة: العيَّاب، قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤]، وقتادة[١٥]، وبه قال الطبري[١٦]، ومنه قول زياد الأعجم[١٧]:

إذا لقيتُك عن شحط تُكاشرُني ... وإن تَغَيَّبْتُ كنت الهامِزَ اللُّمزَهْ

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦):ص٢٦٨/٢. في الحديث راويان لم نجد لهما ذكرا ولا ترجمة، وهما إبراهيم بن عبدالسلام بن صالح التستري، وعلي بن جرير. عليه لا أظن يقوم إسناده، ووصفه ابن كثير بأنه "غريب جدا"، انظر تفسيره:٢١٧/١، وقد ذكره السيوطي أيضًا ١ /٨٢ ، ولم ينسباه لغير الطبري. فالله أعلم.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٦٠/١، وزاد المسير لابن الجوزي: ١٠٦/١، وهذا القول على أن «ويل» مصدر لا فعل له يراد به الدعاء بشدة الشر والهلاك، انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٢٧٧/١، ومبهمات القرآن للبلنسي: ١٦٣/١.

(٣) هو: الإمام أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، رأس البصريين في النحو، وسيبويه لقبه، أخذ عن الخليل وأبي زيد وغيرهم، توفي عام: ١٨٠هـ، ومن مصنفاته: الكتاب. انظر: أخبار النحويين للسيرافي: ٦٣، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤٦٣/٣، بغية الوعاة للسيوطي: ٢٢٩/٢، المدارس النحوية لشوقي ضيف: ٥٧.

(٤) انظر: الكتاب لسيبويه: ٣٣١/١، وقد ذكر عن سيبويه التفريق غير واحد كابن منظور في لسان العرب: ٤٩٣٩/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٨/٢، والسمين في الدر المصون: ٢٧٠/١.

(٥) قال الكوكباني في تيسير المنان تفسير القرآن: ١٠٥١/٢ (فَوَيْلٌ): "كلمة وعيد"، وقال الرازي في مفاتيح الغيب: ١٥٠/٣: "قال القاضي: (وَيْل) يتضمن نهاية الوعيد"، ووعيد القادر يلزم منه الخوف والردع.

(٦) البيت لامرىء القيس، انظر: ديوانه بتحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥: ص: ٣٤١.

(٧) ديوانه: ٣٠.

(٨) انظر: المحرر الوجيز: ١٧٠/١.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(١٠)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٤-٥٩٦.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٤.

(١٧)ديوانه ص ٧٨؛ وبهجة المجالس ١/ ٤٠٤، وبلا نسبة في لسان العرب ٥/ ٤٢٦ (همز)؛ وجمهرة اللغة ص ٧٢٧؛ ومقاييس اللغة ٦/ ٦٦؛ ومجمل اللغة ٤/ ٤٨٨؛ وديوان الأدب ١/ ٢٥٦؛ وأساس البلاغة ص ٤١٤ (لمز)؛ وإصلاح المنطق ص ٤٢٨؛ وتاج العروس ١٥/ ٣٨٩ (همز)؛ وكتاب العين ٤/ ١٧.

قال الطبري:" يقول: لكل مغتاب للناس، يغتابهم ويبغضهم، ويعني باللمزة: الذي يعيب الناس، ويطعن فيهم"[١].

قال أبو الجوزاء:" قلت لابن عباس: من هؤلاء هم الذين بدأهم الله بالويل؟ قال: هم المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{هَمَّازٍ} [القلم : ١١]، يعني: الاغتياب"[٣].

عن ابن عباس: "{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال: ويل لكلّ طعان مغتاب"[٤].

قال ابن عباس:" هو المشاء للنميمة والمفرق بين الجمع المغري بين الإخوان"[٥].

قال قتادة:" أما الهمزة: فأكل لحوم الناس، وأما اللمزة: فالطعان عليهم"[٦].

قال مجاهد:" الهمزة: يأكل لحوم الناس، واللمزة: الطعان"[٧].

وقال مجاهد-في رواية-:"الهمزة: الطعان، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس"[٨].

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال: أحدهما الذي يأكل لحوم الناس، والآخر الطعان"[٩].

الثاني: أن الهُمَزَة: الذي يهمز في وجهه إذا أقبل. واللُّمَزَة: يلْمِزُه إذا أدبر عنه، قاله الحسن[١٠]، وأبو العالية[١١]، وعطاء بن أبي رباح[١٢]، والربيع بن أنس[١٣]، ومنه قول حسان[١٤]:

همزتك فاخْتَضَعْتَ بذُلَّ نفْسٍ ... بقافيةٍ تأجج كالشُّواظِ

قال الربيع بن أنس : الهُمَزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه"[١٥].

وقال مقاتل: «الهمزة»: يعني: الطعان المغتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه، «لمزة»: يعني: الطاغي، إذا رآه طغى عليه في وجهه"[١٦].

الثالث: أن الهُمَزَة: الطعَّان في الناس، واللُّمَزَة: الطعَّان في أنساب الناس، قاله مجاهد[١٧].

الرابع : أن الهُمَزَة: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللُّمَزَة: الذي يَلْمِزهم بلسانه ويعيبهم، قاله ابن زيد[١٨].

قال ابن زيد:" الهماز: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، وليس باللسان، وقرأ: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} الذي يلمز الناس بلسانه"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٤-٥٩٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧١):ص٣٤٦٣/١٠

(٦) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٧٢):ص٣٤٦٣/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤. قال الطبري:" وهذا يدلّ على أن الذي حدث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين، فلذلك اختلف نقل الرواة عنه فيما رووا على ما ذكرت".

(١٠) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥، ولفظه: "الهمز بالحضور واللمز بالمغيب". وانظر: زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٥/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(١٤)انظر: "ديوان حسان" ١/ ١٩٣، وروايته:

مُجَلَّلة تُغَمّمكمْ سناراً ... مضرمةً تأجج كالشواظ

وفي "سيرة ابن هشام" ١/ ٣٨٢، وفي بعض الرويات: «هجرتك»، بدل «همزتك».

(١٥) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(١٦) تفسير مقاتل نب سليمان: ٨٣٧/٤.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٥/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤.

قال ابن زيد:" الهمزة: الذي يهمز الناس بيده، ويضربهم بلسانه، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم"[٢].

الخامس: أن الهمز: باليد والعين، واللمز: باللسان، وقال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ}، [التوبة: ٥٨]. وهذا قول مجاهد[٣]، وابن أبي نجيح[٤].

قال مجاهد: "الهمزة باليد، واللمزة باللسان"[٥].

وحكي ابن الجوزي عن قتادة:"أن الهُمَزَة: بالعين، واللُّمَزَة: باللسان"[٦].

السادس : أن الهُمَزَة: الذي يعيب جهراً بيد أو لسان، واللُّمَزَة : الذي يعيبهم سراً بعين أو حاجب، قاله عبد الملك بن هشام[٧]. قال رؤبة[٨]:

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلِي وَلَمْزِي

وحكي الثعلبي عن ابن كيسان: أن" الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير برأسه، ويومض بعينه، ويرمز بحاجبه، وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس"[٩].

السابع : أن الهُمَزَة: الذي يهمز بلسانه، واللُّمَزَة: الذي يلمز بعينه، قاله سفيان الثوري[١٠].

الثامن : أن الهُمَزَة : الذي ينم الكلام إلى الناس، وهو: النمام، واللُّمَزَة: هو الذي يلقب الرجل بما يكره. قاله مقاتل[١١].

التاسع: أن الهمزة: الذي يقول ما في الإنسان، واللمزة: الذي يقول ما ليس فيه. قاله القشيري[١٢].

قال ابن كثير:" الهماز : بالقول، واللماز : بالفعل. يعني : يزدري بالناس وينتقص بهم"[١٣].

قال ابن عطية:" صفتان تتلازم، قال الله تعالى: {هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم: ١١]، قيل لأعرابي: «أتهمز إسرائيل،» فقال: إني إذا لرجل سوء، حسب أنه يقال له: أتقع في سبه، و«اللمزة» قريب من المعنى في الهمزة، قال الله تعالى: {وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١]"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤.
(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤.
(٦) زاد المسير: ٤٨٨/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.
(٨)ديوانه: ٦٤، من رجزه في أبان بن الوليد البجلي، ثم ذكر فيها نفسه، فقال:
فَإن ترَيْنِي اليَوْمَ أُمَّ حَمْزِ ... قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وجَمْزِي
مِنْ بَعْدِ تَقْمَاص الشَّبَابِ الأبْزِ ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ باطِلِي وَلَمْزِي
فَكُلُّ بَدْءٍ صَالِحٍ أوْ نِقْزِ ... لاقٍ حِمَامَ الأجَلِ المُجْتَزِّ
"أم حمز"، يعني "أم حمزة". و "العنق" ضرب من العدو، و "الجمز" فوق العنق، ودون الحضر، وهو العدو الشديد. يعني ما تقارب من جريه لما كبر، "تقماص الشباب"، من "القمص"، "قمص الفرس"، إذا نفر واستن، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا، ويعجن برجليه. و "التقماص" مصدر لم تذكره كتب اللغة. و "الأبز": الشديد الوثب، المتطلق في عدوه، يقال: "ظبي أبوز، وأباز"، ولم يذكروا في الصفات "الأبز"، وهو هنا صفة بالمصدر. و "البدء": السيد الشاب المقدم المستجاد الرأي. و "النقز" (بكسرالنون) : الخسيس الرذال من الناس.
(٩) الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٤.
(١٢) لطائف الإشارات: ٧٦٦/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(١٤) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

وقرأ ابن مسعود والأعمش والحسن: «ويل الهمزة اللمزة» ، وهذا البناء الذي هو «فعلة»، يقتضي المبالغة في معناه[١].

واختلفوا فيمن نزلت فيه، على أقوال :

أحدها : في أُبي بن خلف ، قاله عمار[٢].

الثاني : أميّة بن خلف، قاله ابن إسحاق[٣].

قال محمد بن إسحاق بن مسار: "ما زلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أميّة بن خلف الجمحي"[٤].

الثالث : في جميل بن عامر الجمحي، قاله مجاهد[٥]، وعثمان بن عمر[٦]، وحكاه ابن أبي نجيح[٧].

عن ابن إسحاق عن عثمان بن عمر قال: ما زلنا نسمع أن ويل لكل همزة قال: ليست بحاجبة لأحد، نزلت في جميل بن عامر"[٨].

وقال ورقاء:" ليست بخاصة لأحد، نزلت في جميع بني عامر; قال ورقاء: زعم الرقاشي"[٩].

الرابع : في الأخنس بن شريق الثقفي ، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١٠]، وبه قال السّدّيّ[١١]، وابن السّائب[١٢].

وقال الكلبي: "نزلت في الأخنس بن شريق ووهب بن عمرو الثقفي وكان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين"[١٣].

الخامس : في الوليد بن المغيرة ، قاله ابن جريج[١٤]، ومقاتل[١٥].

قال مقاتل: نزلت في الوليد ابن المغيرة المخزومي، كان يغتاب النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا غاب، وإذا رآه طغى في وجهه"[١٦].

السادس : العاص بن وائل السّهمي، قاله عروة[١٧].

السابع : أنها نزلت في مشرك كان يلمز الناس ويهمزهم. قاله ابن عباس[١٨].

قال الفراء:" وإنما نزلت في رجل واحد كان يهمز الناس، ويلمزهم: يغتابهم ويعيبهم، وهذا جائز في العربية أن تذكر الشيء العام وأنت تقصد قصد واحد من هذا وأنت قائل في

---

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٧٠): ٣٤٦٣/١٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٨٨/٤. أخرجه الطبري بسنده عن ابن أبي نجيح، عن رجل من أهل الرقة، قال: "نزلت في جميل بن عامر الجمحي".

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٠): ٣٤٦٣/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٧١): ٣٤٦٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٦/٦، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٣) الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٤-٨٣٨.

(١٦) تفسير مقاتل نب سليمان: ٨٣٧/٤.

(١٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤.

الكلام عند قول الرجل: لا أزورك أبدا، فتقول أنت: كل من لم يزرني فلست بزائره، وأنت تريد الجواب، وتقصد قصده، وهي في قراءة عبد الله: «ويل للهمزة اللمزة»"[١].

الثامن : أنها مرسلة على العموم من غير تخصيص، وهذا مروي عن مجاهد[٢]، وحكاه الماوردي عن الأكثرين[٣].

قال الشوكاني:" الآية تعم كل من كان متصفا بذلك، ولا ينافيه نزولها على سبب خاص، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[٤].

قال الزمخشري:" يجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه"[٥].

قال ابن عطية:" هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات"[٦].

عن مجاهد:" {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال: ليست بخاصة لأحد"[٧].

قال ابن عمر:" نزلت هذه الآية في أصحاب محمد: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال ابن عمر: ما عنينا بها ولا عنينا بعشر القرآن"[٨].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله عمّ بالقول كلّ همزة لمزة، كلّ من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائنا من كان من الناس"[٩].

**القرآن**

**{الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢)} [الهمزة : ٢]**

التفسير:

الذي كان همُّه جمع المال وتعداده.

قال الطبري:" يقول: الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : جمعه بعضه على بعض، وأحصى عدده، كقوله :{وَجَمَعَ فَأَوْعَى} [المعارج : ١٨]"[١١].

قال ابن عطية:" معناه: أحصاه وحافظ على عدده وأن لا ينتقص، فمنعه من الخيرات ونفقة البر"[١٢].

عن السدي: {جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}، قال: أحصاه"[١٣].

وقال محمد بن كعب في قوله :{جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ}:" ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة"[١٤].

وقال مقاتل:" يقول: الذي استعد مالا[١٥]، ليشتري به الخدم والحيوان"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٩/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤-٥٩٨.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.
(٤) فتح القدير: ٦٠٣/٥.
(٥) الكشاف: ٧٩٥/٤.
(٦) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤-٥٩٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٩): ٣٤٦٣/١٠.
(٩) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(١٢) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٣):ص٣٤٦٣/١٠.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(١٥) أي: استعدّه وذخره وجعله عتادا له. [انظر: الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠]

وقال الضحاك: "أعد ماله لمن يرثه"[٢].
قال الزجاج:" وعدده للدهور"[٣].
قال ابن الشوكاني:" قيل المعنى: فاخر بكثرته وعدده، والمقصود ذمه على جمع المال، وإمساكه وعدم إنفاقه في سبيل الخير، يقال: أعددت الشيء وعددته: إذا أمسكته"[٤].
قال الشوكاني:" وإنما وصفه سبحانه بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب، والعلة في الهمز واللمز، وهو إعجابه بما جمع من المال وظنه أنه الفضل، فلأجل ذلك يستقصر غيره"[٥].
قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي والحسن وأبو جعفر: «جمّع»، بشدة الميم، والباقون بالتخفيف، وقرأ الحسن: «وعدده» بتخفيف الدالين، فقيل المعنى جمع مالا وعددا من عشرة، وقيل أراد عددا مشددا فحل التضعيف[٦]، قال ابن عطية:" وهذا قلق"[٧].
قال الزجاج:" ومن قرأ «وعدده«»، فمعناه: جمع مالا وعددا، أي: وقوما أعدهم نصارا"[٨].
قال الزمخشري:" وقرئ: «وعدده»، أي: جمع المال وضبط عدده وأحصاه. أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه، من قولك: فلان ذو عدد وعدد: إذا كان له عدد وافر من الأنصار وما يصلحهم"[٩].

**القرآن**
**{يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)} [الهمزة : ٣]**
التفسير:
يظن أنه ضَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.
قال الطبري:" يقول: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، وبخل بإنفاقه، مخلده في الدنيا، فمزيل عنه الموت"[١٠].
قال مقاتل: أي:" من الموت، فلا يموت حتى يفنى ماله"[١١].
قال ابن كثير:" أي : يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار؟"[١٢].
قال ابن عطية:" يحسب أن ماله هو معنى حياته وقوامها، وأنه حفظه مدة عمره ويحفظه"[١٣].
قال الزجاج:" أي: يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يموت"[١٤].
عن عكرمة: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}، قال: يزيد في عمره"[١٥].
قال الزمخشري:" أي: طوّل المال أمله، ومناه الأماني البعيدة، حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أنّ المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت. أو يعمل من تشييد البنيان الموثق

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٤.
(٢) فتح القدير: ٦٠٣/٥.
(٣) معاني القرآن: ٣٦١/٥.
(٤) فتح القدير: ٦٠٣/٥.
(٥) فتح القدير: ٦٠٣/٥.
(٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(٧) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(٨) معاني القرآن: ٣٦١/٥.
(٩) الكشاف: ٧٩٥/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(١٣) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.
(١٤) معاني القرآن: ٣٦٢/٥.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٤):ص٣٤٦٣/١٠.

بالصخر والآجر وغرس الأشجار وعمارة الأرض: عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا[١]. أو هو تعريض بالعمل الصالح. وأنه هو الذي أخلد صاحبه في النعيم، فأما المال فما أخلد أحدا فيه"[٢].

وروى:" أنه كان للأخنس أربعة آلاف دينار. وقيل: عشرة آلاف"[٣].

وعن الحسن: أنه عاد موسرا، فقال: ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم، ولا تفضلت على كريم؟ قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونوائب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إذن تدعه لمن لا يحمدك، وترد على من لا يعذرك"[٤].

القرآن

**{كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤)} [الهمزة : ٤]**

التفسير:

ليس الأمر كما ظن، ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلْقى فيها.

قوله تعالى:{كَلَّا} [الهمزة : ٤]، أي:" ليس الأمر كما ظن"[٥].

قال مقاتل:" كلا لا يخلده ماله وولده"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما ذلك كما ظنّ، ليس ماله مخلّده"[٧].

قال ابن كثير:" أي : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب"[٨].

عن عمر ابن عبد الله مولى غفرة: "إذا سمعت الله سبحانه يقول: {كَلَّا}، فإنما يقول: كذبت"[٩].

قوله تعالى:{لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} [الهمزة : ٤]، أي:" ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلْقى فيها"[١٠].

قال مقاتل:" ليتركن في الحطمة"[١١].

قال الطبري:" ليُقذفنّ يوم القيامة في الحطمة"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة"[١٣].

قال الزجاج:" أي: يرمى به في النار"[١٤].

عن السدي: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ}، قال: ليلقين"[١٥].

وفي تفسير «الحطمة» -هاهنا-، أقوال:

أحدها : أنه اسم باب من أبواب جهنم، قاله الحسين بن واقد[١٦].

وقال الكلبي:" هو الباب السادس"[١٧].

---

(١) وكأن الزمخشري يتحدث عن أيامنا وما نراه اليوم من عمارة الأرض وتشييد البنيان.-والله المستعان-.

(٢) الكشاف: ٧٩٥/٤.

(٣) نقلا عن: الكشاف: ٧٩٥/٤.

(٤) نقلا عن: الكشاف: ٧٩٥/٤-٧٩٦.

(٥) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٦/١٠-٢٨٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٦٠١.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(١٤) معاني القرآن: ٣٦٢/٥.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٥):ص٣٤٦٣/١٠.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٧٦):ص٣٤٦٣/١٠.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.

الثاني : أنه اسم درك من أدراك جهنم ، وهو الدرك الرابع ، قاله الضحاك[١].
الثالث : أنه اسم من أسماء جهنم، قاله ابن زيد[٢]، والفراء[٣]، والطبري[٤].
قال الأعمش:" أسماء أبواب جهنم: الحطمة، والهاوية، ولظى، وسقر، والجحيم والسعير، وجهنم، والنار هي جماع"[٥].
عن ابن عباس في قوله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} [الحجر : ٤٤]، قال: "جهنم، والسعير، ولظى والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلها"[٦].
وقال عكرمة:" لها سبعة أطباق"[٧].
عن حطان بن عبد الله، قال: "قال عليّ: تدرون كيف أبواب النار؟ قلنا: نعم كنحو هذه الأبواب، فقال: لا ولكنها هكذا، فوصف أبو هارون أطباقا بعضها فوق بعض، وفعل ذلك أبو بشر"[٨].
قال علي:" أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، وأشار بأصابعه على الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث حتى تملأ كلها"[٩].
عن هبيرة، عن عليّ، قال: "أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها"[١٠].
وفي تسميتها بـ«الحطمة»، وجهان[١١] :
أحدهما : لأنها تأكل كل شيء. يقال: رجل حطمة، أي: أكول.
قال محمد بن كعب:" تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده ابتدى خلقه"[١٢].
قال مقاتل: " وذلك أن الشقي إذا دخل النار طاف به الملك في أبوابها في ألوان العذاب وفتح له باب الحطمة وهي باب من أبواب جهنم، وهي نار تأكل النار من شدة حرها، وما خمدت من يوم خلقها الله- عز وجل- إلى يوم يدخلها، فإذا فتح ذلك الباب وقعت النار عليه فأحرقته، فتحرق الجلد واللحم والعصب والعظم"[١٣].
قال الطبري:" الحطمة: اسم من أسماء النار، كما قيل لها: جهنم وسقر ولظى، وأحسبها سميت بذلك لحطمها كلّ ما ألقي فيها، كما يقال للرجل الأكول: الحطمة"[١٤].
قال ابن كثير:" الحطمة : هي اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها"[١٥].
قال الأزهري:" أخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت: يقال: رجل حطمة إذا كان كثير الأكل"[١٦].
وقال أبو زيد: "يقال للنار الشديدة: حطمة"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٩٠/٣. قال الفراء:" الحطمة: اسم من أسماء النار، كقوله: جهنم، وسقر، ولظى".
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٩٣):ص٢٢٦٥/٧.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٩٠):ص٢٢٦٥/٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٩١):ص٢٢٦٥/٧.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٦/١٧.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٦/١٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٦/١٧.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦، وتفسير السمعاني: ٢٨١/٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٦):ص٣٤٦٤/١٠.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(١٦) تهذيب اللغة:ص٢٣١/٤، مادة: «حطمة».

قال الأزهري:" ويقال أيضا: رجل حطمة، للكثير الأكل، ورجل حطم وحطمة أيضا، إذا كان قليل الرحمة للماشية يهشم بعضها ببعض. وفي المثل: «شر الرعاء الحطمة »[٢]. وقال الراجز[٣]:

قد لفها الليل بسواق حطم"[٤].

الثاني : لأنها تحطم ما أُلقي فيها، أي: تكسره وتهده، ومنه قول الراجز[٥] :

إنا حَطَمْنا بالقضيب مُصْعَبا ... يومَ كَسَرنا أنْفَه ليَغْضَبا

قال ابن الجوزي:" هو اسم من أسماء جهنم. سميت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لَحُطَمة"[٦].

وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عبلة، وابن محيصن: «لَيُنْبَذَانِّ فِي الحُطَمَة» بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله[٧].

**القرآن**

**{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)} [الهمزة : ٥]**

التفسير:

وما أدراك -أيها الرسول- ما حقيقة النار؟

قال الطبري:" يقول: وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة"[٨].

قال مقاتل: "تعظيما لها"[٩].

قال سفيان بن عيينة: كل شيء، قال: {وما أدراك}، فإنَّه أخبره به، وما قال: وما يدريك فإنَّه لم يخبره به"[١٠].

تفسير الحسن: أي: "أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك [ما الحطمة]"[١].

---

(١) تهذيب اللغة:ص٢٣١/٤، مادة: «حطمة».

(٢)قال المجد: " وشر الرعاء الحطمة، حديث صحيح، ووهم الجوهرى في قوله مثل ". فهذا مثل ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسبق إليه فيصح أن يقال فيه مثل، وحديث ضربه لوالى السوء.

(٣)البيت من أرجوزة نسبت إلى غير واحد أكثرهم هو رشيد بن رميض العنزي، وقد أوردها في البيان والتبيين:

(٢/ ٦٤٧)، والكامل: (١/ ٣٨١) من استشهاد للحجاج في خطبته المشهورة، والشاهد غير منسوب في الجمهرة: (٢/ ٨٣٠)، وقبله:

هذا أوان الشدّ فاشتدي زيَمْ

وانظر حاشية المحقق البعلبكي حيث أحال إلى مراجع أخرى.

(٤) الصحاح:ص١٩٠١/٥، مادة: «حطم».

وقال الأزهري:" ويقال: شر الرعاء الحطمة، وهو الراعي الذي لا يمكن رعيته من المراتع الخصيبة ويقبضها ولا يدعها تنتشر في المرعى. ويقال: راع حطم بغير هاء إذا كان عنيفا كأنه يحطمها أي يكسرها إذا ساقها أو أسامها لعنفه بها". [تهذيب اللغة:ص٢٣٢/٤، مادة: «حطم»]

(٥) بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٣٧/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٤/٢٠، والدر المصون: ١٠٧/١١، واللباب: ٤٩٣/٢٠، وفتح القدير للشوكاني: ٦٠٣/٥.

والبيت لصخير بن أبي الجهم، كما في: المنمق لابن حبيب: ٣٦٦، وتاريخ ابن عساكر: ٥/٢٤، وفيهما: «نحن حطمنا..».

ومصعب: هو ابن عبدالرحمن بن عوف، كما ذكر ابن حبيب، ومعنى: خطمه: ضرب أنفه. انظر: القاموس، مادة«خطم».

(٦) زاد المسير: ٤٨٩/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢٤، وزاد المسير: ٤٨٩/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٤.

(١٠) تفسير الثعلبي: ٤٠٥/٢٩. [ط. دار التفسير]، وانظر: صحيح البخاري" كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر معلقًا.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن كيّس فطن حذر وقاف ثبت، لا يعجل، عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة، لا يقف عند شبهة ولا عند محرم، كحاطب الليل لا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق»[٢].

القرآن

**{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧)} [الهمزة : ٦-٧]**

التفسير:

إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب، التي من شدة حرها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب.

قوله تعالى:{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ} [الهمزة : ٦]، أي:" إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب"[٣].

قال الزجاج:" هذه نار معدة لهؤلاء الكفار ومن كان مثلهم"[٤].

قال مقاتل:" على أهلها لا تَخمد"[٥].

قوله تعالى:{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} [الهمزة : ٧]، أي:" التي من شدة حرها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب"[٦].

قال الفراء:" يقول: يبلغ ألمها الأفئدة، والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد. العرب تقول: متى طلعت أرضنا، وطلعت أرضى، أي: بلغت"[٧].

قال الطبري:" يقول: التي يطلع ألمها ووهجها القلوب"[٨].

قال الزجاج:" يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة"[٩].

قال الزمخشري تدخل [النار] في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهي أوساط القلوب، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه. ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة. ومعنى اطلاع النار عليها: أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها"[١٠].

عن محمد بن كعب: {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}، قال:" تأكل كلّ شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، فإذا بلغتْ فؤاده ابتُدئ خَلْقُه"[١١].

عن محمد بن المُنكَدِر، في قوله: "{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}، قال: تأكله النار حتى تبلغ فؤادَه وهو حيٌّ"[١٢].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ٧٨/٥. ذكر نحوه في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، قال: تفسي الحسن: " أي: أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك". ثم كرر عبارة" أي: أنك لم تكن تدري". في تفسير عبارة" وما أدراك" في جميع القرآن. فهو يحكي هذا التفسير عن الحسن. -والله أعلم-.

(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٧/١٠، وانظر: كنز العمال: ١/ ١٦٢.

(٣) التفسير الميسر: ٦١٠.

(٤) معاني القرآن: ٣٦٢/٥.

(٥)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٨٣٧.

(٦) التفسير الميسر: ٦١٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٠/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.

(٩) معاني القرآن: ٣٦٢/٥.

(١٠) الكشاف: ٧٩٦/٤.

(١١)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٨ - ، وابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٩ (١٤٠) -. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(١٢)أخرجه ابن عساكر ٥٦/ ٥٠.

قال ثابت البناني:" تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي"[١]. وفي رواية:" تأكله إلى فؤاده وهو حيٌّ، لقد تبلغ فيهم العذاب. ثم بكى وأبكى مَن حوله"[٢].

قال مقاتل: " فتحرق الجلد واللحم والعصب والعظم ولا تحرق القلب، ولا العين، وهو ما يعقل به ويبصر، فذلك قوله- تعالى-: {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}، ثم تلا: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [إبراهيم : ١٧]، يقول ليس في جسده موضع شعرة إلا والموت يأتيه من ذلك المكان"[٣].

قال الشوكاني:" أي: يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها، وخص الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة، أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها، أي: إنهم في حال من يموت وهم لا يموتون. وقيل: معنى تطلع على الأفئدة أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بأمارات عرفها الله بها إنها عليهم"[٤].

قال ابن عطية:" «الفؤاد»: القلب، ويحتمل أن يكون المعنى: أنها لا يتجاوزها أحد حتى تأخذه بواجب عقيدة قلبه ونيته فكأنها متطلعة على القلوب باطلاع الله تعالى إياها"[٥].

عن خالد بن أبي عمران يرفعه إلى رسول الله: «إنّ النار تأكل أهلها، حتى إذا اطّلعتْ على أفئدتهم انتهتْ، ثم يعود كما كان، ثم تستقبله أيضًا، فتطّلع على فؤاده، فهو كذلك أبدًا، فذلك قول الله: {نارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}»[٦].

**القرآن**

**{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)} [الهمزة : ٨-٩]**

التفسير:

إنها عليهم مطبَقة في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لئلا يخرجوا منها.

قوله تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} [الهمزة : ٨]، أي:" إنها عليهم مطبَقة"[٧].

قال الطبري: يقول: "إن الحطمة التي وصفت صفتها عليهم- يعني: على هؤلاء الهمازين اللمازين-: مطبقة"[٨].

وفي قوله تعالى: «مؤصدة»، أقوال:

أحدها : مطبقة، قاله ابن عباس[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، والحسن[١١]، وقتادة[١٢]، والضحاك[١٣]، وأبو صالح[١٤]، وعطية[١٥]، وابن زيد[١٦]، والفراء[١٧].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(٢)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٢٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٤.
(٤) فتح القدير: ٦٠٣/٥-٦٠٤.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٢٢/٥.
(٦)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ١٣٠ (٢٩٩)، وابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٩ (١٣٩) - مرسلًا.
(٧) التفسير الميسر: ٦١٠.
(٨) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٣ (١٠٧) -.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:: ٥٩٩/٢٤-٦٠٠.
(١٧) انظر: معاني القرآن: ٢٩٠/٣.

قال الزجاج:" معنى {موصدة}: مطبقة، أي: العذاب مطبق عليهم"[١].
قال أبو صالح:" مُطْبَقَة ليس لها أبواب"[٢].
عن سعيد بن جبير، قال: "في النار رجل في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا حنان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا ربّ {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}، فيقول: يا حبريل فكها، وأخرج عبدي من النار، فيفكها، ويخرج مثل الخيال، فيطرح على ساحل الجنة حتي يُنبت الله له شعرا ولحما ودما"[٣].
الثاني : مغلقة -بلغة قريش-، يقولون: آصد الباب إذا أغلقه، قاله ابن عباس-أيضا-[٤]، ومجاهد[٥]، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات [٦]:
إن في القَصْر لو دَخَلْنا غَزالاً ... مُصْفقاً مُوصَداً عليه الحجابُ
عن عباس:"{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}، قال: عليهم مغلقة"[٧].
الثالث : مسدودة الجوانب لا ينفتح منها جانب ، قاله سعيد بن المسيب[٨].
وقال مقاتل:" فيطبق كل واحدة على صاحبه بمسامير من حديد من نار كأمثال الجبال، فلا يلج فيها روح، «ولا يخرج منها حر النار، ويأكلون من النار ولا يسمع فيها إلا الزفير والشهيق"[٩].
وقال مقاتل بن سليمان : " طبقت الأبواب، ثم شدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح، ولا يخرج منها غم آخر الأبد "[١٠].
قوله تعالى:{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩]، أي:" في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لئلا يخرجوا منها"[١١].
وفي قوله تعالى:{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنها مؤصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود[١٢]، وهي في قراءته «بعَمَدٍ ممدّدة»[١٣].
وعن ابن مسعود، أنه قرأ: {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، قال: وهي الأدهم"[١٤].
الثاني : أنهم معذبون فيها بعُمد محددة، وهي جمع: عمود. قاله قتادة[١٥].
عن قتادة: "{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، قال: عمود يعذبون به في النار"[١٦].
قال قتادة:" كُنَّا نحدَّث أنها عمد يعذّبون بها في النار"[١٧].
وقيل: "هي عمد موتّدة على أبوابها ليتأكد أياسهم منها"[١٨].

---

(١) معاني القرآن: ٣٦٢/٥.
(٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٣ (١٠٧) -.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.
(٦) ديوانه: ٨٤، وانظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٥/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٤-٨٣٨.
(١١) التفسير الميسر: ٦١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٧):ص٣٤٦٤/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(١٨) الكشف والبيان: ٢٨٧/١٠.

الثالث : أن العُمد الممدة: الأغلال في أعناقهم، والمعنى: أدخلهم في عمد، فمدّت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل، فسدّت عليهم بها الأبواب. قاله ابن عباس[١].

قال ابن عباس:" أدخلهم في عمد، فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل، فسدّت بها الأبواب"[٢].

وعن ابن عباس: "{فِي عَمَدٍ}، قال: الأبواب"[٣].

وعن ابن زيد:" {فِي عَمَدٍ}، من حديد مغلولين فيها، وتلك العمد من نار قد احترقت من النار، فهي من نار {مُمَدَّدَةٍ} لهم"[٤].

قال السدي: "من قرأها: «فِي عُمُد»: فهو عمد من نار، ومن قرأها: «فِي عَمَد»: فهو حبل ممدود"[٥].

الرابع : أنها قيود طوال في أرجلهم ، قاله أبو صالح[٦].

عن أبي صالح: "{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، قال: القيود الطوال"[٧].

الخامس : قيود على قبرهم من نار يعذبون فيها. حكاه السمعاني[٨].

السادس : معناه: في دهر ممدود، أي: لا انقطاع له. قاله أبو فاطمة[٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معناه: أنهم يعذّبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها، ولا وضع لنا عليها دليل، فندرك به صفة ذلك، فلا قول فيه، غير الذي قلنا يصحّ عندنا، والله أعلم"[١٠].

قال السمعاني:" وأولى الأقاويل هو أنها مطبقة بعمد، يعني: مسدودة لا يخرج منها غمر، ولا يدخلها روح"[١١].

قال الزمخشري:" المعنى: أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد، فتؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد، استيثاقا في استيثاق. ويجوز أن يكون المعنى: أنها عليهم مؤصدة، موثقين في عمد ممدّدة مثل المقاطر[١٢] التي تقطر فيها اللصوص. اللهم أجرنا من النار يا خير مستجار"[١٣].

عن أبي جعفر القارئ: "أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكاني"[١٤].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنما الشفاعة يوم القيامة لِمَن عمل الكبائر مِن أُمّتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول مِن جهنم، لا تسودّ وجوههم، ولا تزرقّ أعينهم، ولا يُغلّون بالأغلال، ولا يُقرنون مع الشياطين، ولا يُضربون بالمقامع، ولا يُطرحون في الأدراك؛ منهم مَن يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم مَن يمكث يومًا ثم يخرج، ومنهم مَن يمكث فيها شهرًا ثم يخرج، ومنهم مَن يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مُكثًا فيها

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٨):ص٣٤٦٤/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٠):ص٣٤٦٤/١٠.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٩):ص٣٤٦٤/١٠.
(٨) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٦.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦. وحكاه القرطبي :١٨٦/٨، دون نسبة.
(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤-٦٠١.
(١١) تفسير السمعاني: ٢٨١/٦.
(١٢) في الصحاح «المقطرة» : «الفلق»، وهي خشبة فيها خروق تدخل فيما أرجل المحبوسين.
(١٣) الكشاف: ٧٩٦/٤.
(١٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٨١/٦.

مثل الدنيا مِن يوم خُلقتْ إلى يوم أُفنيتْ، وذلك سبعة آلاف سنة، ثم إنّ الله - عز وجل - إذا أراد أنْ يُخرج المُوحِّدين منها قذف في قلوب أهل الأديان، فقالوا لهم: كُنّا نحن وأنتم جميعًا في الدنيا، فآمنتم وكفرنا، وصدّقتم وكذّبنا، وأقررتم وجحدنا، فما أغنى ذلك عنكم، نحن وأنتم فيها جميعًا سواء، تُعذّبون كما نُعذّب، وتُخلّدون كما نُخلّد. فيغضب الله عند ذلك غضبًا لم يغضبه من شيء فيما مضى، ولا يغضب مِن شيء فيما بقي، فيُخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يُقال لها: نهر الحياة، فيُرشّ عليهم مِن الماء، فيَنبُتون كما تَنبُت الحبّة في حميل السيل، ما يلي الظّلّ منها أخضر، وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنة، فيُكتب في جباههم: عتقاء الله من النار، إلا رجلًا واحدًا، فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة، فينادي: يا حنّان، يا منّان. فيبعث الله إليه مَلَكًا ليُخرجه، فيخوض في النار في طلبه سبعين عامًا لا يقدر عليه، ثم يرجع فيقول: يا ربِّ، إنك أمرتني أنْ أُخرج عبدك فلانًا من النار، وإني طلبتُه في النار منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه. فيقول الله - عز وجل -: انطلِق، فهو في وادي كذا وكذا، تحت صخرة، فأخرجه. فيذهب، فيُخرجه منها، فيُدخله الجنة، ثم إنّ الجهنّميين يطلبون إلى الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله إليهم مَلَكًا، فيمحو عن جباههم، ثم إنه يقال لأهل الجنة ومَن دخلها من الجهنّميين: اطّلعوا إلى أهل النار. فيطّلعون إليهم، فيرى الرجل أباه، ويرى أخاه، ويرى جاره، ويرى صديقه، ويرى العبد مولاه، ثم إنّ الله - عز وجل - يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعَمد من نار، فيُطبق عليهم بتلك الأطباق، ويُشدّ بتلك المسامير، ويُمدّ بتلك العمد، ولا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح، ولا يخرج منه غمّ، وينساهم الجبّار على عرشه، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبدًا، وينقطع الكلام، فيكون كلامهم زفيرًا وشهيقًا، فذلك قوله: {إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} يقول: مُطْبَقة»"[1].

فوائد السورة الكريمة:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- التحذير من الغيبة والنميمة.

٣- التنديد بالمغترين بالأموال المعجبين بها.

٤-بيان شدة عذاب النار وفظاعته.

**«آخر تفسير سورة (الهمزة)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١)أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢/ ٣٦ - ٣٧.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الفيل»**

«سورة الفيل»: هي السورة االخامسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الكافرين»، وقبل «سورة الفلق» وقيل: قبل سورة: «القريش»[١]، آياتها خمس إجماعا. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها ثلاث وتسعون. فواصل آياتها على «اللام»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الفيل»:**

سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير[٣]: «سورة الفيل»، ووجه تسميتها بذلك، لذكرها قصة الفيل في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [الفيل : ١]، ولم يذكر لفظ «الفيل» في القرآن الكريم في غير هذه السورة.

- **الثاني:- اسمها الاجتهادي: سورة «ألم تر» و«ألم تر كيف»، و«ألم تر كيف فعل ربك»:**

وردت تسميتها في كلام بعض السلف سورة :«ألم تر»[٤]. وكذلك عنونها البخاري[٥]، وبعض المفسرين[٦] في كتبهم.

وعنون لها ابن أبي زمنين في تفسيره: «ألم تر كيف»[٧].

ووقع تسميتها عند ابن عباس، بالآية الأولى :«ألم تر كيف فعل ربك»[٨].

وعنون لها ابن العربي في «أحكام القرآن» :«السورة المنزلة على أصحاب الفيل»[٩].

وهذه الأسماء ليست توقيفية من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هي من اجتهاد العلماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " أنزل {ألم تر كيف فعل ربك} بمكة"[١٠].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع الرواة"[١١].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[١٢].

---

(١) وذلك لقول الأخفش: إن قوله تعالى: {لإيلاف قريش} [قريش: ١] متعلق بقوله: {فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل: ٥]، ولأن أبيّ بن كعب جعلها وسورة قريش سورة واحدة في مصحفه ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولخبر عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب روى أن عمر بن الخطاب قرأ مرة في المغرب في الركعة الثانية سورة الفيل وسورة قريش، أي: ولم يكن الصحابة يقرأون في الركعة من صلاة الفرض سورتين لأن السنة قراءة الفاتحة وسورة فدل أنهما عنده سورة واحدة.

قال ابن عاشور:" ويجوز أن تكون سورة قريش نزلت بعد سورة الفلق وألحقت بسورة الفيل فلا يتم الاحتجاج بما في مصحف أبي بن كعب ولا بما رواه عمرو بن ميمون". [التحرير والتنوير: ٥٤٣/٣٠].

عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: " صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١] ، وفى الركعة الأخرى: {أَلَمْ تَرَ} [الفيل : ١]، و{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١] جميعا". [أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦]

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٠٣/٢٤، وتأويلات أهل السنة: ٦١٧/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦١٨/٣، والكشف والبيان: ٢٨٨/١٠، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٣٥/١٢، والنكت والعيون: ٣٢٨/٦ ، والوسيط للواحدي: ٥٥٤/٤، وتفسير السمعاني: ٢٨٣/٦، وتفسير البغوي: ٥٣٢/٨، وغيرها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٦) انظر مثلا: تفسير ابن فورك: ٢٧٥/٣، وتفسير الثعالبي: ٤٤٢/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٣/٥.

(٨) كما سيأتي في مكان نزول السورة.

(٩) انظر: أحكام القرآن: ١٩٨٠/٢.

(١٠) الدر المنثور: ٦٢٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) المحرر الوجيز: ٥٢٣/٥.

(١٢) زاد المسير: ٤٩٠/٤.

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- أنه بين في السورة السابقة أن المال لا يغنى من الله شيئا وهنا أقام الدليل على ذلك بقصص أصحاب الفيل[١].

قال أبو حيان:" لما قال فيما قبلها: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، بين حال الخاسر فقال: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]"[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- التذكير بأن الكعبة حرم الله وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءا أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم، لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سماه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله.

٢- تنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

٣- تثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن الله يدفع عنه كيد المشركين فإن الذي دفع كيد من يكيد لبيته لأحق بأن يدفع كيد من يكيد لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ودينه ويشعر بهذا قوله: {ألم يجعل كيدهم في تضليل} [الفيل: ٢] .

٤- التذكير بأن الله غالب على أمره، وأن لا تغر المشركين قوتهم ووفرة عددهم ولا يوهن النبيء صلى الله عليه وسلم تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.

قال ابن عاشور: "ولم يتكرر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل خلافا لقصص غيرهم من الأمم لوجهين:

أحدهما: أن إهلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

وثانيهما أن لا يتخذ منه المشركون غرورا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ١٩] الآية وقوله: {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنفال : ٣٤]"[٣].

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: بيان جزاء الأجانب، ومكرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وتسليط أنواع العقوبة على العصاة والمجرمين، وسوء عاقبتهم بعد حين في قوله: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل : ٥]"[٤].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة[٥].

- **فضائل السورة:**

– عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين والزيتون}، وفى الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لإيلاف قريش} جميعا"[٦].

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ٢٣٦/٣٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٥٤٤/٣٠.

(٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة «الفيل»، عافاه الله عزّ وجلّ أيام حياته في الدنيا من القذف والمسخ» [1].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٨/١٠. [موضوع]

**القرآن**

**{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)} [الفيل : ١]**

التفسير:

ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فترى بها {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، الذين قَدِموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشيّ الأشرم"[١].

قال مقاتل:" {أَلَمْ تَرَ} ألم تعلم، يا محمد، {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ}، يعني: أَبْرَهَة بن الأشرم اليماني، وأصحابه"[٢]. قال مقاتل: "كان معهم فيل واحد"[٣].

وقال الضحاك:" كانت الفيلة ثمانية"[٤].

قال ابن كثير:" هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وَرَدهم بشر خيبة. وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء.

وفي قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [الفيل : ١]، وجهان[٥]:

أحدهما : ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

عن السُّدِّيّ: "{أَلَمْ تَرَ}، يعني: ألم تُخبَر"[٦].

قال الفراء:" يقول: ألم تخبر عن الحبشة، وكانوا غزوا البيت وأهل مكة"[٧].

الثاني : ألم ترَ آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ير أصحاب الفيل.

قال السمعاني:" الفيل: دابة معلومة، ومعنى قوله: {أَلَمْ تَرَ}، أي: ألم تعلم؟ وقيل: ألم تر آثار ما فعل ربك بأصحاب الفيل. وأصحاب الفيل: هم جند من الحبشة أميرهم أبرهة بن الصباح أبو يكسوم وقيل: غيره. غزوا الكعبة، وقصدوا تخريبها وهدمها"[٨].

قال سعيد بن جبير:" أقبل أبو يكسوم صاحب الحبشة ومعه الفيل، فلما انتهى إلى الحرم بَرك الفيل، فأبى أن يدخل الحرم، فإذا وُجِّه راجعًا أسرع راجعًا، وإذا أُريد على الحرم أبى، فأُرسل عليهم طيرٌ صغارٌ بيضٌ، في أفواهها حجارة أمثال الحِمَّص، لا تقع على أحد إلا هلك"[٩].

قال الحسن البصري: "{كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ} هذا خبر أخبر الله به النبي -صلى الله عليه وسلم -، وذلك أنّ العرب أهل الحَرم هدموا كنيسة للحبشة وهم نصارى، فقال

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٤.

(٢)مقاتل بن سليمان ٤/ ٨٥٣.

(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٦، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٠.

(٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٦، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٨/٦.

(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٦٣ -.

(٧) معاني القرآن: ٢٩١/٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٨٣/٦.

(٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٨٣.

أبْرَهَة بن الصباح: لنهدمنّ كعبة العرب كما هدموا كنيستنا. وكان أبْرَهَة من أهل اليمن، ملّكته الحبشة عليهم، فبعث بالفيل وبالجنود، فجاء حتى إذا انتهى إلى الحَرم ألقى بجِرانه، فسقط، فوجّهوه نحو منازلهم فذهب يسعى، فإذا وُجِّه نحو الحرم ألقى بجِرانه[١] ولم يتحرّك، وإذا وُجِّه نحو منازلهم ذهب يسعى"[٢].

عن قتادة، في قوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ}، قال: "أقبل أبْرَهَة الأشرم بالحبشة ومَن تبعه مِن غُزاة أهل اليمن إلى بيت الله؛ ليهدموه من أجل بيعةٍ لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصِّفاح بَرك، فكانوا إذا وجّهوه إلى بيت الله ألقى بجِرانه إلى الأرض، فإذا وجّهوه قِبل بلادهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كانوا بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيرًا أبابيل بيضًا، وهي الكثيرة، مع كلّ طائر منها ثلاثة أحجار؛ حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها، حتى جعلهم الله كعصف مأكول، فنجا أبو يكسوم، فجعل كلمّا قدم أرضًا تساقط بعض لحمه حتى أتى قومه فأخبرهم الخبر، ثم هلك"[٣].

عن ابن جريج:" {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الفِيلِ}، قال: أبو يكسوم جبّار مِن الجبابرة، جاء بالفيل يسوقه معه الجيش؛ ليهدم -زعم- بيت الله من أجل بيعةٍ كانت هُدمتْ باليمن، فلما دنا الفيل مِن الحَرم ضرب بجِرانه، فإذا أرادوا به الرّجعة أسرع الهرولة"[٤].

واختلف في مولده -عليه السلام- من عام الفيل، على أربعة أقوال :

أحدها: أن مولده-عليه السلام- بعد عشر سنوات من عام الفيل.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبْزى، قال: "كان بين الفيل وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين"[٥].

الثاني: أن مولده-عليه السلام- بعد ثلاث وعشرين سنة منه.

عن عبيد بن عمير:" كان قبل مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بثلاث وعشرين سنة"[٦].

الثالث : أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل، قاله مقاتل[٧].

الرابع: أنه عام الفيل[٨]، وقد ثبت ولادة النبي-صلى الله عليه وسلم- في عام يوم الفيل عن غير واحد من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-.

عن ابن عباس، قال: "ولد النبي -صلى الله عليه وسلم-، عام الفيل"[٩].

قال ابن وهب، عن مالك: "ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل"[١٠].

عن قيس بن مخرمة[١١]، قال: " ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا مولدا واحدا"[١٢]. وفي رواية، قال: "وُلدتُ أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل"[١].

---

(١)الجِران: باطن العنق، وألقى بجِرانه: برك واستراح ومدَّ عنقه على الأرض. النهاية (جرن).

(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٦٣ -.

(٣)أخرجه الطبري: ٢٤/ ٦١٥. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥)أخرجه البيهقي في الدلائل ١/ ٧٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٦.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٣/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٣٨/٦.

(٩) مسند البزاز(٤٧٦٢):ص٦٤/١١، والمعجم الكبير للطبراني(١٢٤٣٢):ص٤٧/١٢، والمستدرك(٤١٨٠):ص٦٥٨/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

(١٠) أحكام القرآن: ٤٤٩/٤.

(١١)قال السندي: قيس بن مخرمة: قرشي مطلبي، أبو محمد، ويقال: أبو السائب، قيل: حجازي، له صحبة، ذكر أنه كان في المؤلفة، وكان ممن حسن إسلامه.

(١٢) المسند(١٧٨٩١):ص٤٢٢/٢٩. حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف من أجل المطلب بن عبد الله، فلم يرو عنه غير ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقد توبع.

عن أبي الحويرث، قال: "سمعت عبد الملك بن مروان، يقول لقباث بن أشيم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقال: «رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وتنبأ على رأس أربعين من الفيل»[٢].

عن محمد بن جُبَير بن مُطعم، قال: وُلِد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل، وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة، وبُني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وتنبّأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رأس أربعين من الفيل"[٣].

عن يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخْنَس، قال: "إنّ أول ما رؤيت الحصبة والجُدَرِيّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مُرار الشجر: الحرمل والحنظل والعُشر ذلك العام"[٤].

قال الماوردي: " وآية الرسول من قصة الفيل: أنه كان في زمانه حملا في بطن أمه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشرة من ملك هرمز بن أنو شروان، قال: وحكى أبو جعفر الطبري[٥] أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان "[٦].

وقد قيل: "إنه عليه السلام حملت به أمه آمنة في يوم عاشوراء من المحرم، وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[٧]، فكانت مدة حمله ثمانية أشهر كملا ويومين من التاسع. وقيل: إنه ولد يوم عاشوراء من شهر المحرم، حكاه ابن شاهين أبو حفص، في «فضائل يوم عاشوراء» له"[٨].

واختلف في سبب الفيل، على قولين:

أحدهما : ما حكاه الكلبي[٩]، ومقاتل[١٠] -يزيد أحدهما وينقص-: أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً ، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحقافها ، قال

---

وهو في "سيرة ابن هشام" ١٦٧/١.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٤٥/٧، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٢٩٦/١، والترمذي (٣٦١٩) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" ٤٧٨/١، والطحاوي في "شرح المشكل" (٥٩٦٨) و (٥٩٦٩) ، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣٤٩/٢، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٧٢) و (٨٧٣) ، والحاكم ٦٠٣/٢، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (٨٥) ، والبيهقي في "الدلائل" ٧٦/١ و٧٧ من طرق عن ابن إسحاق، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" ١٠١/١ عن حكيم بن محمد- وهو ابن قيس بن مخرمة-، عن أبيه، عن قيس بن مخرمة. وإسناده حسن، حكيم بن محمد صدوق حسن الحديث، وأبوه ثقة من رجال مسلم.

وقد ثبتت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل عن غير واحد من الصحابة وغيرهم، انظر ابن سعد ١٠٠/١ -١٠١، والبيهقي ١ /٧٥ – ٧٩.

(١)أخرجه ابن إسحاق (٢٩)، وأبو نعيم في الدلائل (٨٥)، والبيهقي ١/ ٧٦ - ٧٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني(٧٥):ص٣٧/١٩. وأخرجه البيهقي في "في دلائل النبوة": ١٣١/٢: بلفظ " رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أكبر مني وأنا أسن منه، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا أعقله وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على رأس أربعين من الفيل".

(٣)أخرجه البيهقي ١/ ٧٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.

(٥) انظر: تاريخ الطبري: ١٥٤/٢.

(٦) أعلام النبوة: ٢٠٧.

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخه: ٦٦/٣، عن عبدالله بن عمرو-رضي الله عنهما-.

(٨) تفسير القرطبي: ١٩٤/٢٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦-٣٤١.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٧/٤ وما بعدها.

قال مقاتل:" وذلك أنه كان بعث أبا يكسوم بن أبرهة اليماني الحبشي وهو ابنه، في جيش كثيف إلى مكة ومعهم الفيل ليخرب البيت الحرام، ويجعل الفيل مكان البيت بمكة، ليعظم ويعبد كتعظيم الكعبة، وأمره أن يقتل من حال بينه وبين ذلك، فسار أبو يكسوم بمن معه حتى نزل بالمعمس وهو واد دون الحرم بشيء يسير، فلما أرادوا أن يسوقوا الفيل إلى مكة لم يدخل الفيل الحرم، وبرك، فأمر أبو يكسوم أن يسقوه الخمر، فسقوه الخمر ويردونه في سياقه، فلما أرادوا أن يسوقوه برك الثانية، ولم يقم، وكلما خلوا سبيله ولى راجعا إلى الوجه الذي جاء منه يهرول، ففزعوا من ذلك وانصرفوا عامهم ذلك، فلما أن كان بعده بسنة أو بسنتين خرج قوم من قريش في تجارة إلى أرض النجاشي، حتى دنوا من ساحل البحر في سند حقف من أحقافها ببيعة النصارى وتسميها قريش الهيكل، ويسميها النجاشي وأهله أرضة ما سر حسان، فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا، وشووا لحما، فلما أرادوا أن يرتحلوا تركوا النار، كما هي في يوم عاصف، فعجبت الريح «واضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ إلى النجاشي وجاءه الخبر فأسف عند ذلك غضبا للبيعة وسمعت بذلك ملوك العرب الذين هم بحضرته، فأتوا النجاشي منهم حجر بن شرحبيل، وأبو يكسوم الكنديان، وأبرهة بن الصباح الكندي، فقالوا: أيها الملك، لا تكاد ولا تغلب نحن مؤازرون لك على كعبة قريش التي بمكة، فإنها فخرهم ومعتزهم على من بحضرتهم من العرب فننسف بناءها. ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، وتمنح حفائرها من شئت من سوامك، ونحن لك على ذلك مؤازرون فاعزم إذا شئت أو أحببت، أيها الملك. فأرسل الملك الأسود بن مقصود، فأمر عند ذلك بجنوده من مزارعي الأرض، فأخرج كتائبه جماهير معهم الفيل، واسمه محمود، فسار بهم وبمن معه من ملوك العرب تلقاء مكة في جحافل تضيق عليهم الطرق، فلما ساروا مروا بخيل لعبد المطلب، جد النبي- صلى الله عليه وسلم-، مسومة وإبل، فاستاقها، فركب الراعي فرسا له أعوجيا كان يعده لعبد المطلب فأمعن في السير حتى دخل مكة، فصعد إلى الصفا فوقى عليه، ثم نادى بصوت رفيع: يا صباحاه، يا صباحاه أتتكم السودان معها فيلها، يريدون أن يهدموا كعبتكم، ويدعوا عزكم، ويبيحوا دماءكم، وينتهبوا أموالكم، ويستأصلوا بيضتكم، فالنجاء النجاء. ثم قصد إلى عبد المطلب، فأخبره بالأمر كله، فركب عبد المطلب فرسه، ثم أمعن جادا في السير حتى هجم على عسكر القوم، فاستفتح له أبرهة بن الصباح، وحجر بن شراحيل، وكانا خلين فقالا: لعبد المطلب ارجع إلى قومك، فأخبرهم وأنذرهم أن هذا قد جاءكم حميا آتيا، فقال عبد المطلب: واللات، والعزى، لا أرجع حتى أرجع معي بخيلي، ولقاحي، فلما عرفا أنه غير راجع ونازع عن قوله قصدا به إلى النجاشي، فقالا: كهيئة المستهزئين يستهزئان به: أيها الملك، اردد عليه إبله وخيله فإنما هو وقومه لك بالغداة، فأمر بردها. فقال عبد المطلب للنجاشي: هل لك إلى أن أعطيك أهلي ومالي، وأهل قومي، وأموالهم، ولقاحهم على أن تنصرف عن كعبة الله؟ قال: لا. فسار عبد المطلب بإبله وخيله حتى أحرزها، ونزل النجاشي ذا المجاز، موضع سوق الجاهلية، ومعه من العدد والعدة كثير، واذعرت قريش وأعروا مكة فلحقوا بجبل حراء وثبير وما بينها من الجبال، وقال عبد المطلب لقريش: واللات، والعزى، لا أبرح البيت حتى يقضي الله قضاءه، فقد نبأني أجدادي أن للكعبة ربا يمنعها، ولن تغلب النصرانية، وهذه الجنود جنود الله، وبمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي جد المختار، وكان مكفوف البصر، يقيظ بالطائف، ويشتو بمكة، وكان، وكان رجلا نبيلا، تستقيم الأمور برأيه، وهو أول فاتق، وأول راتق، وكان خلا لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: يا أبا مسعود، ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى عن رأيك، قال له أبو مسعود: اصعد بنا الجبل حتى نتمكن فيه، فصعدا الجبل فتمكنا فيه، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى ما ترى من إبلك فاجعلها حرما لله، وقلدها نعالا، ثم أرسلها في حرم الله، فلعل بعض هؤلاء السودان أن يعقروها، فيغضب رب هذا البيت، فيأخذهم عند غضبه. ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها، فقال عبد المطلب عند ذلك- وهو يبكي-:

يا رب إن العبد يمنع رح ... له فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحا ... لهم عدوا محالك
فإن كنت تاركهم وكع ... بتنا فأمر ما بدا لك

«فلم أسمع بأرجس من رجال ... أرادوا، العز فانتهكوا حرامك

ثم دعا عليهم فقال:

اللهم أخز الأسود بن مقصود ... الآخذ الهجمة بعد التقليد
قبلها إلى طماطم سود ... بين ثبير فالبيد.
والمروتين والمشاعر السود ... ويهدم البيت الحرام المصمود
قد أجمعوا ألا يكون لك عمود ... اخفرهم ربى فأنت محمود

فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربا يمنعه منعة عظيمة ونحن له فلا ندري ما منعه، فقد نزل تبع ملك انيمن بصحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه الله عن ذلك، وابتلاه وأظلم عليهم ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساء الثياب البيض من الشطرين وعظمه، ونحر له جزرا، ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب: انظر نحو البحر ما ترى؟ فقال: أرى طيرا بيضا قد انساب مع شاطى البحر. فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أزرت على رءوسنا. فقال: هل تعرفها؟ قال: لا، والله، ما أعرفها ما هي بنجدية، ولا تهامية، ولا غربية، ولا شرقية، ولا

الكلبي تسمى : البيعة ما سرجيان ، وقال مقاتل : تسمى: الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطرمت البيعة ناراً فاحترقت ، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره ، فاستشاط غضباً ، وأتاه أبرهة بن الصبّاح وحجر بن شراحبيل وأبو يكسوم الكِنْديون ، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة ، وكان النجاشي هو الملك ، وأبرهة صاحب الجيش ، وأبو يكسوم نديم الملك وقيل وزيره ، وحجر بن شراحبيل من قواده[1].

القول الثاني : ماحكاه ابن إسحاق[2] : "أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانيا، فسماها القليس; لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض; وكتب إلى النجاشيّ ملك الحبشة: إني قد بنيت

---

يمانية، ولا شامية، وإنها تطير بأرضنا غير مؤنسة. قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب في مناقيرها الحصى كأنها حصى الخذف قد أقلبت، وهي طيرا أبابيل يتبع بعضها بعضا أمام كل «رفقة «٣» » منها طائر يقودها أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق، حتى إذا جازت بعسكر القوم ركدن فوق رءوسهم فلما توافتها الرعال كلها، هالت الطير ما في مناقيرها من الحجارة على من تحتها، يقال إنه كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها عادت راجعة من حيث جاءت. فقال أبو مسعود: لأمر ما هو كائن، فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل إلى الأرض فمشيا ربوة أو ربوتين فلم يؤنسا أحدا، ثم دنوا فمشيا ربوة أو ربوتين أيضا، فلم يسمعا همسا. فقالا: عند ذلك بات القوم سامدين فأصبحوا نياما لا يسمع لهم ركزا، وكانا قبل ذلك يسمعان صياحهم، وجلبة في أسواقهم، فلما دنيا من عسكرهم، فإذا هم خامدون، يقع الحجر في بيضة الرجل فيخرقها حتى يقع في دماغه، ويخرق الفيل والدابة حتى يغيب في الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فئوسهم فخفر حتى عمق في الأرض وملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد، وحفر أيضا لصاحبه فملأه من الذهب والجوهر، ثم قال لأبي مسعود: هات خاتمك، واختر أيهما شئت، خذ إن شئت حفرتي، وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك، فقال أبو مسعود: اختر لي. فقال عبد المطلب: إنى لم أعل أجود المتاع فى حفرتي وهي لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة صاحبه، ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا فأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعا، وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطوه المقادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود وأهلوهما في غنى من ذلك المال. ودفع الله- عز وجل- عن كعبته وقبلته وسلط عليهم جنودا لا قبل لهم بها، وكان لهم بالمرصاد والأخذة الرابية، وأنزل فيهم «ألم تر» يعني يخبر نبيه- صلى الله عليه وسلم- «كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» يعني الأسود بن مقصود، ومن معه من الجيش وملوك العرب، ثم أخبر عنهم فقال: {ألم يجعل كيدهم في تضليل} الذي أرادوا، من خراب الكعبة واستباحة أهلها، {في تضليل}، يعني: خسار {وأرسل عليهم طيرا أبابيل}، يعني: متتابعة كلها تترى بعضها على إثر بعض، {ترميهم بحجارة من سجيل}، يعني: بحجارة خلطها الطين، {فجعلهم كعصف مأكول}، فشبههم بورق الزرع المأكول يعني: البالي، وكان أصحاب الفيل قبل مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- بأربعين سنة، وهلكوا عند أدنى الحرم، ولم يدخلوه قط.

قال عكرمة بن خالد:

حبست رب الجيش والأفيال ... وقد رعوا بمكة الأجبال
قد خشينا منهم القتال ... كل كريم ما جد بطال
يمشي يجر المجد والأذيال ... ولا يبالي حيلة المحتال
تركتهم ربي بشر حال ... وقد لقوا أمرا له فعال

وقال صفوان بن أمية المخزومي:

يا واهب الحي الحلال الأحمس ... وما لهم من طارف ومنفس
أنت العزيز ربنا لا تدنس ... أنت حبست الفيل بالمعمس
حبست فإنه هكروس .

وقال ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات ... لا يماري بهن إلا الكفور
حابس الفيل بالمعمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور
وأسقى حلقه الحراب كما ... قطر من ضحر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة فتيا ... ن ملاويث في الهياج صقور
حالفوه ثم انذعروا عنه ... عظمه خلف ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الل ... هـ إلا دين الحنيفة بور

"[تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٧/٤-٨٥٥]

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦-٣٤١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤، وعزاه في النكت والعيون: ٣٣٩/٦ إلى ابن عباس-رضي الله عنهما، وحكي السمعاني نحوه وقال:. هذا أصح ما حكى في سببه".[تفسير السمعاني: ٢٨٣/٦]

لك أيها الملك كنيسة، لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بمُنتهٍ حتى أصرف إليها حاجّ العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي، غضب رجل من النَّسأة أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذي تحجّ العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب، فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل; فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَاعي بن حِزَابة الدَّكواني، ثم السُّلمي، في نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي; فبينما هم عنده، غَشِيهم عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصَى; فلما أتى القوم بغذائه، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعي، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك، إن هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجنُوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم، فإنما أكرمتكم بغذائي، لمنزلتكم عندي.

---

وأخرج ابن أبي حاتم(١٩٤٨١):ص١٠/٣٤٦٤-٣٤٦٥ عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس، نحوه:

قال عثمان بن المغيرة بن الأخنس: "كان من حديث أصحاب الفيل أن أبرهة الأشرم الحبشي كان ملك اليمن، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجا، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة بنجران، فغدا عليها ناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحلي، وأخذوا متاع أكسوم، فانصرف إلى جده مغضبا فبعث رجلا من أصحابه يقال له شهر بن، معقود على عشرين ألفا من خولان والأشعريين، فساروا حتى نزلوا بأرض، خثعم، فتنحت خثعم عن طريقهم، فلما دنا من الطائف خرج إليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف، فقالوا: ما حاجتك إلى طائفنا وإنما هي قرية صغيرة ولكنا ندلك على بيت بمكة يعبد وحرز من لجأ إليه من مكة ثم له ملك العرب فعليك به ودعنا منك، فأتاه حتى إذا بلغ المغمس وجد إبلا لعبد المطلب، مائة ناقة مقلدة، فانهبها بين أصحابه، فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه، وكان جميلا وكان له صديق من أهل اليمن يقال له ذو عمرو، فسأله أن يرد عليه ابله فقال: إني لا أطيق ذلك، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك، فقال عبد المطلب افعل فأدخله عليه، فقال له: إن لي إليك حاجة، قال قضيت كل حاجة تطلبها، قال أنا في بلد حرم، وفي سبيل بين أرض العرب وأرض العجم، وكانت مائة ناقة لي مقلدة ترعى بهذا الوادي بين مكة وتهامة عليها عبر أهلها. وتخرج إلى تجارتها وتتحمل من عدونا، عدا عليها جيشك فأخذوها، وليس مثلك يظلم من جاوره فالتفت إلى ذي عمرو، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجبا، فقال: لو سألني كل شيء أجوزه أعطيته إياه أما إبله فقد رددنا إليك ومثلها معها، فما يمنعك أن تكلمني في بنيتكم هذه، وبلدكم هذه، فقال له عبد المطلب أما بنيتنا هذه وبلدنا هذه، فإن لهما ربا إن شاء أن يمنعهما، ولكني إنما أكلمك في مالي، فأمر عند ذلك بالرحيل وقال: لتهدمن الكعبة ولتنهين مكة فانصرف عبد المطلب وهو يقول:

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك ... لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
فإذا فعلت فربما تحمي فأمر ما بدا لك ... فإذا فعلت فإنه أمر تتم به فعالك
وغدوا غدا يجمعونهم والفيل كي يسبوا عيالك ... فإذا تركتهم وكعبتا فوا حربا هنالك

فلما توجه شهر وأصحاب الفيل، وقد أجمعوا ما أجمعوا، طفق كلما وجهوه أناخ وبرك، فإذا صرفوه عنها من حيث أتى أسرع السير، فلم يزل كذلك حتى غشيهم الليل وخرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم، كأنها البلس شبيهة بالوطواط حمر وسود، فلما رأوها أشفقوا منها وسقط في أيديهم، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق، تقع على جبالهم فلم يروا- حدا غشيهم، فبعث ابنه على فرس سريع ينظر ما لقوا فإذا هم مشدخين جميعا، فرجع يرفع رأسه كاشفا فخذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا، فلما دنا من ناديهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعا، فخر عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم.

وقال عبد الطلب شعرا في المعنى:

أنت منعت الجيش والأفيالا ... وقد رعوا بمكة الأفيالا
وقد خشينا منهم القتالا ... وكل أمر منهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذي الإجلالا

فانصرف شهر هاربا وحده فأول منزل نزله سقطت يده اليمنى، ثم نزل منزلا آخر فسقطت رجله اليمنى، فأتى منزله وهو جسد لا أعضاء له، فأخبرهم الخبر ثم فاضت نفسه وهم ينظرون".

ثم إن ابرهة توج محمد بن خُزَاعِي، وأمَّره على مضر، وأمره أن يسير في الناس، يدعوهم إلى حج القُلَّيس، كنيسته التي بناها، فسار محمد بن خزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة، وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، بعثوا إليه رجلا من هذيل يقال له عُرْوة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله; وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا، وحلف ليغزونّ بني كنانة، وليهدمنّ البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبْشان فتهيأت وتجهَّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُظِعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعَرَض له، وقاتله، فهزم وتفرق أصحابه، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرا; فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي; فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلا حليما.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نفيل بن حبيب الخثعميّ في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخِذ له أسيرا، فأتي به; فلما همّ بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة; فأعفاه وخلَّى سبيله، وخرج به معه، يدله على الطريق; حتى إذا مرّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال; فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرَجَمت العرب قبره، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمِّس.

ولما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها; وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُرد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، قال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة; هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخْلِ بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال; فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقا، فدل عليه، فجاءه وهو في محبسه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك غَنَاء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقا: وما غناء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأساله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب الملك له مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلّم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيِّد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذنْ له عليك، فليكلمك بحاجته، وأحسن إليه. قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما; فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي; فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلّمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، أردد إليّ إبلي.

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو يومئذ سيِّد بني كنانة، وخويلد بن واثلة الهُذَليّ وهو يومئذ سيد هُذَيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبي عليهم، والله أعلم.

وكان أبرهة، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرزّ في شعف الجبال والشعاب، تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش; ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ حلقة باب الكعبة:

يا رَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكا ... يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُم حِماكا
إنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عادَاكا ... امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِبُوا قُرَاكا

وقال أيضا:

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْ ... نَعُ رَحْلَهُ فامْنَع حِلالكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحَالُهُمْ غَدْوا مِحَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا ... أوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ
وَلَئِنْ فَعَلْتَ فإنَّهُ ... أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعَالكْ

وقال أيضا:

وكُنْتُ إذَا أتى باغٍ بِسَلْمٍ ... تُرَجِّي أن تَكُونَ لَنَا كَذلِكْ
فَوَلَّوْا لَمْ يَنالُوا غَيْرَ خِزْيٍ ... وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالكْ
وَلَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رجالٍ ... أرَادُوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ ... والْفِيلَ كَيْ يَسبُوا عِيَالكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال[1]، فتحرّزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها; فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبأ جيشه، وكان اسم الفيل محمودا، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجَّهوا الفيل، أقبل نفيل بن حبيب الخثعميّ، حتى قام إلى حنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك محمود، وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام; ثم أرسل أذنه، فبَرَك الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطبرزين[2] ليقوم، فأبى، فأدخلوا محاجن[3] لهم في مراقه[4]، فبزغوه بها ليقوم،

---

(١)وذكر مقاتل بن سليمان:" أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مُقَلَّدة، لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق، فينتقم الله منه" [نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨٥/٨].

(٢)الطبرزين: آلة معقفة من حَدِيد، وطبر بالْفَارسِيَّةِ: مَعْنَاهَا الفأس.

(٣)المحاجن: جمع محجن، وَهِي عَصا معوجة، وَقد يَجْعَل فِي طرفها حَدِيد.

(٤)مراقة: يعْنى أسْفَل بَطْنه.

فأبى، فوجَّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته[١]:

أيْنَ المَفَرُّ والإلَهُ الطَّالِبْ ... والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثُّ قيحا ودما، حتى قَدِموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون"[٢].

وذكر مقاتل بن سليمان : "أن قريشًا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة"[٣].

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام"[٤].

قال ابن إسحاق : "فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان فيما يَعُد به على قريش من نعْمتَه عليهم وفضله، ما رَدَّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [سورة قريش]، أي : لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه"[٥].

روي عن ابن عباس، {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ} قال: "أقبل أصحاب الفيل يريدون مكة، ورأسهم أبو يكسوم الحبشي، حتى أتوا المُغَمِّس أتتهم طير؛ في منقار كلّ طير حجر، وفي رجليه حجران، فرمتهم بها، فذلك قوله: {وأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أبابِيلَ} يقول: يتبع بعضها بعضًا، {تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِن سِجِّيلٍ} يقول: مِن طين. قال: وكانت من جَزْع ظفار، مثل بعْر الغنم، فرمتهم بها، {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكُولٍ} وهو ورق الزرع البالي المأكول. يقول: خرقتهم الحجارة كما يُخرق ورق الزرع البالي المأكول. قال: وكان إقبال هؤلاء إلى مكة قبل أن يُولَد النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بثلاث وعشرين سنة"[٦].

**القرآن**

---

(١)انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٥٣/١.

قال ابن إسحاق : وقال نُفَيل في ذلك أيضًا :

أَلَا حُيِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا

أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً ... فَلَمْ يُقْدَرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ- وَلَا تَرَيْهِ ... لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا

إِذا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا

حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا

وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤-٦١٤.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٨.

(٤) سيرة النبوية لابن هشام: ٥٢/٢-٥٤.

(٥)السيرة النبوية لابن هشام : ٥٤/١-٥٥.

(٦)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

**{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)} [الفيل : ٢]**

التفسير:

ألم يجعل ما دبَّروه من شر في إبطال وتضييع؟

قال الطبري:" يقول: ألم يجعل سعي الحبشة أصحاب الفيل في تخريب الكعبة، في تضليلهم عما أرادوا وحاولوا من تخريبها"[١].

قال النحاس:" أي: في تضليل عما أرادوه"[٢].

قال مقاتل:" الذي أرادوا، من خراب الكعبة واستباحة أهلها، {فِي تَضْلِيلٍ}، يعني: خسار"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" أي: في ذهاب"[٤].

قال القشيري:" أي: مكرهم في إبطال"[٥].

قال السمعاني:" أي: أبطل مكرهم وسعيهم"[٦].

قال الثعلبي:أي:" عما أرادوا من تخريب الكعبة، وقيل: في بطلان وأباطيل"[٧].

قال البغوي:" وأضل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم"[٨].

قال الماوردي:" لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي ، وكيد البيت بالتخريب والهدم، يحكى عن عبد المطلب: -بعد ما حكيناه عنه- أنه أخذ بحلقة الباب وقال :

يا رب لا نرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا قراكا

ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس له سريع ، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشدخون ، فرجع يركض كاشفاً عن فخده ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيراً أو نذيراً . فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم قالوا : ما وراءك ؟ قال : هلكوا جميعاً ، فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم ، فكانت أموال بني عبد المطلب ، وبها كانت رياسة عبد المطلب لأنه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ، ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا ، فقال عبد المطلب[٩]:

أنتَ مَنعْتَ الحُبْشَ والأفْيالا ... وقد رَعَوا بمكة الأجيالا

وقد خَشِينا منهم القتالا ... وكُلَّ أمرٍ لهمن مِعضالا

وشكراً وحْمداً لك ذا الجلالا [١٠].

**القرآن**

**{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)} [الفيل : ٣-٤]**

التفسير:

وبعث عليهم طيرًا في جماعات متتابعة، تقذفهم بحجارة من طين متحجِّر.

قوله تعالى:{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} [الفيل : ٣]، أي:" وبعث عليهم طيرًا في جماعات متتابعة"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٤.
(٢) إعراب القرآن: ١٨٣/٥.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٣/٤.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٣/٥.
(٥) لطائف الإشارات: ٧٩٦/٣.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٨٥/٦.
(٧) الكشف والبيان: ٢٩٧/١٠.
(٨) تفسير البغوي: ٥٤٠/٨.
(٩) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم(٨٦):ص ١٤٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٤١/٦-٣٤٢.
(١١) التفسير الميسر: ٦٠١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسل عليهم ربك طيرا متفرقة، يتبع بعضها بعضا من نواح شتي; وهي جماع لا واحد لها، مثل الشماطيط والعباديد ونحو ذلك"[١].

قال عطاء بن أبي رباح : "جاءت الطير عشية فباتت ، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم"[٢].

وقال عطية العوفي : "سألت عنها أبا سعيد الخدري : فقال : حمام مكة منها"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} [الفيل : ٣]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها من طير السماء ، قاله سعيد بن جبير : لم ير قبلها ولا بعدها مثلها.

ويروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : «إنها طير بين السماء والأرض تعشعش وتفرخ»[٤].

الثاني : أنها العنقاء المغرب[٥] التي تضرب بها الأمثال ، قاله عكرمة[٦]، ومجاهد[٧].

عن عكرمة، ومجاهد:" {طَيْرًا أبابيلَ}، قالا: عنقاء المُغْرب"[٨].

الثالث : أنها من طير الأرض، أرسلها الله تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجليه، وحجر في منقاره، قاله الكلبي[٩]، وكانت سوداً ، خضر المناقير طوال الأعناق. وقيل : بل كانت أشباه الوطاويط[١٠].

وقالت عائشة : "كن أشباه الخطاطيف"[١١].

وقال ابن عباس:" طير لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب"[١٢].

وقال عبيد بن عمير:" طيراً أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند"[١٣].

وعن عبيد بن عمير الليثي، قال: "لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث الله عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطا طيف، بكف كل طير منها ثلاثة أحجار مجزئة، في منقاره حجر وحجران في رجليه، ثم جاءت حتى صفت علي رؤسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، إن وقع على رأسه خرج من دبره، وإن وقع على شيء من بدنه خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحا شديدا فضربت أرجلها فزادها شده فأهلكوا جميعا"[١٤].

واختلف في معنى: «أبابيل»، على أقوال :

أحدها : أنها الكثيرة ، قاله الحسن[١٥]، وقتادة[١٦]، وطاووس[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٤.

(٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤١/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٩١/٢٠.

(٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤١/٦،وانظر: الكشاف: ١٩١/٢٠، وتفسير القرطبي: ١٩١/٢٠.

(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤٢/٦، وتفسير القرطبي: ١٩٦/٢٠، وجوبير ضعيف جدا، كما ذكر الحافظ في "التقريب".

(٥) عنقاء المغرب: طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، لم يره أحد، النهاية«عنق».

(٦) انظر: تفسير مجاهد:٧٥٠، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وانظر: والنكت والعيون: ٣٤٢/٦، وتفسير القرطبي:١٩٧/٢٠.

(٧)تفسير مجاهد ص ٧٤٩، وأخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٨)تفسير مجاهد ص ٧٤٩، وأخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٦. وحكاه الطبري:٦١٤/٢٤، عن ابن إسحاق.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٦.

(١١) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤٢/٦.

(١٢) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي": ٦٥، والطبري في "التفسير": ٦٠٧/٢٤.

(١٣) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي": ٦٥.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٣):ص٣٤٦٦/١٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٦، وزاد المسير: ٤٩٢/٤.

قال قتادة:" الأبابيل: الكثيرة"[١].

الثاني : المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً ، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والضحاك[٤]،وعبيد بن عمير[٥].

قال ابن عباس:" يتبع بعضُها بعضا"[٦].

قال ابن عباس:" هي التي يتبع بعضها بعضا"[٧].

قال الضحاك:" متتابعة. بعضها على أثر بعض"[٨].

وقال مجاهد:" هي شتى متتابعة مجتمعة"[٩].

عن عُبيد بن عُمير -من طريق عبد الرحمن بن سابط- في قوله: "{طَيْرًا أَبابِيلَ}، قال: هي طير خرجتْ من قِبل البحر، كأنها رجال الهند؛ معها حجارة أمثال الإبل البوارك، وأصغرها مثل رؤوس الرجال، لا تريد أحدًا منهم إلا أصابته، ولا أصابته إلا أهلكته، والأبابيل: المتتابعة"[١٠].

الثالث : أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا ، قاله ابن مسعود[١١]، وأبو صالح[١٢]، وسعيد بن عبدالرحمن بن أبزى[١٣]، وابن زيد[١٤]، ومقاتل[١٥]، وأبو عبيدة[١٦]، والأخفش[١٧]، وابن قتيبة[١٨]، ومنه قول الشاعر [١٩]:

إن سلولاً عداك الموت عارفة ... لولا سلول مشينا أبابيلا

أي: متفرقين.

ومنه قول الآخر[٢٠]:

وأبابيل من خيول عليها ... كأسود الأداء تحت العوالي .

قال ابن زيد:" الأبابيل: المختلفة، تأتي من ها هنا، وتأتي من ها هنا، أتتهم من كلّ مكان"[٢١].

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: متفرّقة"[٢٢]. وفي رواية:" أقاطيع كالإبل المؤبّلة"[٢٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٥)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ -.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(١٠)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ -.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٤.
(١٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٣/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٣/٤.
(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٣١٢/٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٦، وزاد المسير: ٤٩٢/٤.
(١٨) انظر: غريب القرآن: ٥٣٩.
(١٩) بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(٢٠) بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(٢١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٢٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٧.

قال إسحاق بن عبد الله بن الحارث : "هي الأقاطيع، كالإبل المؤَبَّلة"[١].
وروي عن ابن سابط، وأبي سلمة، قال:" الأبابيل: الزُّمَر"[٢].
عن أبي صالح: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: جمعا بعد جمع"[٣].
قال مقاتل:" يعني: متتابعة كلها تترى بعضها على إثر بعض[٤].
قال أبو عبيدة:" جماعات في تفرقة، جاءت الطير أبابيل من هاهنا وهاهنا"[٥].
قال ابن قتيبة:" {أَبَابِيلَ} جماعاتٍ متفرِّقة"[٦].
عن ابن مسعود: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: فرق"[٧]. وفي لفظ:" هي الفرق"[٨].
قال النحاس:" من أحسن ما روي فيه عن المتقدمين ما حدّثناه علي بن الحسين عن الحسن بن محمد قال: حدثنا عفّان قال: حدّثنا حماد عن عاصم عن زرّ عن عبد الله: "{طَيْراً أبابيلَ}، قال: فرقا"[٩].
قال النحاس:" ومعروف في كلام العرب: جاءوا أبابيل، أي: جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة. مشتق من: أبل عليه، إذا كثر وجمع. ومنه سمّيت: «الإبل» لعظم خلقها، وقد قيل: إنّ معنى: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: ١٧]، أنها: السحاب لعظمها، وإن كان القتبي ردّ هذا التفسير بغير حجّة تثبت"[١٠].
واختلفوا في ألوانِها، على ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة[١١]، وسعيد بن جبير[١٢].
قال سعيد بن جبير:" طير خُضْر، لها مناقير صُفْر، تختلف عليهم"[١٣].
أخرج الطبري بسنده عن عكرمة، قال:" كانت طيرا خرجت خضرا، خرجت من البحر، لها رءوس كرءوس السباع"[١٤].
وفي رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال:" طيور خضر جاءت من قبل البحر كان وجوهها وجوه السباع، لم تر قبل ذلك ولا بعده، فاثرت جلودهم مثل الجدري، فإنه أول ما رؤي الجدري"[١٥].
الثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير[١٦].
قال عبيد بن عمير:" هي طير سود بحرية، في مناقرها وأظفارها الحجارة"[١٧]. وفي لفظ:" سود بحرية، في أظافيرها ومناقيرها الحجارة"[١٨].
الثالث: بيضاء، قاله قتادة[١٩]، وعكرمة[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٣) رواه النحاس في إعراب القرآن: ١٨٣/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٣/٤.
(٥) مجاز القرآن: ٣١٢/٢.
(٦) غريب القرآن: ٥٣٩.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٢):ص٣٤٦٦/١٠.
(٩) إعراب القرآن: ١٨٣/٥.
(١٠)إعراب القرآن: ١٨٣/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩١/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.
(١٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩١/٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.

قال قتادة:" هي طير بيض، خرجت من قِبَل البحر، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، ولا يصيب شيئا إلا هشَمه"[٢].

قال قتادة:" كانت مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها"[٣].

عن عمرو بن الحارث بن يعقوب:" أن أباه أخبره أنه بلغه، أن الطير التي رمت بالحجارة، كأنت تحملها بأفواهها، ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد"[٤].

واختلف النحويون هل للأبابيل واحد من جنسه، على قولين:

أحدهما: لا واحد لها، مثل: الشماطيط[٥]، والعباديد[٦]، والشعارير[٧]، كل هذا لا يفرد له واحد، وهذا مذهب أبي عبيدة[٨]، والفراء[٩]، وثعلب[١٠].

قال أبو عبيدة:" ولم نر أحدا يجعل لها واحدا"[١١].

الثاني : أنّ له واحد من لفظه، واختلفوا في فيه:

فذهب أبو جعفر الرؤاسي[١٢]، إلى أن واحدها" «إبّالة» مشددة، وقال الكسائي[١٣]: واحدها: «إبول»، وقال ابن كيسان[١٤] واحدة« إبيّل».

قال الفراء:" وزعم لي الرؤاسي وكان ثقة مأمونا: أنه سمع واحدها: «إبالة» لا ياء فيها، ولقد سمعت من العرب من يقول: «ضغاث على إبالة»[١٥]، يريدون: خصب على خصب. وأما «الإيبالة»: فهي الفضلة تكون على حمل الحمار أو البعير من العلف، وهو مثل الخصب على الخصب، وحمل فوق حمل، فلو قال قائل: واحد الأبابيل إيبالة كان صوابا[١٦]، كما قالوا: دينار دنانير. وقد قال بعض النحويين، وهو الكسائي: كنت أسمع النحويين يقولون: أبوك مثل العجول[١٧] والعجاجيل"[١٨].

قال النحاس:" وأصح ما قيل في واحد «الأبابيل» ما قاله محمد بن يزيد، قال: واحدها «ابّيل»، كسكّين وسكاكين"[١٩].

قوله تعالى:{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} [الفيل : ٤]، أي:" تقذفهم بحجارة من طين متحجِّر"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٥)الشماطيط: القطع المتفرقة، يقال: جاءت الخيل شماطيط، أي: متفرقة إرسالا، وذهب القوم شماطيط وشماليل إذا تفرقوا.. وواحد الشماطيط: شمطاط وشمطوط.

(٦) . العباديد، والعبابيد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، ولا يقع إلا في جماعة، ولا يقال للواحد: عبدن.

(٧)الشعارير: لعبة للصبيان لا يفرد، يقال: لعبنا الشعارير، وهذا لعب الشعارير.

(٨) انظر: مجاز القرآن: ٣١٢/٢.

(٩) انظر: انظر: معاني القرآن: ٢٩٢/٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٦.

(١١) مجاز القرآن: ٣١٢/٢.

(١٢) عزاه إليه الفراء في "معاني القرآن": ٢٩٢/٣.

(١٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٢/٣.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٦، وإعراب القرآن للنحاس: ١٨٣/٥.

(١٥)الإبالة: الحزمة من الحطب، والضغث: قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس. وهو مثل معناه: بلية على أخرى. (مجمع الأمثال) : ٢: ٢٨٣.

(١٦)عبارة القرطبي ٢٠/ ١٩٨ نقلا عن الفراء: ولو قال قائل: إيبال كان صوابا مثل: دينار ودنانير.

(١٧)العجول، كسنور: ولد البقرة.

(١٨) معاني القرآن: ٢٩٢/٣.

(١٩)إعراب القرآن: ١٨٣/٥.

(٢٠) التفسير الميسر: ٦٠١.

وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: «يرميهم»، أي: الله تعالى، أو الطير[١].

وفي معنى: «السجيل»، أقوال:

أحدها : أن «السجيل»: كلمة فارسية، وهي: «سنك وكيل[٢]»، أولها حجر ، وآخرها : طين، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، وقتادة[٦]، وعكرمة[٧]، وجابر بن سابط[٨]، ووهب[٩].

قال ابن عباس:" سجِّيل بالفارسية: سنك وكل، حَجَر وطين"[١٠].

عن ابن عباس، وعكرمة: "{حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}، قال: سنك وكل"[١١].

عن جابر بن سابط، قال: "هي بالأعجمية: سنك وكل"[١٢].

عن ابن عباس: "{حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}، قال: طين في حجارة"[١٣].

قال ابن عباس، وعكرمة:" من طين"[١٤].

قال قتادة:" هي من طين"[١٥].

قال عكرمة:" كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَرِيّ، قال: كان أوّل يوم رُؤى فيه الجدريّ; قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده"[١٦].

قال سعيد بن جبير:" هي طير لها مناقير، تختلف بالحجارة، فإذا أصابتْ أحدَهم نطِف جلده، وكان ذلك أول ما رأى الناس الجُدَرِيّ"[١٧].

قال الزجاج:" في التفسير أنها من: «جل» و«حجارة». .. والذي عندي أنه إذا كان هذا التفسير صحيحا فهو فارسي أعرب، لأن الله - جل وعز - قد ذكر هذه الحجارة في قصة قوم لوط، فقال: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ} [الذاريات : ٣٣]، فقد تبين للعرب ما عني بـ سجيل، ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب، نحو: جاموس وديباج. فلا أنكر أن هذا مما أعرب"[١٨].

الثاني : فارسية ونبطية: «سج»، «إيل». قاله سعيد بن جبير[١٩].

قال الطبري:" فذهب سعيد بن جبير في ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية "جل " لا "إيل"، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان «سِجْل»، لا«سجيل»، لأن الحجر بالفارسية يدعى "سج "والطين "جل"، فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية"[٢٠].

الثالث: أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسى[١].

---

(١) .انظر: الكشاف: ٧٩٩/٤

(٢) وفي بعض الروايات: «سنك وكل». كما أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤، عن ابن عباس-رضي الله عنهما-

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٢)، (١٨٤٣٣):ص٤٣٣/١٥-٤٣٤، و٦٠٨/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٤)-(١٨٤٢٧):ص٤٣٣/١٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٨):ص٤٣٣/١٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣١):ص٤٣٣/١٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(١٧)عزاه السيوطي إلى الفريابي.

(١٨) معاني القرآن:٧٠/٣.

(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٥):ص٤٣٦/١٥.

(٢٠) تفسير الطبري:٤٣٦/١٥.

الرابع : أن «السجيل»: هو الشديد، قاله أبو عبيدة[٢]، ومنه قول ابن مقبل[٣]:
وَرَجْلَةٌ يَضْرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُض ... ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلا
إلا أن «النون» قلبت «لاماً».
الخامس : أن «السجيل»: اسم سماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها، وهي التي أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط. قاله ابن زيد[٤]، وسعيد بن أبي هلال[٥].
عن سعيد بن أبي هلال:" أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، أنها طير تخرج من البحر، وأن «سجيل»: السماء الدنيا"[٦].
عن ابن زيد:"{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}، قال: السماء الدنيا، قال: والسماء الدنيا اسمها: «سجيل»، وهي التي أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط"[٧].
قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله ابن زيد لا نعرف لصحته وجها في خبر ولا عقل، ولا لغة، وأسماء الأشياء لا تدرك إلا من لغة سائرة، أو خبر من الله تعالى ذكره"[٨].
السادس : {من سجيل} من جهنم، واسمها «سجين» فقلبت النون لاماً[٩].
السابع : أن «السجيل» من «السجل»، وهو «الكتاب»، وتقديره: من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)} [المطففين : ٧ - ٩]. حكاه الماوردي[١٠]، وبه قال الزمخشري[١١].
قال الزمخشري:" كأن «سجيل»: علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم، كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوّن، واشتقاقه من «الإسجال»، وهو: الإرسال، لأنّ العذاب موصوف بذلك"[١٢].
الثامن : أنه «فِعِّيل» من السجل، وهو: الإرسال ، يقال: أسجلته، أي: أرسلته ، ومنه سمي الدلو سجلاً لإرساله، فكان السجل هو المرسل عليهم. حكاه الطبري عن آخرين[١٣].
التاسع : أنه مأخوذ من «السجل» الذي هو «العطاء»، يقال: سجلت له سجلاً من العطاء ، فكأنه قال سُجلوا البلاء، أي: أعطوه. حكاه الطبري عن آخرين-أيضا-[١٤].
العاشر: أنه اسم بحر من الهواء ، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه. قاله عكرمة[١٥].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤]"[١٦].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٩٢/٢.
(٢) انظر: مجاز القرآن:٢٩٦/١، و٣١٢/٢.
(٣)انظر: جمهرة الأشعار: ١٦٠- ١٦٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢٩٦، و٣١٢/٢، ومنتهى الطلب: ٤٤، والمعاني الكبير: ٩٩١، واللسان (سجن) ، وغيرها.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٤):ص٤٣٤/١٥، و٦٠٩/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٩٣/٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٩٣/٢.
(١١) انظر: الكشاف: ٧٩٩/٤.
(١٢)الكشاف: ٧٩٩/٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(١٦) تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

وفي مقدار الحجر، قولان :
أحدهما : أنه حصى الخذف ، حكاه مقاتل عن عبدالمطلب[١].
الثاني : كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة، قاله أبو الكنود[٢].
عن موسى بن أبي عائشة[٣]، قال: "كانت الحجارة التي رُمُوا بها أكبر من العدسة; وأصغر من الحِمَّصَة"[٤].
عن عمران -من طريق موسى بن أبي عائشة- {طَيْرًا أَبابِيلَ}، قال:" طير كثيرة جاءت بحجارة كثيرة، أكبرها مثل الحِمَّصة، وأصغرها مثل العَدَسة"[٥].
عن حكيم بن حزام، قال: "كانت في المقدار بين الحِمّصة والعَدسة، حصى به نضْخٌ أحمر مُختّم، كالجَزْع، فلولا أنه عُذّب به قوم أخذتُ منه ما أتخذه في مسجد، أسلمتُ وهو بمكة كثير"[٦].
عن أم كُرز الخزاعية، قالت: "رأيتُ الحجارة التي رُمي بها أصحاب الفيل حمرًا مختّمة، كأنها جَزْع ظفار، فمن قال غير ذلك فلم يقل شيئًا، ولم تصبهم كلّهم، وقد أفلتْ منهم"[٧].
عن نوفل بن معاوية الديليّ، قال: "رأيتُ الحصى التي رُمي بها أصحاب الفيل، حصى مثل الحِمَّص، وأكبر من العَدَس، حُمر مختّمة؛ كأنها جَزْع ظَفار"[٨].
قال أبو صالح : "رأيت في دار أم هانىء نحو قفيز من الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع"[٩].
وقال ابن مسعود : ولما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحها فزادتها شدة ، وكانت لا تقع على أحد إلا هلك ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة ، فقال[١٠]:
فإنكِ لو رأيْتِ ولم تريهِ ... لدى جِنْبِ المغَمِّسِ ما لَقينا
خَشيتُ الله إذ قدْبَثَّ طَيْراً ... وظِلَّ سَحابةٍ مرَّتْ علينا
وباتت كلُّها تدْعو بحقٍّ ... كأنَّ لها على الحُبْشانِ دَيْنا
وفي رواية قال عبد الله بن مسعود: "{تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِن سِجِّيلٍ} صاحت الطير، ورمتهم بالحجارة، وبعث الله سبحانه ريحًا، فضربت الحجارة، فزادتها شدّة، فما وقع مِنها حجر على رجل إلّا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج مِن دُبُره"[١١].
قال القرطبي:" ويروى أنها لم تصبهم كلهم، لكنها أصابت من شاء الله منهم. وقد تقدم أن أميرهم رجع وشر ذمة لطيفة معه، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا"[١٢].
عن عثمان بن عفان، أنه سأل رجلًا من هُذيل، قال: "أخبرني عن يوم الفيل. فقال: بُعثتُ يوم الفيل طليعةً على فرسٍ لي أنثى، فرأيتُ طيرًا خرجتْ من الحَرم، في منقار كلّ طير منها حجر، وفي رجل كلّ طير منها حجر، وهاجتْ ريح وظُلمة حتى قعدتْ بي فرسي مرتين،

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٢/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٤.
"أبو الكنود الأزدي"، مختلف في اسمه، قيل"عبد الله بن عامر"، وقيل"عبد الله بن عمران"، وغير ذلك. ذكره ابن حبان في الثقات، ولم يرو له غير ابن ماجه من أصحاب الكتب الستة.
(٣)موسى بن أبي عائشة.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.
(٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٦.
(٦)عزاه السيوطي إلى أبي نعيم.
(٧)عزاه السيوطي إلى أبي نعيم.
(٨)أخرجه أبو نعيم ١/ ١٥٠.
(٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(١٠) انظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقريزي: ٧٠/٤.
(١١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٨.
(١٢) تفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

فمسَحتهم مسْحة كلْفتةٍ كذاك، وانجلت الظلمة وسكنت الريح. قال: فنظرتُ إلى القوم خامدين"[١].

عن ابن عباس:" أنّ أبْرَهَة الأشرم قدم من اليمن يريد هدْم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل -يريد: مجتمعة-، لها خراطيم، تحمل حصاة في منقارها وحصاتين في رجليها، ترسل واحدة على رأس الرجل، فيسيل لحمه ودمه، ويبقى عظامًا خاوية، لا لحم عليها ولا جلد ولا دم"[٢].

**القرآن**

**{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)} [الفيل : ٥]**

التفسير:

فجعلهم به محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

قال ابن كثير:" والمعنى : أن الله، سبحانه وتعالى، أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرًا، وأهلك عامتهم"[٣].

قال مقاتل:" هلكوا عند أدنى الحرم، ولم يدخلوه قط"[٤].

عن عائشة-رضي الله عنها-،قالت: "لقد رأيت قائد الفيل، وسائسه أعميين مقعدين، يستطعمان بمكة"[٥].

وفي معنى: «العصف»، ثلاثة أقوال :

أحدها : تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح ، قاله ابن عباس[٦]، وضحاك[٧]، وقتادة[٨].

عن قتادة: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: هو التِّبن"[٩].

قال قتادة:" عصفه تبنه"[١٠].

قال الضحاك:" العصف: التِّبن"[١١].

قال ابن عباس:" العصف: الزرع"[١٢].

قال ابن عباس:" العصف: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس"[١٣].

وقال مجاهد:" العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة"[١٤].

قال الزجاج:" {ذُو الْعَصْفِ}: ذو الورق"[١٥].

قال أبو عبيدة:" هو ورق الزرع هو العصيفة"[١٦].

قال ابن قتيبة:" {الْعَصْفِ} ورق الزرع؛ ثم يصير -إذا جَفَّ ودَرَس- تبنًا"[١].

---

(١)عزاه السيوطي إلى أبي نعيم.
(٢)عزاه السيوطي إلى أبي نعيم.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٨/٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٥٣/٤.
(٥) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي": ٦٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣، ١٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.
(١٥) معاني القرآن: ٩٧/٥.
(١٦) مجاز القرآن: ٣١٢/٢.

قال الفراء:" العصف: أطراف الزرع قبل أن يدرك ويسنبل"[٢][٣].
وقال الليث: "العصف: ما على حب الحنطة ونحوها من قشور التبن. قال: والعصف أيضا: ما على ساق الزرع من الورق الذي يبس فتفتت، كل ذلك من العصف"[٤].
الثاني : أن العصف: هو الحب من البرّ والشعير بعينه. قاله الضحاك[٥].
قال الحسن: "كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير إذا قصّب وكان يسمّى العصف"[٦].
قال سعيد بن جبير: "هو الشعير النابت الذي يؤكل ورقه"[٧]. وفي رواية:" العَصْف المأكول: ورق الحِنطة"[٨].
وعن مجاهد، قوله: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: ورق الحنطة"[٩].
الثالث : أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك-أيضا-[١٠].
عن الضحاك: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}- قال:" كزرع مأكول"[١١].
قال الضحاك:" هو الهبور –بالنبطية-، وفي رواية: المقهور"[١٢].
عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، قال: " العصف: هو الهبور "[١٣].
قال الأزهري:" الهبور: الشعير النابت بالنبطية"[١٤].
وفي معنى: «مأكول»، ثلاثة أقوال:
أحدها: أن يكون أراد به أنه أُخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه. حكاه ابن قتيبة[١٥]، وعزاه الأزهري إلى الحسن[١٦].
قال الحسن:" كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه"[١٧].
قال الأزهري:" أراد: أنه جعل أصحاب الفيل كورق أخذ ما كان فيه من الحب وبقي هو لا حب فيه"[١٨].
قال عكرمة: "كالجبل إذا أكل فصار أجوف"[١٩].

---

(١) غريب القرآن: ٤٣٧.
(٢) معاني القرآن: ٢٩١/٣.
العصف فيما ذكروا: بقل الزرع؛ لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه شيئا قبل إدراكه، فذلك العصف".
(٣)وحكي الازهري عن الفراء: أن "العصف فيما ذكروا: بقل الزرع؛ لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع إذا قطعوا منه شيئا قبل إدراكه، فذلك العصف".
عزاه إليه الأزهري في "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(٤) عزاه إليه الأزهري في "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢٣.
(٦) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.
(٧) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.
(٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤-٦١٦.
وحكي ابن كثير: ٤٨٨/٨عن سعيد بن جبير:" يعني: التبن الذي تسميه العامة : هبور".
(١٣) تفسير مجاهد: ٧٥١.
(١٤) تهذيب اللغة:ص٢٦/٢، مادة«عصف».
(١٥) انظر: غريب القرآن: ٥٣٩، ونقله بتمامه في زاد المسير: ٤٩٢/٤.
(١٦) انظر: "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(١٧) عزاه إليه الأزهري في "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(١٨) تهذيب اللغة:ص٢٦/٢، مادة«عصف».
(١٩) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.

عن ابن عباس: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: البرّ يؤكل ويُلقى عصفه الريح، والعصف: الذي يكون فوق البرّ: هو لحاء البرّ"[١].

وعن ابن عباس: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: هو الطيور عصافة الزرع"[٢].

الثاني: أن يكون أراد العصف مأكول البهائم، كما يقال للحنطة: هذا المأكول ولمَّا يؤكل. وللماء: هذا المشروب ولمَّا يشرب، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب، ذكرهما ابن قتيبة[٣].

قال الأزهري: أي:" جعلهم كعصف قد أكله البهائم"[٤].

الثالث: أن «المأكول» -هاهنا-: الذي وقع فيه الأكال. فالمعنى: جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأُكل، أي: وقع فيه الأكال، ذكره الزّجّاج[٥].

وروي عن حبيب بن أبي ثابت: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: كطعام مطعوم"[٦].

وقال ابن زيد:" ورق الزرع وورق البقل، إذا أكلته البهائم فراثته، فصار رَوْثا"[٧].

قال الزجاج:" أي: جعلهم كورق الزرع الذي جف وأكل، أي: وقع فيه الأكال. وجاء في التفسير أن الله تعالى أرسل عليهم سيلا فحملهم إلى البحر"[٨].

قال القرطبي:" أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل. شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزائه"[٩].

قال الطبري:" فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه; شبَّه تقطُّع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرّق آراب أبدانهم بها، بتفرّق أجزاء الروث، الذي حدث عن أكل الزرع"[١٠].

قال الزمخشري:" شبهوا بورق الزرع إذا أكل، أي: وقع فيه الأكال: وهو أن يأكله الدود. أو بتبن أكلته الدواب وراثته، ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن، كقوله كانا: {يَأْكُلانِ الطَّعامَ}، أو أريد: أكل حبه فبقى صفرا منه"[١١].

قال الواحدي:" فحصل في المأكول ثلاثة أقوال، أحدها: مأكول على الحقيقة، والثاني: مأكول الحب، والثالث: مأكول أنه مما يؤكل"[١٢].

واختلف فيما فعله الله بهم، فقال قوم : كان ذلك معجزة لنبيّ كان في ذلك الزمان، وقال آخرون : بل كان تمهيداً وتوطيداً لنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، لأنه ولد في عامه، وقيل في يومه[١٣].

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم. فقالوا في ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم"[١٤].

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحَّت، فقالوا : خلأت القصواء، أي : حَرَنت. فقال رسول

---

(١) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٥):ص٣٤٦٦/١٠.
(٣) انظر: غريب القرآن: ٥٣٩.
(٤) تهذيب اللغة:ص٢٦/٢، مادة«عصف».
(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٦٤/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٣٦٤/٥.
(٩) تفسير القرطبي: ١٩٩/٢٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٦١٥/٢٤.
(١١) الكشاف: ٨٠٠/٤.
(١٢) التفسير البسيط: ٣٣٢/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٤٤/٦.
(١٤) سيرة ابن هشام: ٥٧/١.

الله صلى الله عليه وسلم : "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل" ثم قال : "والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يُعَظمون فيها حُرُمات الله، إلا أجبتهم إليها". ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري[1].

---

(١) صحيح البخاري(٢٧٣١):ص١٩٣/٣.
ونص الحديث:
عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ [ص:١٩٤] المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر: فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره "، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتيه، قالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر الصديق: امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم [ص:١٩٥] نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«لقد سهل لكم من أمركم» قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اكتب باسمك اللهم» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله» - قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» - فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به»، فقال سهيل [ص:١٩٦]: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأجزه لي»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا، قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام»، قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوف به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، - قال الزهري: قال عمر -: فعملت لذلك أعمالا، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن} [الممتحنة: ١٠] حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشرك [ص:١٩٧] فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: «لقد رأى هذا ذعرا» فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل أمه مسعر حرب، لو كان له أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم، لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فأنزل الله تعالى: {وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم} [الفتح: ٢٤] حتى بلغ {الحمية حمية الجاهلية} [الفتح: ٢٦] وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت".

قال أبو عبد الله: " معرة العر: الجرب، تزيلوا: تميزوا، وحميت القوم: منعتهم حماية، وأحميت الحمى: جعلته حمى لا يدخل، وأحميت الحديد وأحميت الرجل: إذا أغضبته إحماء ".

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة : "إن الله حبس عن مكة الفيل، وسَلَّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب"[1].

فوائد السورة الكريمة:

١- تسلية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش.

٢- تذكير قريش بفعل الله عز وجل تخويفا لهم وترهيبا.

٣- مظاهر قدرة الله تعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه.

**«آخر تفسير سورة (الفيل)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١)صحيح البخاري برقم (١١٢) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «قريش»**

«سورة القريش»: هي السورة السادسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التين»، وقبل «سورة القارعة»، آياتها خمس في عد الحجاز، وأربع في عد الباقين. وكلماتها تسع عشرة. وحروفها ثلاث وسبعون. المختلف فيها آية: {مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، فواصل آياتها: «شفت»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-أسماؤها التوقيفية:**

**١-«سورة قريش»:**

سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير[٢]: «سورة قريش»، لوقوع اسم «قريش» فيها ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

قال ابن الفيروزآبادي :"سميت سورة قريش، لذكر ألفتها فيها"[٣].

**٢-سورة «لإيلاف قريش»:**

سميت هذه السورة في عهد السلف[٤]: «سورة لإيلاف قريش»، تسمية لها بأول آية وردت فيها، ولم يعدها في «الإتقان» في السور التي لها أكثر من اسم.

وبهذا الاسم عنون لها بعض المفسرين[٥]، وترجم لها البخاري في «صحيحه»[٦].

- **الثاني:- اسمها الاجتهادي: سورة «لإيلاف»:**

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير[٧]، وهي تسمية للسورة بلفظ وقع في أولها، قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١].

وهذا الاسم ليس توقيفيا من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وإنما هو من اجتهاد العلماء.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس[٨]، وحكاه ابن الجوزي والماوردي والقرطبي عن الجمهور[٩].

عن ابن عباس قال: " نزلت {لإيلاف قريش} بمكة"[١٠].

الثاني: مدنيّة، قاله الضّحّاك[١١]، وابن السّائب[١٢].

قال الماوردي:" مكية في قول الأكثرين"[١].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦١٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٣/٣، والكشف والبيان: ٢٩٩/١٠، والوسيط للواحدي: ٥٥٥/٤، وزاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير البيضاوي: ٣٤٠/٥، وتفسير ابن أبي زمنين: ١٦٥/٥، والنكت والعيون: ٣٤٥/٦، وتفسير البغوي: ٥٤٢/٨، والكشاف: ٨٠٠/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠، وغيرها.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٢٠/١٠، وتفسير ابن فورك: ٦٢٠/٣، .

(٦) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٧) انظر مثلا: تفسير السمعاني: ٢٨٦/٦.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٢].
قال ابن عاشور:" السورة مكية عند جماهير العلماء"[٣].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها: أن كلا منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم الذي جاء ليهدم بيتهم، وهو أساس مجدهم وعزهم والثانية ذكرت نعمة أخرى هى اجتماع أمرهم، والتئام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفا وشتاء في تجارتهم، وجلب الميرة لهم.، ولوثيق الصلة بين السورتين كان أبى بن كعب يعتبرهما سورة واحدة، حتى روى عنه أنه لم يفصل بينهما ببسملة[٤].

**الرد على شبهة: جعل أبيّ -رضي الله عنه- سورتي: «الفيل» و«قريش» سورة واحدة:**

لقد نبه الإمام السيوطي على ذلك بقوله: "كذا نقل عن جماعة عن مصحف أبي أنه ست عشرة سورة والصواب أنه خمس عشرة، فإن «سورة الفيل» و«سورة لإيلاف قريش» فيه سورة واحدة ، ونقل ذلك عن السخاوي ، وعن جعفر الصادق وأبي نهيك أيضا. قلت – والكلام للسيوطي - : يرده ما أخرجه الحاكم والطبراني من حديث أم هانئ، أن رسول الله ﷺ، قال :"فضل الله قريشا ....."الحديث ، وفيه :"وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم {لإيلاف قريش} [قريش: ١]»[٥]"[٦].

ولوحظ في هذا الصدد عدة نقاط :

١- اعتماد الكاتب على الروايات الضعيفة في مصادر مثل الإتقان للإمام السيوطي وغيرها لإثبات ما يرمي إليه دون تفنيد أو تخريج أو بحث في مصادر أخرى تثبت أو تنفي هذا الخبر.

٢- التركيز الشديد على فعل واحد من الصحابة ، دون النظر إلى الإجماع الذي عليه المعول والحل والعقد .

٣- نسيان الكاتب نزول جميع أصحاب المصاحف رضوان الله عليهم إلى مصحف عثمان والاستقرار عليه لانعقاد الإجماع عليه .

٤-لعل عمل أبيّ -رضي الله عنه- بضمه السورتين يكون ناتجا من إتحاد الغرض في سورتي الفيل وقريش، مما جعله يظن أنهما سورة واحدة .

فموضوع السورتين مترتب على الآخر، وتأويل ذلك أنه لما انتهت واقعة الفيل بما وقع لأبرهة وجيشه ، وما كان من التدخل الإلهي لحماية بيته وحرمه، عظمت مكة في أعين العرب وأصبحت ملاذا للكثيرين وأخذت مكانتها بين العرب ، فأتبع الله في كتابه بسورة قريش لتلي سورة الفيل تذكيرا بالمنة والنعمة التي نالها هؤلاء العرب من العز والشرف والمهابة بين العالم ، والإطعام من جوع والأمن من الخوف .

قال ابن عاشور:" وهي سورة مستقلة بإجماع المسلمين على أنها سورة خاصة. وجعلها أبيّ بن كعب مع «سورة الفيل» سورة واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة التي كانوا يجعلونها علامة فصل بين السور، وهو ظاهر خبر عمرو بن ميمون عن قراءة عمر بن الخطاب. والإجماع الواقع بعد ذلك نقض ذلك"[٧].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

---

(١) النكت والعيون: ٣٤٥/٦.
(٢) المحرر الوجيز: ٥٢٥/٥.
(٣) المحرر الوجيز: ٥٥٣/٣٠.
(٤) انظر: تفسير المراغي: ٢٤٤/٣٠.
(٥)أخرجه الطبراني في المعجم الكبري(٢٠١):ص٨٦/١٧، قال الهيثمى (٢٤/١٠) : فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.
(٦) الإتقان في علوم القرآن: ١٧٩/١.
(٧) التحرير والتنوير: ٥٥٣/٣٠.

١- أن نعم الله على عباده عديدة ولا تحصى، ومن أعظم هذه النّعم بعد نعمة الإيمان: نعمة الأمن نعمة الطّعام والشّراب.
٢- أمر قريشا بتوحيد الله تعالى بالربوبية تذكيرا لهم بنعمة أن الله مكن لهم السير في الأرض للتجارة برحلتي الشتاء والصيف لا يخشون عاديا يعدو عليهم، وبأنه أمنهم من المجاعات وأمنهم من المخاوف لما وقر في نفوس العرب من حرمتهم لأنهم سكان الحرم وعمار الكعبة، وبما ألهم الناس من جلب الميرة إليهم من الآفاق المجاورة كبلاد الحبشة، وبرد القبائل فلا يغير على بلدهم أحد، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]، فأكسبهم ذلك مهابة في نفوس الناس وعطفا منهم.
٣- أن دوام هذه النّعم واستمراريّتها وبقاءها يستلزم شكرها، ويكون ذلك بالوقوف عند أوامر الله تعالى ونواهيه، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : ٧].
٤- شكر النّعم إنّما يكون بالقلب ثمّ بالقول ثمّ يقرن بالعمل، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [لقمان : ١٢] ، وإنّ ذهاب هذه النّعم يكون بكثرة المعاصي والذّنوب، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: ذكر المنة على قريش، وتحضيضهم على العبادة، وشكر الإحسان، ومعرفة قدر النعمة والعاقبة والأمان، في قوله: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن وكيع، عن محل قال: سمعت إبراهيم، "يقرأ في الركعة الأولى من المغرب: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}"[٣].
- عن إبراهيم، قال: " صلى عمر صلاة عند البيت، فقرأ: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، فجعل يومئ إلى البيت، ويقول: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش: ٤]" [٤].
- عن إبراهيم قال: "صلى عمر بن الخطاب بالناس بمكة عند البيت فقرأ: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، قال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، وجعل يومئ بإصبعه إلى الكعبة وهو في الصلاة"[٥].
- عن عمرو بن ميمون قال: "صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التين والزيتون}، وفى الركعة الأخرى: {ألم تر} و {لإيلاف قريش} جميعا"[٦].
- عن الزبير بن العوام:" فضل الله قريشا بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأنه نزلت

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.
(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٣٦٠٣):ص٣١٥/١.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة(٨٤٩١):ص٢٣٥/٢.
(٥) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن المنذر، [كنز العمال ٤٧١٩].
(٦) أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦].

فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين وهى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش: ١]، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية"[١].

- عن عدي بن حاتم قال: كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء من بدر فقال رجل من الأنصار: وهل لقينا إلا عجائز كالحرز المعقلة فنحرناهم، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيته كأنه تفقأ فيه حب الرمان، ثم قال: «يا ابن أخي لا تقل ذلك، أولئك الملأ الأكبر من قريش، أما لو رأيتهم في مجالسهم بمكة لهبتهم» فوالله لأتيت مكة فرأيتهم قعودا في المسجد، فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاشر الناس أحبوا قريشا فإنه من أحب قريشا فقد أحبني، ومن أبغض قريشا فقد أبغضني، وإن الله حب إلي قومي فلا أتعجل لهم نقمة، ولا أستكثر لهم نعمة، اللهم إنك أذقت أول قريش نكالا فأذق آخرها نوالا، إلا أن الله علم ما في قلبي من حبي لقومي فسرني فيهم» قال الله عز وجل: " {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]، يعني: قومي، فالحمد لله الذي جعل الصديق من قومي، والشهيد من قومي، والأئمة من قومي، إن الله قلب العباد ظهرا لبطن فكان خير العرب قريش وهي الشجرة التي قال الله: {مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [إبراهيم: ٢٤]، يعني بها: قريشا، {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: أصلها كرم، {وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤]، يقول: الشرف الذي شرفهم الله بالإسلام الذي هداهم له وجعلهم أهله، ثم أنزل فيهم سورة من كتاب الله محكمة: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}"[٢].
- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ}، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها»[٣]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٧٦/٩، رقم ٩١٧٣) قال الهيثمى (٢٥/١٠) : فيه من ضعف ووثقهم ابن حبان. وابن عساكر (١٥/٦٤).

(٢)أخرجه الطبراني في المعجم الكبري(٢٠١):ص٨٦/١٧، قال الهيثمى (٢٤/١٠) : فيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٩/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٤٩/١٠.[موضوع]

**القرآن**

**{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)} [قريش : ١-٢]**

التفسير:

اعْجَبوا لإلف قريش، وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتيهم في الشتاء إلى «اليمن»، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك; لجلب ما يحتاجون إليه.

قوله تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١]، أي:" اعْجَبوا لإلف قريش، وأمنهم، واستقامة مصالحهم"(١).

قال ابن فورك:" الإيلاف: أصحاب الألف بالتدبير الذي فيه لطف، وهو نقيض الإيحاش ونظيره الإيناس"(٢).

اختلف أهل العلم في هذه «اللام» التي في قوله تعالى: {لِإِيلَافِ} [قريش : ١]، على أقوال(٣):

أحدها: أنها متعلقة بقوله: {فَلْيَعْبُدُوا}، أي: ليعبدوا الله، لأجل نعمته عليهم بالإيلاف. وهو معنى قول ابن عباس(٤)، وحكاه الزجاج عن النحويين(٥).

روي عكرمة عن ابن عباس، قال: "أُمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف"(٦).

وعن عكرمة، -من طريق أبي مكين- أنه كان يقرأ: «لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ والصَّيْفِ»(٧).

وقال أبو صالح:" علم الله حُبّ قريش الشام، فأُمِروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت كإيلافهم رحلة الشتاء والصيف"(٨). وفي رواية: "كانوا تجارا، فعلم الله حبهم للشام"(٩).

وقال أبو مالك:" {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ}، قال: كانوا يتَّجِرون في الشتاء والصيف، فآلفتْهم ذلك"(١٠).

قال الزجاج:" وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه «اللام»، معناها متصل بما بعد {فَلْيَعْبُدُوا}، والمعنى: فليعبد هؤلاء رب هذا البيت لإلفهم رحلة الشتاء والصيف"(١١).

الثاني: أنها متعلّقة بسورة «الفيل»، والمعنى: جعلتُ أصحابَ الفيل كعَصْفٍ مأكول، لإلفة قريش، أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف. وهذا قول ابن زيد(١٢)، ومحمد بن إسحاق(١٣)، واختيار الأخفش(١٤)، وأبي عبيدة(١٥)، والجمهور(١٦)،

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٢.

(٢) تفسير ابن فورك: ٢٧٨/٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٣/٣، ومعاني القرآن للأخفش: ٥٨٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٦٥/٥، وإعراب القرآن للنحاس: ١٨٤/٥، وتفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤-٦٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٦٥/٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٨) الدر المنثور: ٦٣٧/٨، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر وابن جرير.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(١٠)الدر المنثور: ٦٣٧/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(١١) معاني القرآن: ٣٦٥/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤-٦٢١.

(١٣) عزاه إليه ابن كثير: في "التفسير": ٤٩١/٨.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٥٨٥/٢، قال الأخفش:" {لإيلافِ قُرَيْشٍ} أي: فعل ذلك {لإيلافِ قُرَيْشٍ}، لتألف".

(١٥) انظر: مجاز القرآن: ٣١٢/٢. قال:" {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ} على {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ} [ الفيل: ١]، لإيلاف قريش؟

(١٦) حكاه ابن الجوزي عن الجمهور، انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤.

وعزاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/١٠، وابن الجوزي في "زد المسير": ٤٩٣/٤، للفراء .

ونسبه الطبري لابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وفسَّروا: «لإيلاف»: «نِعمتي على قريش»[٣]، ولا يظهر صريحا من نصوصِهم أنهم يرون تعلّق «اللام»، بالسورة التي قبلها، -والله أعلم-.

وقال الزمخشري:" المعنى: أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك، فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم فضل احترام، حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم، فلا يجترئ أحد عليهم. وكانت لقريش رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته، فلا يتعرّض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم"[٤].

قال السعدي:" قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها، أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب. فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا"[٥].

عن عمر بن عبد العزيز، قال: ... لما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - كان فيما أنزل عليه يُعرّف قومه ما صنَع إليهم، وما نصرهم من الفيل وأهله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} إلى آخر السورة. ثم قال: ولم فعلتُ ذلك -يا محمد- بقومك، وهم يومئذ أهل عبادة أوثان؟! فقال: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} إلى آخر السورة، أي: لتراحمهم وتواصلهم ..."[٦].

عن ابن زيد، في قول الله: "{لإيلافِ قُريْشٍ}، فقرأ: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، إلى آخر السورة، قال: هذا لإيلاف قريش، صنعتُ هذا بهم لألفة قريش، لئلا أفرّق ألفتهم وجماعتهم، وإنما جاء صاحب الفيل ليستبيد حريمهم، فصنع الله ذلك"[٧].

عن ابن عباس، ومجاهد: "{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، قال: نعمتي على قريش"[٨].

قال سفيان بن عُيينة: "{لِإِيلَافِ} لنعمتي على قريش"[٩].

وكان عمر وأبيّ بن كعب لا يفصلان بين السورتين ويقرآنهما كالسورة الواحدة ، ويريان أنهما سورة واحدة ، أي : ألم تر لإيلاف قريش.

وأما النحاس، فقد ضعّف هذا الوجه، قائلا :" وهذا القول الخطأ فيه بيّن، ولو كان كما قال لكانت لإيلاف بعض آيات «الم تر»، وفي إجماع المسلمين على الفصل بينهما ما يدلّ على غير ما قال، وأيضا فلو كان كما قال لم يكن آخر السورة تماما، وهذا غير موجود في شيء من السور"[١٠].

قال ابن قتيبة:" يذهب بعض الناس إلى أنّ هذه السورة وسورة الفيل واحدة. وبلغني عن ابن عيينة، أنه قال: «كان لنا إمام بالكوفة يقرأ {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) [الفيل: ١]، {وَلِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١)} [قريش: ١] ولا يفرّق بينهما». وتوهّم القوم أنهما سورة واحدة، لأنهم رأوا قوله: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، مردودا إلى كلام في سورة الفيل. وأكثر الناس على

---

والصحيح أن الفراء حكاه عن بعضهم، حيث قال في معاني القرآن: ٢٩٣/٣:" قال بعضهم: كانت موصلة بألم تر كيف فعل ربك، وذلك أنه ذكر أهل مكة عظيم النعمة عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال: «لإيلاف قريش» أيضا، كأنه قال: ذلك إلى نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف، فتقول: نعمة إلى نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى".

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٤) الكشاف: ٨٠١/٤.

(٥) تفسير السعدي: ٩٣٥.

(٦)عزاه السيوطي إلى الزُّبير بن بكار في الموفقيات.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤-٦٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٩)علقه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٩٩.

(١٠) إعراب القرآن: ١٨٤/٥.

أنهما سورتان، على ما في مصحفنا، وإن كانتا متّصلتي الألفاظ، على مذهب العرب في التضمين، والمعنى أنّ قريشا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليها فيه، وأنّ يعرض لها أحد بسوء إذا خرجت منه لتجارتها. وكانوا يقولون: قريش سكان حرم الله، وأهل الله وولاة بيته. والحرم واد جديب لا زرع فيه ولا ضرع، ولا شجر ولا مرعى، وإنما كانت تعيش فيه بالتجارة، وكانت لهم رحلتان في كل سنة: رحلة إلى اليمن في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هاتان الرّحلتان لم يمكن به مقام، ولولا الأمن بجوارهم البيت، لم يقدروا على التصرّف. فلمّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليهدموا الكعبة وينقلوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا به هناك بيتا ينتقل به الأمن إليهم، ويصير العزّ لهم، أهلكهم الله سبحانه، لتقيم قريش بالحرم، ويجاوروا البيت، فقال يذكر نعمته: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) [الفيل: ١، ٥] . {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ} [قريش: ١]. أي: فعل ذلك ليؤلّف قريشا هاتين الرّحلتين اللّتين بهما تعيشّهم ومقامهم بمكة، تقول: ألفت موضع كذا: إذا لزمته، وآلفنيه الله، كما تقول: لزمت موضع كذا، وألزمنيه الله"[١].

الثالث : أنها لام التعجّب، كأنّ المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعَمهم من جوعٍ وآمنَهم من خوف. ويحتجّ له "بأن العرب تقول: «لله أبوك»، فيكون في «اللام» معنى: التعجب"[٢]. وهذا مذهب الفراء[٣]ـ والأعمش[٤]، والكسائي[٥].

قال الفراء:" إنه تبارك وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: اعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، ثم قال: فلا يتشاغلن بذلك عن إتباعك وعن الإيمان بالله. ليعبدوا رب هذا البيت"[٦].

وهذا القول اختيارُ الطبري[٧]، واستدلَّ له بفعل العرب، فقال: "والعربُ إذا جاءت بهذه اللام، فأدخلوها في الكلام للتعجُّب اكتفوا بها دليلاً على التعجُّب من إظهار الفعل الذي يجلبُها، كما قال الشاعر[٨]:

أغَرَّكَ أنْ قَالُوا لِقُرَّةَ شاعِرًا ... فيالأباهُ مِنْ عَرِيفٍ وَشَاعِرِ

فاكتفى باللام دليلاً على التعجب من إظهار الفعل، وإنما الكلام: أغرَّك أن قالوا: أعجبوا القُرَّة شاعراً فكذلك قوله: {لإِيلافِ}"[٩].

أما القول بارتباطِها بسورة «الفيل»، ففيه نظرٌ من جهة انفصال كلِّ سورة عن أختِها، قال الطبري: «وأما القول الذي قاله من حكَيْنا قولَه أنه من صِلة {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ}، فإن ذلك لو كان كذلك، لوجبَ أن يكون «لإيلاف» بعض «ألم تر»، وأن لا تكون السورة منفصِلة من {ألم تر}.

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس: ١٨٤/٥.

(٣) عزاه إليه النحاس، في: إعراب القرآن: ١٨٤/٥. والصحيح أن الفراء حكا هذا القول –أيضا-، إذ ورد في معاني القرآن: ٢٩٣/٣:" ويقال: إنه تبارك وتعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: اعجب يا محمد لنعم الله تبارك وتعالى على قريش في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، ثم قال: فلا يتشاغلن بذلك عن إتباعك وعن الإيمان بالله. {ليعبدوا رب هذا البيت}".

(٤) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٩٣/٤. وعزاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/١٠، للأخفش والرازي.

(٥) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٩٣/٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٣/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢٤.

(٨) بلا نسبة في تفسير الطبري: ٦٢١/٢٤، والكشف والبيان: ٣٠٠/١٠.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢١/٢٤.

وفي إجماع جميع المسلمين على أنهما سورتان تامَّتان، كل واحدةٍ منهما منفصلة عن الأخرى، ما يبيِّن فسادَ القول الذي قاله من قال ذلك. ولو كان قوله: {لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ}؛ من صلة: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، لم تكن {أَلَمْ تَرَ} تامَّة حتى توصَل بقوله: {لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ}، لأن الكلامَ لا يتم إلاَّ بانقضاء الخبر الذي ذُكِر"[١].

قال ابن كثير:" هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإن كانت متعلقة بما قبلها"[٢].

وفي قبيلة «قريش»، قولان[٣]:

أحدهما: أنهم بنو النضر بن كنانة، فمن كان من بني النضر فهو من قريش دون بني كنانة.

الثاني: أنهم بنو فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي.

قال القرطبي: "والقول الأول أصح وأثبت"[٤].

قال الماوردي:" على المشهور أن بني النضر بن كنانة ومن تلده : من قريش ، وإن لم يكونوا من بني فهر"[٥].

عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم "[٦].

وعن الأشعث بن قيس، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد لا يرون أني أفضلهم، فقلت: يا رسول الله، إنا نزعم أنكم منا قال: «نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا،

---

(١) تفسير الطبري: ٦٢١/٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩١/٨.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٤٦/٦، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦/١٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٠٢/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٤٦/٦.

(٦) أخرجه أحمد في المسند(١٦٩٨٦):ص١٩٣/٢٨، إسناده صحيح على شرط مسلم. رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عمار شداد- وهو ابن عبد الله القرشي-، فقد أخرج له مسلم، والبخاري في "الأدب المفرد" وهو ثقة. أبو المغيرة: هو عبد القدوس بن الحجاج، والأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" ٢٢/ (١٦١) من طريق أبي المغيرة، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٤/١، وفي "الصغير" ٩/١، ومسلم (٢٢٧٦) ، والترمذي (٣٦٠٦) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٤٩٥) و (١٤٩٦) ، وفي "الآحاد والمثاني" (٨٩٤) و (٨٩٥) ، وأبو يعلى (٧٤٨٥) و (٧٤٨٧) ، والطبراني في "الكبير" ٢٢/ (١٦١) ، والبيهقي في "السنن " ٣٦٥/٦، وفي "الدلائل" ١٦٥/١ و١٦٦، والخطيب في "تاريخه" ٦٤/١٣، والبغوي في "شرح السنة" (٣٦١٣) من طرق عن الأوزاعي، به. قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وأخرجه الخطيب في "موضح أوهام الجمع والتفريق" ١٢١/١ من طريق سليمان بن أبي سليمان، عن يحيى بن أبي كثير، عن الأوزاعي، به مطولا، ولفظه: "إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا، ثم اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزارا، ثم اصطفى من ولد نزار مضر، واصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، واصطفاني من بني عبد المطلب".

وسليمان بن أبي سليمان- وهو سليمان بن داود اليمامي فيما قال الخطيب- قال البخاري: منكر الحديث.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٨٩٦) من طريق أبي اليمان عن إسماعيل بن صفوان، عمن حدثه، عن واثلة، به.

قال السندي: قوله: "إن الله اصطفى بني كنانة"، أي: بأن أعطاهم الهمم العالية، والملكات الفاضلة بين الناس، كالشجاعة والكرم ونحو ذلك، وليس المراد الاصطفاء بالدين، وأما اصطفاؤه صلى الله عليه وسلم فبكل وجه، والله تعالى أعلم.

ولا ننتفي من أبينا»، قال: فكان الأشعث، يقول: «لا أوتى برجل نفى قريشا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد»[١].

واختلفوا في تسميتهم قريشاً، على أربعة أقوال[٢]:

أحدها : لتجمعهم بعد التفرق، والتقريش: التجميع والالتئام، وهذا قول الأكثرين[٣]، ومنه قول الشاعر[٤] :

إخوةٌ قرَّشوا الذنوب علينا ... في حَديثٍ مِن دَهْرِهم وقَديمِ

قال الماوردي:" كانوا متفرقين في غير الحرم، فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكناً، قال الشاعر[٥] :

أبونا قصيٌّ كان يُدْعى مجمّعاً ... به جمع الله القبائلَ مِن فهر"[٦]

الثاني : لأنهم كانوا تجاراً يأكلون من مكاسبهم، والتقريش: التكسب. قاله الفراء[٧].

قال السمعاني:" قال الأكثرون: سموا قريشا للتجارة، وكانوا أهل تجارة، والقرش: الكسب، يقال: كان فلان يقرش لعياله ويقترش أي: يكتسب"[٨].

الثالث : أنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته ، والقرش : التفتيش ، قال الشاعر[٩]:

أيها الشامتُ المقّرشُ عَنّا ... عند عَمرو فهل له إبْقاءُ

---

(١) أخرجه أحمد(٢١٨٣٩):ص١٦٠/٣٦. إسناده حسن، رجاله ثقات غير مسلم بن هيصم، فهو صدوق حسن الحديث، وقول الحافظ عنه في "التقريب": مقبول: غير مقبول، فقد روى عنه جمع، وروى له مسلم، ووثقه ابن حبان.

وأخرجه ابن المبارك في "مسنده" (١٦١) ، والطيالسي (١٠٤٩) ، وابن ماجه (٢٦١٢) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٨٩٧) و (٢٤٢٥) ، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٦٠/١، والطبراني (٦٤٥) ، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٩٢٩) ، والضياء في "المختارة" (١٤٨٨) و (١٤٨٩) ، والمزي في ترجمة عقيل بن طلحة من "تهذيب الكمال" ٢٣٨/٢٠-٢٣٩ من طرق عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٨٩٨) ، وفي إسناده من لم نجد له ترجمة، وهو في طبقات ابن سعد ٢٢/١-٢٣ معضل. وعن الجفشيش عند الطبراني (٢١٩٠) وإسناده ضعيف ومنقطع.

قال السندي: قوله: "إنا نزعم أنكم منا" قيل: قال ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له جدة من كندة هي أم كلاب بن مرة، فذلك ما أراد الأشعث.

"لا نقفو أمنا" أي: لا نتبع الأمهات في الانتساب ونترك الآباء، بل نسبنا إلى الآباء دون الأمهات دائما، وقيل: معنى لا نقفو أمنا، أي: لا نتهمها ولا نقذفها، من قفاه: إذا قذفه بما ليس فيه.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٤٦/٦، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦/١٠.

(٣) حكاه الواحدي عن الأكثرين، انظر: التفسير البسيط: ٢٤/ ٣٤٤، وقد ذكر هذا السبب من جملة أسباب تسمية قريش بقريش من غير ترجيح، وذلك في: "الكشف والبيان" ٣٠١/١٠ ، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٤٦، وانظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٥٣٠، و"الكشاف" ٤/ ٢٣٥، و"زاد المسير" ٨/ ٢١٤، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٠٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٠٣، و"لباب التأويل" ٤/ ٤١١، و"الدر المنثور" ٨/ ٦٣٨.

(٤)البيت لأبي جلدة اليشكري.

وقد ورد منسوبًا في: "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٠٣، وغير منسوب في: "النكت والعيون" ٦/ ٣٤٦، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٣٩ وكلها برواية (من دهرهم) بدلاً من "من عهدهم".

(٥)البيت للشاعر مطرود الخزاعي. انظر: "شرح ديوان أبي تمام" ٤/ ٩٥، و"التبيين في أنساب القرشيين" ص ١، ونسبه البغدادي في "خزانة الأدب" ١/ ٢٣٠ إلى الفضل بن العباس.

وقد ورد غير منسوب في: "النكت والعيون" ٦/ ٣٤٦، و"الدر المصون" ٦/ ٥٧٢، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٠٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٠٢، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٣٩، و"لسان العرب" ٨/ ٦٠ (جمع)، وفي تفسير البسيط للواحدي: ٣٤٣/٢٤، برواية: (أبونا) بدلًا من (أبوكم).

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٤٦/٦.

(٧) عزاه إليه أبو حيان في "البحر المحيط": ٥٤٦/١٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٨٧/٦.

(٩)ورد البيت في "ديوان حارث بن حِلِّزَة " ص ٤٨ برواية: (أيها الشاني المبلغ عنا .... انتهاء) بدلًا من (بقاء).

وفي "شرح المعلقات" للزوزني ص ٢٢١ برواية (المرقش) بدلًا (المقرش).

الرابع : أن قريشاً اسم دابة في البحر، من أقوى دوابه ، سميت قريشاً، لقوتها وأنها تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى ، قاله ابن عباس[١]، واستشهد بقول الشاعر[٢] :

هكذا في العباد حيٌّ قريش ... يأكلون البلادَ أكْلاً كشيشاً
ولهم آخرَ الزمان نبيٌّ ... يَكثر القتل فيهمُ والخموشا
يملأُ الأرضَ خَيلهً ورجالاً ... يحشُرون المطيَّ حشْراً كميشاً
تأكل الغثَّ والسَمينَ ولا تت ... رُكُ يوماً في جناحين ريشاً
وقريش هي التي تسكن البح ... ر بها سميت قريش قريشاً
سلّطت بالعلو في لجج البحر ... على سائر البحور جيوشاً

قال الزمخشري:" قريش: ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير «القرش»: وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن، ولا تطاق إلا بالنار.. والتصغير للتعظيم"[٣].

عن سعيد بن المسيّب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الله فضّل قريشًا بسبع خصال: أني منهم، وأنّ الله أنزل فيهم سورة كاملة من كتابه لم يذكر فيها أحدًا غيرهم، وأنهم عبدوا الله عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم، وأنّ الله نصرهم يوم الفيل وأنّ الخلافة والسِّقاية والسِّدانة فيهم»[٤].

قرأ ابن عامر: «لإلاف» بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز. وروى حمّاد بن أحمد عن الشموني بهمزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن «لفعلان». وقرأ الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة[٥].

قوله تعالى:{إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} [قريش : ٢]، أي:" وانتظام رحلتيهم في الشتاء إلى «اليمن» ، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك; لجلب ما يحتاجون إليه"[٦].

قال الماوردي:" كانت لقريش في كل عام رحلتان و«الرحلة»: السفرة ، لما يعانى فيها من الرحيل والنزول ، رحلة في الصيف ورحلة في الشتاء طلباً للتجارة والكسب"[٧].

---

وفي"النكت والعيون" ٦/ ٣٤٦ برواية (إبقاء) بدلًا من (بقاء)، وفي "الدر المصون" ٦/ ٥٧٢ برواية (أيها الناطق) بدلًا من (أيها الشامت)، وفي "لسان العرب" ٦/ ٣٣٤: (قرش) برواية (أيها الناطق).
ومعنى البيت: أيها الناطق عند الملك الذي يبلغ عنا الملك ما يريبه ويشككه في محبتنا، هل لذاك التبليغ بقاء؟ وهذا استفهام معناه النفي؛ أي لا بقاء لذلك؛ لأن الملك يبحث عنه، فيعلم أن ذلك من الأكاذيب.
-هامش- شرح المعلقات ص ٢٢١.

(١) ورد قول ابن عباس في: "الكشف والبيان" ٣٠١/١٠، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٤٦، وتفسير السمعاني: ٢٨٧/٦، و"وتفسير البغوي" ٤/ ٥٣٠، و"الدر المصون" ٦/ ٥٧٢، و "الكشاف" ٤/ ٢٣٥، و"زاد المسير" ٨/ ٣١٤ - ٣١٥، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٠٦، و"تفسير القرطبي" ٢٠/ ٢٠٣، و"البحر المحيط" ٨/ ٥١٣، و"الدر المنثور" ٨/ ٦٣٨.
الخموس: الخدوش في البدن، والكميش: السريع
وعزاه إلى البيهقي في "الدلائل"، و"تهذيب اللغة" ٨/ ٣٢١ (قرش)، و"لسان العرب" ٦/ ٣٣٥ (قرش)، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٣٩.
وقد نسب بيت الشعر إلى تبع في الدر المصون، وعند القرطبي، وأبي حيان. ونسب إلى الجمحي في "الدر المنثور" و"روح المعاني".

(٢) الشعر للمشمرج بن عمرو الحميري، كما في معجم الشعراء للمرزباني: ٤٣٦، قال:" وقد روي لغيره". وذكر الياقوت في "معجم البدلان": ٣٣٦/٤-٣٣٧، هذا الخبر مختصرا، وقال: وهذا الوجه عندي بارد، والشعر مصنوع جامد.

(٣) الكشاف: ٨٠٢/٤.

(٤)أخرجه الخطيب في تاريخه ٧/ ١٩٥ مرسلًا.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٦٠٢.

(٧) النكت والعيون: ٣٤٧/٦.

وقيل: أن أول من جمع قريشا على رحلتي الشتاء والصيف هاشم بن عبد مناف، وكانوا يأخذون في بضائعهم باسم الفقراء شيئا معلوما فإذا رجعوا أعطوهم ذلك تقربا إلى الله، وقال الشاعر في هاشم[١]:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الإيلاف[٢].

قال ابن فورك:" الرحلة: حال السير على الراحلة، وهي الناقة القوية، ومنه الحديث «الناس كإبل مائة لا يجد فيها راحلة»[٣]، الرحل: متاع السفر. الارتحال: احتمال الرحل للمسير في السفر، الشتاء: أوان شدة البرد"[٤].

عن مجاهد، في قوله: ":{إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}، قال: إيلافهم ذلك، فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف"[٥].

عن قتادة: "{لإِيلافِ قُرَيْشٍ}، قال: عادة قريش، عادتهم رحلة الشتاء والصيف"[٦].

قال الضحاك:" كانوا ألفوا الارتحال في القيظ والشتاء"[٧].

قال ابن قتيبة :" كرّر {لإِيلافِ}، كما تقول في الكلام: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كلّ الناس، فتكرّر الكلام للتوكيد"[٨].

عن سفيان: "{رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}، قال: كانوا تُجَّارا"[٩].

واختلف في رحلتي الشتاء والصيف، على قولين :

أحدهما : أن كلتا الرحلتين إلى فلسطين، لكن رحلة الشتاء في البحر، طلباً للدفء، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات ، طلباً للهواء، قاله عكرمة[١٠].

---

(١)البيتان- عمرو الذي هشم الثريد ... إلخ» عزاهما كل من: أ- «محمد بن حبيب البغدادي» في كتابه (المنمق في أخبار قريش) ص ٢٧، ٢٨. ب- «ابن دريد» في كتابه «الاشتقاق» (١/ ١٣) إلى: «مطرود بن كعب الخزاعي» وعزاهما الإمام/ ابن هشام في (السيرة النبوية) (١/ ١٥٧) إلى شاعر من «قريش» ، أو من بعض العرب. وقال الإمام/ الطبري في تاريخه (٢/ ٢٥١- ٢٥٥) : قال ابن الكلبي: «إنما قال البيت:

عمرو الذي هشم الثريد.....

ابن الزبعري. وفي المصدرين- المنمق، والاشتقاق- ورد الشطر الثاني من البيت الأول هكذا:

..... ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وورد عند ابن هشام:

..... ... قوم ب «مكة» مسنتين عجاف

وكلا القولين صحيح فعلى رواية «محمد بن حبيب» ، و «ابن دريد» - مسنتون- خبر للمبتدأ، وهو «قوم» وعلى رواية ابن هشام- مسنتين- خبر لكون محذوف. وزاد «محمد بن حبيب» بعد البيتين قوله: يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بال عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت عليهم ... ضمنوك من جوع ومن إقراف

اه: (المنمق) لابن حبيب، (الاشتقاق) لابن دريد. وانظر: (المحكم) لابن سيده- هشم- (٤/ ١٣٩) . وانظر: شرح الزرقاني على المواهب للقسطلاني (١/ ٧٢- ٧٣).

(٢) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨٧/٦، و مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، لأبي مدين الفاسي: ٤٠.

(٣) الحديث:« إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة».

حديث ابن عمر: أخرجه الطيالسى (ص ٢٥٩، رقم ١٩١٤) ، وأحمد (١٣٩/٢، رقم ٦٢٣٧) ، والبخارى (٢٣٨٣/٥، رقم ٦١٣٣) ، ومسلم (١٩٧٣/٤، رقم ٢٥٤٧) ، والترمذى (١٥٣/٥، رقم ٢٨٧٢) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٣٢١/٢، رقم ٣٩٩٠) .

حديث أبى هريرة: أخرجه العقيلى (١٤٩/١، رقم ١٨٥) ، والطبرانى فى الأوسط (٦٠/٨، رقم ٧٩٦٤).

(٤) تفسير ابن فورك: ٢٧٨/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٨) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٤.

قال عكرمة:" كانت قريش تتجر، شتاء وصيفا، فتأخذ في الشتاء على طريق البحر وأيلة إلى فلسطين يلتمسون الدفاء، وأما الصيف فيأخذون قبل بصرى وأذرعات، يلتمسون البرد فذلك قوله: {إيلافهم}"[١].

قال عكرمة:" كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن يختلفون إلى هذه في الشتاء، وإلى هذه في الصيف، {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، فأمرهم أن يقيموا بمكة"[٢].

الثاني : أن رحلة الشتاء إلى اليمن، لأنها بلاد حامية ، ورحلة الصيف إلى الشام، لأنها بلاد باردة ، قاله أبو صالح[٣]، وابن زيد[٤]، والكلبي[٥].

قال ابن زيد:" كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن في التجارة، إذا كان الشتاء امتنع الشأم منهم لمكان البرد، وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن"[٦].

قال الكلبي:" كانت لهم رحلتان: رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في الصيف إلى الشأم"[٧].

قال أبو صالح:" كانت الشام منها أرض باردة ومنها أرض حارّة، وكانوا يرحلون في الشتاء إلى الحارّة، وفي الصيف إلى الباردة، وكانت لهم رحلتان كلّ عام للتجارة: إحداهما في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام، وكان الحَرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، ولا ماء ولا شجر، وإنّما كانت قريش تعيش بها بتجارتهم ورحلتهم، وكانوا لا يُتعرّض لهم بسوء، وكانوا يقولون: قريش سكان حرم الله، وولاة بيته. فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكّة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرّف، فشقّ عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام، وأخصبت تَبالة وجُرش والجَنَد من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكّة، وأهل الساحل في البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحُمُر، فألقى أهل الساحل بجدّة، وأهل البرّ بالمحصّب، وأخصبت الشام، فحملوا الطعام إلى مكّة، فحمل أهل الشام إلى الأبطح، وحمل أهل اليمن إلى جدّة، فامتاروا من قريب، وكفاهم الله مؤونة الرحلتين، وأمرهم بعبادة ربّ البيت"[٨].

وفي تذكيرهم «رحلة الشتاء والصيف»، قولان:

أحدهما : أنهم كانوا في سفرهم آمنين من العرب، لأنهم أهل الحرم، فذكرهم ذلك ليعلموا نعمته عليهم في أمنهم مع خوف غيرهم .

الثاني : لأنهم كانوا يكسبون فيتوسعون ويطعمون ويصلون، كما قال الشاعر فيهم[٩]:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ

هَبَلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ[١٠]

الْخَالِطِينَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ ... حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩١):ص٣٤٦٧/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤-٦٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤-٦٢٣.

(٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٢.

(٩) الأبيات لمطرود بن كعب الخزاعي ، كما في "سيرة ابن هشام": ١٧٨/١.

(١٠) هبلتك: فقدتك. وهو على جهة الإغراء لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك، ولا أبا لك، وأشباههما. والإقراف: مقاربة الهجنة. أي منعوك من أن تنكح بناتك وأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه، فيلحقك وصم من ذلك. ونحو منه قول مهلهل:

أنكحها فقدها الأراقم في جنب ... وكان الحياء من آدم

(أي: أنكحت لغربتها من غير كفء، وذلك أن مهلهلا نزل في جنب، وهو حي وضيع من مذحج، فخطبت ابنته، فلم يستطع منعها فزوجها، وكان مهرها من أدم).

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ ... وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ
وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ[1]
إِمَّا هَلَكْتَ أَبَا الْفِعَالِ فَمَا جَرَى ... مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نِطَافِ[2]
إِلَّا أَبِيكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ ... وَالْفَيْضِ مُطَّلِبٍ أَبِي الْأَضْيَافِ[3]

فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

قال أبو صالح:" كانوا تجارا، فعلم الله حبهم للشام"[4].

الثالث: -وهو قول ابن عباس-[5]: لأنهم كانوا يشتون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها، كما قال الشاعر[6]:

تَشْتُو بِمَكَّةَ نَعْمَةٌ ... وَمَصِيفُهَا بِالطَّائِفِ

قال ابن عباس:" كانوا يشْتون بمكة، ويَصِيفون بالطائف"[7].

قال الماوردي: "وهذه من جلائل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف ، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة"[8].

وروي عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: «إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ»[9].

عن ابن عباس :«إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشتاءِ وَالصَّيْفِ}»، يقول: لزومهم"[10].

وقرأ عكرمة: «ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف»[11].

قال الفراء ومن قرأ: «إلفهم» فقد يكون من: يؤلفون، وأجود من ذلك أن يكون من يألفون رحلة الشتاء ورحلة الصيف، و«الإيلاف» من: يؤلفون، أي: أنهم يهيئون ويجهزون"[12].

**القرآن**

**{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)} [قريش : ٣]**

التفسير:

فليشكروا، وليعبدوا رب هذا البيت الذي يعتزون به -وهو الكعبة-، وبسببه نالوا الشرف والرفعة، وليوحدوه ويخلصوا له العبادة.

قال الطبري:" يقول: فليقيموا بموضعهم ووطنهم من مكة، وليعبدوا ربّ هذا البيت، يعني بالبيت: الكعبة"[13].

---

(١) تناوحت: تقابلت. والرجاف (هنا) : البحر.
(٢) تناوحت: تقابلت. والرجاف (هنا) : البحر.
(٣) يريد أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف، كما قال مرة بن محكان.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٦) لمحمد بن عبد الله النميري، كما في "معجم الشعراء" لمرزباني: ٣٤٢، و"أخبار النساء" لابن الجوزي: ٢٤، و"معجم البلدان": ١٢/٤، والبيت بلا نسبة في: "النكت والعيون": ٣٤٨/٦، و"تفسير العز بن عبدالسلام": ٤٩٢/٣، و"تفسير القرطبي": ١٠٦/٢٠. وفي بعض المصادر«تشتي» بدلا من «تشتو»، قال السمين في عمدة الحفاظ:" الظاهر أن «لامه»: «واو»، فيقال: شتا يشتو، وقد ذكره الهروي في مادة«شتو»، وإن كان الراغب قد ذكره في مادة«شتى».
(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٨) النكت والعيون: ٣٤٨/٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٢١/٢٤.
(١١) انظر الكشاف: ٨٠٢/٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩٤/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما، كما قال تعالى :{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [النمل : ٩١]"[١].

قال السعدي:" أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة.. وخص الله بالربوبية البيت، لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء"[٢].

قال السمعاني: " لأنهم كانوا يجلبون الطعام من المواضع البعيدة وكان هو الذي يسهل لهم ذلك، ويرزقهم إياها بتيسير أسبابها لهم"[٣].

قال النحاس:" أي: لهذا فليعبدوه. فهذا لا حذف فيه وهو من حسن النحو ودقيقه، وإن كان أصحاب كتب المعاني قد أغفلوه"[٤].

عن ابن عباس :"{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، قال الكعبة"[٥].

قال ابن عباس:" أُمروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف"[٦].

قال ابن عباس:" نهاهم عن الرحلة، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت، وكفاهم المؤنة، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، فلم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف، فأطعمهم بعد ذلك من جوع، وآمنهم من خوف، وألفوا الرحلة، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا، وإذا شاءوا أقاموا، فكان ذلك من نعمة الله عليهم"[٧].

عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "{لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} [قريش: ٢]« ويحكم يا قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف»"[٨].

عن إبراهيم:" أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، صلى المغرب بمكة، فقرأ: {لإِيلافِ قُرَيْشٍ}، فلما انتهى إلى قوله: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، أشار بيده إلى البيت"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٨.
(٢) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٨٧/٦.
(٤) إعراب القرآن: ١٨٤/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.
(٨) مسند احمد(٢٧٦٠٧):ص٥٨١/٤٥، إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وعبيد الله بن أبي زياد القداح -وإن كان ضعيفا كذلك- توبع. وبقية رجاله ثقات. عيسى بن يونس: هو ابن أبي إسحاق السبيعي.
وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٦):ص٣٤٦٧/١٠، بإسناده عن أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية، فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.[تفسير ابن كثير:٤٩٢/٨].
وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٣١٨، وحفص الدوري في "قراءات النبي" (١٣٣) ، وابن أبي حاتم -فيما ذكر ابن كثير-، والطبراني في "الكبير" ٢٤/ (٤٤٧) من طريق قبيصة بن عقبة، والطبري في "تفسيره" ٦١٩/٢٤، من طريق مهران بن أبي عمر الرازي، كلاهما عن سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: " إِلْفَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ".
وأخرجه الحاكم ٢٥٦/٢ من طريق عبد الحميد بن بهرام، عن شهر، عن أسماء، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: «لإيلاف قريش إيلافهم، رحلة الشتاء والصيف» . وقال: هذا حديث غريب عال في هذا الباب، والشيخان لا يحتجان بشهر بن حوشب.
وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٤٣/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني باختصار، وفيه عبيد الله بن أبي زياد القداح وشهر بن حوشب، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجال أحمد ثقات.
قال السندي: قوله: "ويحكم يا قريش" بفتح واو وسكون ياء: كلمة ترحم.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.

**القرآن**
**{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)} [قريش : ٤]**
التفسير:
الذي أطعمهم من جوع شديد، وآمنهم من فزع وخوف عظيم.
قوله تعالى:{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، أي:" الذي أطعمهم من جوع شديد"(١).
قال السعدي:" فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى"(٢).
وفي قوله تعالى:{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها : أطعمهم من جوع بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق ، قاله ابن عيسى(٣).
الثاني : أطعمهم من جوع بما استجاب فيهم دعوة إبراهيم عليه السلام . حين قال : {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ}. قاله ابن عباس(٤).
عن ابن عباس: "{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ}، يعني: قريشا أهل مكة، بدعوة إبراهيم -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ}"(٥).
الثالث : أن جوعاً أصابهم في الجاهلية، فألقى الله في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً ، فحملوه ، فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم ، فخرجوا إليهم متحرزين ، فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات ، فهو معنى قوله: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ}.
قال ابن قتيبة :" ثم أمرهم بالشكر فقال: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ} [قريش: ٣، ٤] في هذا الموضع الجديب من الجوع"(٦).
قال الزجاج:" وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف"(٧).
قال الفراء:" {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} بعد السنين التي أصابتهم، فأكلوا الجيف والميتة، فأخصبت الشام فحملوا إلى الأبطح، فأخصبت اليمن فحملت إلى جدة. يقول: فقد أتاهم الله بالرزق من جهتين وكفاهم الرحلتين، فإن اتبعوك ولزموا البيت كفاهم الله الرحلتين أيضا كما كفاهم"(٨).
قوله تعالى:{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]، أي:" وآمنهم من فزع وخوف عظيم"(٩).
وفي قوله تعالى:{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]، وجوه:
احدها : آمنهم من خوفهم من الجذام، قاله ابن عباس(١٠)، والضحاك(١١)، والسدي(١٢)، والربيع بن أنس(١٣)، وشريك(١٤)، وسفيان الثوري(١٥)، ووكيع(١٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(٢) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٤٨/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٥.
(٧) معاني القرآن: ٣٦٦/٥.
(٨) معاني القرآن: ٢٩٤/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٨):ص٣٤٦٧/١٠
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦.
(١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٣.
(١٤) تفسير البغوي ٨/ ٥٤٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٤.

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس :"{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، قال: الخوف: الجذام"[١].
عن سفيان: "{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، قال: من الجذام وغيره"[٢].
عن وكيع: "سمعت أطعمهم من جوع، قال: الجوع، {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، الخوف: الجذام"[٣].
قال السمعاني: " هذا القول هو الأصح "[٤].
الثاني : من خوف الحبشة مع الفيل، قاله الأعمش[٥]. وبه قال الزمخشري[٦].
الثالث : يعني: آمن قريشاً ألا تكون الخلافة إلا فيهم ، قاله علّي -رضي الله عنه-[٧].
قال الزمخشري:" ومن بدع التفاسير: وآمنهم من خوف، من أن تكون الخلافة في غيرهم"[٨].
الرابع : آمنهم من خوف العرب أن يسبوهم أو يقاتلوهم تعظيماً لحرمة الحرم ، لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} [البقرة : ١٢٦]، قاله ابن عباس-أيضا-[٩].
قال ابن قتيبة :" وآمنهم فيه، والناس يتخطّفون حوله من الخوف"[١٠].
عن ابن عباس: "{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}: حيث قال إبراهيم -عليه السلام-: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}"[١١].
عن مجاهد: "{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، قال: من كل غزو في حرمهم"[١٢].
قال ابن زيد:" كانت العرب يغير بعضها على بعض، ويسبي بعضها بعضا، فأمنوا من ذلك لمكان الحرم، وقرأ: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}"[١٣].
قال قتادة:" كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية، يأمنون بذلك، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أغير عليه"[١٤]. وفي لفظ:" عليهم"[١٥].
قال قتادة:" كان أهل مكة تجارا يتعاورون ذلك شتاء وصيفا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حيّ من أحياء العرب، وإذا قيل حِرْمِيٌّ خُليَ عنه وعن ماله، تعظيما لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن"[١٦].
قال الزجاج:" آمنهم من أن يخافوا في الحرم، ومن أن يخافوا في رحلتهم، كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى اليمن فيمتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين والناس يتخطفون، وكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم الله فلا يتعرض لهم، فأعلم الله سبحانه أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء لأنهم ببلد لا زرع فيه وأنهم فيه آمنون.

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٨٧/٦.
(٥)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وانظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦.
(٦) انظر: الكشاف: ٨٠٣/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦.
(٨) الكشاف: ٨٠٣/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤-٦٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٩):ص٣٤٦٧/١٠.
(١٠) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٥.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤-٦٢٤.
(١٢)أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٨٨):ص٣٤٦٧/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٠):ص٣٤٦٧/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.

قال الله - جل ثناؤه - : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت : ٦٧]، أي: يؤمنون بالأصنام ويكفرون بالله - عز وجل - الذي أنعم عليهم بهذه النعمة، فأمرهم بعبادته وحده لأن آلفهم هاتين الرحلتين"[١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه {آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدوّ دون الجذام، ولا من الجذام دون العدوّ، بل عمّ الخبر بذلك، فالصواب أن يعمّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما"[٢].

قال ابن كثير:" أي : تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندا ولا وثنًا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى :{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} [النحل : ١١٢ - ١١٣]"[٣].

فوائد السورة الكريمة:

١- مظاهر تدبير الله تعالى وحكمته ورحمته فسبحانه من إله حكيم رحيم.

٢- بيان إفضال الله تعالى على قريش وإنعامه عليها الأمر الذي تطلب شكرها ولم تشكر فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بتركها للشكر.

٣- وجوب عبادة الله تعالى وترك عبادة من سواه.

٤- وجوب الشكر على النعم وشكرها حمدا لله تعالى عليها والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته.

٥- الإطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة فأرقى الدول اليوم وقبل اليوم لم تستطع أن تحقق لشعوبها هاتين النعمتين نعمة العيش الرغد والأمن التام.

**«آخر تفسير سورة (قريش)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) معاني القرآن: ٣٦٥/٥-٣٦٦.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢٥/٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٢/٨.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**تفسير سورة «الماعون»**

«سورة الماعون»: هي السورة السابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكاثر»، وقبل «سورة الكافرون»، آياتها سبع في عد العراقي، وست عند الباقين. وكلماتها خمس وعشرون، وحروفها مائة وخمس وعشرون . المختلف فيها آية: {يُرَاءُونَ} [الماعون : ٦]، فواصل آياتها على «النون»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:-اسمها التوقيفي: «سورة الماعون»:**

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير[٢]: «سورة الماعون»، لورود لفظ «الماعون» فيها دون غيرها، قال تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧].

- **الثاني:- أسماؤها الاجتهادية:**

**١-سورة «أرأيت»، أو «أرأيت الذي يكذب»:**

سميت في بعض التفاسير[٣]: «سورة أرأيت»، وكذلك عنونها في «صحيح البخاري»[٤].

وعنونها ابن أبي زمنين[٥]، والثعالبي[٦]: بـ«سورة أرأيت الذي».

وعنونها الجصاص[٧]، وابن عرفة[٨]، باسم: « أرأيت الذي يكذب بالدين»، باسم الآية الأولى كاملة.

وهذه التسميات، لها ارتباط بأول آية افتتحت بها، أو بأول كلمة فيها اختصارا، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

**٢-«سورة الدين»:**

عنونت السورة بهذا الاسم في عدة مصاحف[٩]، وعنونها البقاعي في: «نظم الدرر»[١٠]، وذكره في الإتقان[١١]، كما ذكره بعض المفسرين[١٢] في تفاسيرهم.

ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ: «الدين»، في أول السورة، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

**٣-«سورة اليتيم»:**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

(٢) انظر مثلا: تأويلات أهل السنة: ٦٢٢/١٠، وبحر العلوم للسمرقندي: ٦٢٥/٣، والكشف والبيان: ٣٠٤/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، والوسيط للواحدي: ٥٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٥٤٩/٨، والكشاف: ٨٠٣/٤، والمحرر الوجيز: ٥٢٧/٥، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، ومفاتيح الغيب: ٣٠١/٣٢، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠،وتفسير البيضاوي: ٣٤١/٥.

(٣) انظر مثلا: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٨٤٥٩/١٢، وتفسير السمعاني: ٢٨٨/٦، وتفسير المظهري: ١٣/١٠، وغيرها.

(٤) انظر: صحيح البخاري: ١٧٧/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٦/٥.

(٦) انظر: تفسير الثعالبي: ٤٤٤/٤.

(٧) انظر: أحكام القرآن: ٦٤٣/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن عرفة: ٣٤٧/٤.

(٩) منها:

- مصحف نسخ سنة(١٠٩٨هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم(٨٠٤٣).
- مصحف نسخ سنة(١٢٠١هـ) وهو مخطوط بجامعة الإمام برقم(١٨٦٨).
- ومصحف بجامعة الإمام رقم(٨٠٥١) (د. ت).

(١٠) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(١١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٩٦/١.

(١٢) انظر مثلا: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي: ٤٠٠/٨، وفتح القدير للشوكاني: ٦١١/٥، وروح المعاني للألوسي: ٤٧٤/١٥.

وردت هذه التسمية في «نظم الدرر»[١]، و«فتح القدير» للشوكاني[٢]، وسميت به لوقوع كلمة: «اليتيم» في السورة، قال تعالى: {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون : ٢]. ويجدر القول بأن هذه الكلمة: «اليتيم»، قد وردت في عدة سور من القرآن الكريم[٣].

**٤-«سورة التكذيب»:**

وردت هذه التسمية في «حاشيتي الخفاجي وسعدي»[٤]، وكذلك أوردها الألوسي في تفسيره[٥]، والبقاعي في «نظم الدرر»[٦].

ووجه تسميتها بـ«سورة التكذيب»، لورود «التكذيب»، بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١].

وهذه التسميات الأربعة الأخيرة هي من اجتهاد العلماء، وليست توقيفية، ولم يرد خبر صحيح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس-في رواية-[٧]، وابن الزبير[٨]، وعطاء[٩]، وجابر[١٠].

عن ابن عباس قال: " أنزلت {أرأيت الذي يكذب} بمكة"[١١]. وروي عن ابن الزبير مثله[١٢].

الثاني: أنها مدنيّة، روي عن ابن عباس-أيضا-[١٣]، وبه قال قتادة[١٤]. وبه قال الثعلبي[١٥].

وقال هبة الله المفسّر: "نزلت نصفين أو نصفان نصفها بمكة ونصفها بالمدينة فالذي أنزل منها بمكة: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١]، نزلت في العاص بن وائل السهمي

---

(١) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(٢) انظر: فتح القدير: ٦١١/٥.

(٣) وذلك في المواضع الآتية:

- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : ١٥٢].
- {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء : ٣٤].
- {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨].
- {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر : ١٧].
- {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩].
- وجاءت بصيغة المثنى:«يتيمن»، في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف : ٨٢]

.

(٤) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسير البَيضَاوي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفسير البَيضَاوي: ٤٠٠/٨.

(٥) انظر: روح المعاني: ٤٧٤/١٥.

(٦) انظر: نظم الدرر: ٢٧٥/٢٢.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. وانظر: تفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١١) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(١٥) عزاه إليه ابن عطية، انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ٢ - ٣]، إلى ههنا، ونزل باقيها في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤] [١]، إلى أخرها: نزلت بالمدينة"[٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية"[٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الأكثر"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنه لما قال في السورة السابقة: {أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، ذم في هذه من لم يحض على طعام المسكين.

٢- أنه قال في السورة السابقة: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} [قريش : ٣]، وهنا ذم من سها عن صلاته.

٣- أنه هناك عدد نعمه على قريش وهم مع ذلك ينكرون البعث ويجحدون الجزاء وهنا أتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها:**

من أبرز مقاصد السورة:

١- بيان حال المكذب بالدين، وأن من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره، وأنه لا يحض بقول أو فعل على إطعام المسكين: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ١ - ٣].

٢- ذكرت السورة فريقًا آخر شبيهًا بهذا المكذب بالدين، وهم الذين عن صلاتهم ساهون وغافلون لا يؤدونها، والذين هم مراءُون بأعمالهم، وهم مع ذلك يبخلون بالمعونة عمن يحتاج إليها، ولا يساعدون غيرهم فيما جرت به العادة أن يساعد بعضهم بعضًا فيه، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٤ - ٧].

قال ابن عاشور:" من مقاصدها التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه"[٦].

قال الفيروزآبادي :" معظم مقصود السورة: الشكاية من الجافين على الأيتام والمساكين، وذم المقصرين والمرائين، وما نعى نفع المعونة عن الخيرات والمساكين، في قوله: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون : ٧] "[٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٨].

- **فضائل السورة:**

---

(١) قال ابن عاشور:" قيل: نزل ثلاث أولها بمكة إلى قوله: { الْمِسْكِينِ} [الماعون: ٣]/ وبقيتها نزلت بالمدينة، أي بناء على أن قوله: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤]، إلى آخر السورة أريد به المنافقون وهو مروي عن ابن عباس وقاله هبة الله الضرير، وهو الأظهر". [التحرير والتنوير: ٥٦٣/٣٠].

(٢) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٢٤٧/٣٠.

(٦) التحرير والتنوير: ٥٦٤/٣٠.

(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ٢٠٥.

- عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «من قرأ سورة أَرَأَيْتَ غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا» [1]. [موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠٤/١٠. وانظر: تفسير مجمع البيان: ٤٥٤/١٠.[موضوع]

**القرآن**

**{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١)} [الماعون : ١]**

التفسير:

أرأيت حال ذلك الذي يكذِّب بالبعث والجزاء؟

قال الطبري: يقول: " أرأيت يا محمد الذي يكذّب بثواب الله وعقابه، فلا يطيعه في أمره ونهيه"(١).

عن الحسن قوله: "{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}، قال: الكافر"(٢).

قال ابن عطية:" هذا توقيف وتنبيه لتتذكر نفس السامع كل من يعرفه بهذه الصفة"(٣).

قال النحاس:" يجوز أن يكون «أرأيت» من رؤية العين فلا يكون في الكلام حذف، وأن يكون من رؤية القلب، فيكون التقدير: «أرأيت الذي يكذّب بالدين بعد ما ظهر له من البراهين أليس مستحقا عذاب الله»"(٤).

وفي قوله تعالى:{بِالدِّينِ}[الماعون : ١]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني: بالحساب ، قاله عكرمة(٥)، ومجاهد(٦)، وابن جريج(٧)، ومقاتل(٨).

قال سهل:" أي: بالحساب يوم يدان الناس"(٩).

الثاني : الذي يكذّب بحكم الله عز وجلّ، قاله ابن عباس(١٠).

الثالث : بالجزاء الثواب والعقاب. حكاه الماوردي(١١).

قال ابن عطية:" الحساب هنا قريب من الجزاء"(١٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : أرأيت - يا محمد - الذي يكذب بالدين ؟ وهو : المعاد والجزاء والثواب"(١٣).

قال السعدي:" أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل"(١٤).

وفي قراءة عبد الله: «أرأيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ الدِّينَ»(١٥).

وقرئ: «أرأيتك الذي»(١٦)، بزيادة حرف الخطاب، كقوله {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء : ٦٢]، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟(١٧).

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في رجل من المنافقين، قاله ابن عباس(١٨).

قال عطاء عن ابن عباس:" نزلت في رجل من المنافقين"(١٩).

---

(١) تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٣):ص٣٤٦٨/١٠.
(٣) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.
(٤) إعراب القرآن: ١٨٦/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.
(٩) تفسير التستري: ٢٠٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦.
(١٢) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.
(١٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٤/٣، والكشاف: ٨٠٤/٤.
(١٧) انظر: الكشاف: ٨٠٤/٤.
(١٨) انظر: زاد المسير: ٤٩٥/٤.
(١٩)أورده الواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ٥٥٨، والبسيط: ٣٥٦/٢٤، والبغوي ٨/ ٥٤٩.

الثاني: أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي ، قاله الكلبي[١]، ومقاتل[٢]، وسهل[٣].
قال الكلبي: "نزلت في العاص بن وائل السهمي"[٤].
وقال مقاتل:" نزلت في العاص ابن وائل السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، زوج أم هاني بنت عبد المطلب عمة النبي - صلى الله عليه وسلم-"[٥].
الثالث : في الوليد بن المغيرة ، قاله السدي[٦]، ومقاتل بن حيان[٧].
الرابع : في أبي جهل. حكاه الماوردي[٨].
الخامس : في عمرو بن عائذ ، قاله الضحاك[٩].
السادس : في أبي سفيان وقد نحر جزوراً ، فأتاه يتيم ، فسأله منها ، فقرعه بعصا ، قاله ابن جريج[١٠].
وقال ابن جُرَيْج: "كان أبو سفيان بن حرب ينحر كلّ أسبوع جَزورين، فأتاه يتيم، فسأله شيئًا، فقرعه بعصاه؛ فأنزل الله سبحانه فيه: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}"[١١].

**القرآن**
**{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)} [الماعون : ٢]**
التفسير:
فذلك الذي يدفع اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه.
قال الطبري:" يقول: فهذا الذي يكذّب بالدين، هو الذي يدفع اليتيم عن حقه، ويظلمه"[١٢].
قال الأخفش:" يدفعه عن حقه"[١٣].
قال الفراء:" يدفعه عن حقه، ويظلمه. وكذلك: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ} [الطور : ١٣]"[١٤].
قال ابن عطية:" أي: ارقب فيه هذه الخلال السيئة تجدها، ودع اليتيم: دفعه بعنف، وذلك إما أن يكون المعنى عن إطعامه والإحسان إليه، وإما أن يكون عن حقه وماله، فهذا أشد"[١٥].
قال الزجاج:" معنى «يدع» -في اللغة-: يدفع، وكذلك قوله: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} [الطور : ١٣]، أي: يدفعون إليها دفعا بعنف، فذلك الذي يدع اليتيم عن حقه"[١٦].
قال ابن كثير:" أي : هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه"[١٧].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.
(٣) انظر: تفسير التستري: ٢٠٦.
(٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥٦/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.
(٦) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٩، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥٦/٢٤، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.
(٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٩.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦.
(٩) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٩، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.
(١١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٥٨٦/٢.
(١٤) معاني القرآن: ٢٩٤/٣.
(١٥) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.
(١٦) معاني القرآن: ٣٦٧/٥.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

قال الزمخشري:" أي: يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى، وبردّه ردّا قبيحا بزجر وخشونة"[١].

قال السعدي:" أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا"[٢].

عن ابن عباس: "{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}، قال: يدفع حقّ اليتيم"[٣].

قال مجاهد:" يدفع اليتيم فلا يُطعمه"[٤].

قال الضحاك :"يقهره"[٥].

قال قتادة:" أي يقهره ويظلمه"[٦].

عن الحسن :"{يَدُعُّ اليَتِيمَ}، قال: يظلمه"[٧].

عن محمد بن كعب :" {يَدُعُّ اليَتِيمَ}، قال: يدفعه"[٨]. وروي عن سفيان مثله[٩].

وقرئ« فَذَلِكَ الَّذِي يَدَعُ الْيَتِيمَ»، أي: فذلك الذي لا يعبأ باليتيم ويتركه مهملاً، ويجفو[١٠].

**القرآن**

**{وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ٣]**

التفسير:

ولا يحضُّ غيره على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟

قال الطبري: يقول: " ولا يحثّ غيره على إطعام المحتاج من الطعام"[١١].

قال الفراء:" أي: لا يحافظ على إطعام المسكين ولا يأمر به"[١٢].

قال الزجاج:" أي: لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطْعَامِه"[١٣].

قال ابن عطية:" أي: لا يأمر بصدقة ولا يرى ذلك صوابا"[١٤].

قال الزمخشري: أي:" ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين، جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف، يعنى: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشى الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك، فحين أقدم عليه: علم أنه مكذب، فما أشده من كلام، وما أخوفه من مقام، وما أبلغه في التحذير من المعصية وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين"[١٥].

قال ابن كثير:" «المسكين»: يعني : الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته"[١٦].

---

(١) الكشاف: ٨٠٤/٤.
(٢) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٧)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٨)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٤٣٣ (٢٥٢٥).
(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(١٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٦٧/٥، والكشاف: ٨٠٤/٤.
(١١) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٩٤/٣.
(١٣) معاني القرآن: ٣٦٧/٥.
(١٤) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.
(١٥) الكشاف: ٨٠٤/٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

قال ابن جريج: كان أبو سفيان ينحر كل أسبوع جزورا فجاءه يتيم، فقرعه بعصا فنزلت السورة فيه"[١].

**القرآن**

**{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)} [الماعون : ٤-٥]**

التفسير:

فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها.

قال الطبري: يقول: "فالوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين يصلون، لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوها"[٢].

قال الفراء:" يعني: المنافقين"[٣].

قال الزجاج:" يُعْنَى بهذا: المنافقون، لأنهم كانوا إنما يراءون بالصلاة إذَا هُمْ رآهم المؤمنون صلوا معهم، وإذا لم يروهم لم يصلوا"[٤].

قال ابن عطية:" ويروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة الذين لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا، وكانوا على هذه الخلق من الغشم وغلظ العشرة والفظاظة على المسلمين، وربما كان بعضهم يصلي أحيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة"[٥].

وفي قوله تعالى:{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون : ٥]، وجوه من التفسير:

احدها: أنهم يؤخِّرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها. وهذا قول ابن عباس[٦]، وابن أبزى[٧]، ومسروق[٨]، وأبي الضحى[٩]، ومسلم بن صبيح[١٠]، وسعد بن أبي وقاص[١١]، وابنه مصعب[١٢]. ورواه سعد مرفوعا[١٣]. وحكاه الواحدي عن الأكثرين[١٤].

قال الزمخشري: " كأنه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها، حتى تفوتهم أو يخرج وقتها"[١٥].

قال الزجاج :"ومن تعمَّد تأخيرها عن وقتها حتى يدخل وقت غيرها فالويل له أيضاً كما قال اللَّه عزَّ وجلّ"[١٦].

قال السعدي:" {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم {عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله

---

(١) عزاه إليه ابن عطية في "المحرر الوجيز": ٥٢٧/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٩٥/٣.
(٤) معاني القرآن: ٣٦٧/٥.
(٥) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٤-٦٣١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٦):ص٣٤٦٨/١٠.
قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٤٣ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جدًا، ولهذا الحديث طرق، وقد ذكر ابن كثير أن الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، ثم قال: وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم.
(١٤) انظر: التفسير البسيط: ٣٥٨/٢٤-٣٥٩.
(١٥) الكشاف: ٨٠٤/٤.
(١٦) معاني القرآن: ٣٦٧/٥.

حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم"[١].

عن سعد بن أبي وقاص قال:" سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»"[٢].

عن ابن عباس: "{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: الذين يؤخِّرونها عن وقتها"[٣].

قال مسروق:" الترك لوقتها"[٤]. وفي لفظ:" تضييع ميقاتها"[٥].

قال أبو الضحى:" ترك المكتوبة لوقتها"[٦].

قال مسلم بن صبيح:" الذين يضيعونها عن وقتها"[٧].

قال ابن أبزى:" الذين يؤخِّرون الصلاة المكتوبة، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها"[٨].

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لأبي، أرأيت قول الله عزّ وجلّ: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهي تركها؟ قال: لا، ولكن تأخيرها عن وقتها"[٩].

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لسعد: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا ولكن السهو أن يؤخِّرها عن وقتها"[١٠].

قال مصعب بن سعد:" السهو: الترك عن الوقت"[١١].

الثاني: أنهم يتركونها فلا يصلونها. قاله ابن عباس-أيضا-[١٢]، ومجاهد[١٣].

عن مجاهد: "{عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: الترك لها"[١٤].

قال ابن عباس:" هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ، ويصلون في العلانية"[١٥].

قال ابن عباس:" فهم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضا لهم، وهو الماعون"[١٦].

قال ابن كثير:" ولهذا قال :{لِلْمُصَلِّينَ}، أي : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى.. وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة

---

(١) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٦):ص٣٤٦٨/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤-٦٣١.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤-٦٣٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْقُب الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»[١]، فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ؛ ولهذا قال : "لا يذكر الله فيها إلا قليلا ". ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذًا لم يصل بالكلية. قال تعالى :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلا قَلِيلا} [النساء : ١٤٢]. وقال هاهنا :{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}"[٢].

الثالث : أن معنى «ساهون»، أي: لاهون. قاله ابن عباس-في رواية-[٣]، ومجاهد-أيضا-[٤]، والفراء[٥].

عن مجاهد: "{عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: لاهون"[٦].

وقال مجاهد:" يتهاونون"[٧].

قال مقاتل:" يعني: لاهون عنها حتى يذهب وقتها، وإن كانوا في خلال ذلك يصلونها"[٨].

وقرأ ابن مسعود: «لاهون»[٩].

قال الزمخشري: " لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرأ من غير خشوع وإخبات، ولا اجتناب لما يكره فيها: من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات، لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف، ولا ما قرأ من السور، كما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أنّ هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة- التي هي عماد الدين، والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام- علما على أنهم مكذبون بالدين. وكم ترى من المتسمين بالإسلام، بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة، فيا مصيبتاه"[١٠].

الرابع : غافلون. قاله قتادة[١١].

عن قتادة:" {عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: غافلون"[١٢].

قال قتادة:" عنها، لا يبالي صلى أم لم يصلّ"[١٣].

وقال ابن زيد:" يصلون، وليست الصلاة من شأنهم"[١٤].

قال سهل:" هم المنافقون، غافلون عن مراعاة أوقات الصلاة ومراعاة حقوقها، وهذا وعيد شديد، إذ ليس كل من كان في صورة المطيعين واقفاً مع العابدين، كان مطيعاً مقبول العمل. وفي زبور داود عليه السلام: قل للذين يحضرون الكنائس بأبدانهم، ويقفون مواقف العباد

---

(١)صحيح مسلم برقم (٦٢٢) ولم أقع عليه في صحيح البخاري، ولم يعزه المزى له في تحفة الأشراف.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

(٣) عزاه إليه الفراء في "معاني القرآن": ٢٩٥/٣. قال الفراء: يعني: " لاهون، كذلك فسرها ابن عباس، وكذلك رأيتها في قراءة عبد الله".

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.

(٩) انظر: الكشاف: ٨٠٥/٤.

(١٠) الكشاف: ٨٠٤/٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

وقلوبهم في الدنيا: أبي يستخفون؟ أم إياي يخدعون؟. وفي الخبر: «ليس لأحد من صلاته إلا ما عقل»"[1][2].

الخامس : هو الذي يلتفت يمنة ويسرة وهواناً بصلاته، قاله أبو العالية[3].

قال أبو العالية:" هو الذي يصلي ويقول هكذا وهكذا، يعني: يلتفت عن يمينه وعن يساره"[4].

ونقل ابن الجوزي عن أبي العالية أنه قال: "هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر"[5].

قال ابن الجوزي:" وردَّ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد سها في صلاته[6]، ولأنه قال عزّ وجلّ: عَنْ صَلاتِهِمْ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذاك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم"[7].

قال القرطبي: "وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته، فضلا عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهود في كتبهم"[8].

قال ابن العربي:" لأن السلامة عن السهو محال فلا تكليف. وقد سها النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاته والصحابة، وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراءتها، وإنما همه في إعدادها وهذا رجل يأكل القشور ويرمي اللب، وما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسهو في صلاته إلا لفكرته في أعظم منها، اللهم إلا أنه قد يسهو في صلاته من يقبل على وسواس الشيطان إذا قال له: اذكر كذا [لما لم يكن يذكره] حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى"[9].

السادس : لا يصلّيها سراً ويصليها علانية رياء للمؤمنين ، قاله ابن عباس-في رواية-[10]، والحسن[11].

قال ابن عباس:" هم المنافقون يرآءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا"[12].

وحكي ابن كثير عن الحسن: "إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله وفي لفظ : صدقة ماله"[13].

---

(١) قوت القلوب: ٢/ ١٦٩، وفيض القدير: ٢/ ٣٣٤.
(٢) تفسير التستري: ٢٠٦.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص٣٤٦٨/١٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص٣٤٦٨/١٠.
(٥) زاد المسير: ٤٩٦/٤.
(٦) ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين.
عن أبي هريرة، قال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين، فقام رجل من بني سليم، فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة، أم نسيت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم تقصر الصلاة، ولم أنسه "، قال: يا رسول الله، إنما صليت ركعتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحق ما يقول ذو اليدين؟ "، قالوا: نعم، قال: فقام، فصلى بهم ركعتين آخريين، قال يحيى: حدثني ضمضم بن جوس، أنه سمع أبا هريرة يقول: ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدتين".
أخرجه أحمد (٢٦٣/١٥، رقم ٩٤٤٤) ، والطبرانى (٢٣٣/٤، رقم ٤٢٢٤)، النسائي في "الكبرى" (٥٦٢).
(٧) زاد المسير: ٤٩٦/٤.
(٨) تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢١٢.
(٩) أحكام القرآن: ٤٥٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٥):ص٣٤٦٨/١٠.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٢/٦.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٥):ص٣٤٦٨/١٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٨.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: {ساهُونَ}: لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحيانا، وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال: عُنِيَ بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عُنِيَ به تركها لما ذكرتُ من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت"[١]. ثم استشهد على صحة قوله:

- عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم، عن {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: هم الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها"[٢].
- عن أبي برزة الأسلميّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} : الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطي كلّ رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه"[٣].
- وروي عمر بن سليمان يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال: "الحمد لله الذي قال: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}[ ولم يقل : في صلاتهم ساهون][٤]"[٥].

ثم قال الطبري:" وكلا المعنيين اللذين ذكرت في الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة"[٦].

**القرآن**

**{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦)} [الماعون : ٦]**

التفسير:

الذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مراءاة للناس.

قال الطبري:" يقول: الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستبطنون الكفر، ويُظهرون الإسلام"[٧].

قال الفراء:" إن أبصرهم الناس صلوا، وإن لم يرهم أحد تركوا الصلاة"[٨].

قال مقاتل:" إذا أبصرهم الناس صلوا، يراءون الناس بذلك ولا يريدون الله- عز وجل- بها"[٩].

قال ابن عطية:" بيان أن صلاة هؤلاء ليست لله تعالى بينة إيمان، وإنما هي رياء للبشر فلا قبول لها"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤. قال ابن كثير:٤٩٥/٨ :" فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يُسَمّ".

(٤) زيادة في تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

قال الزمخشري: في الكشاف(٨٠٥/٤):" فإن قلت: أيّ فرق بين قوله: {عَنْ صَلاتِهِمْ}، وبين قولك «فِي صَلاتِهِمْ»؟

قلت: معنى «عَنْ»: أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى «فِي»: أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم".

(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤-٦٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٨) معاني القرآن: ٢٩٥/٣.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

عن مجاهد، عن عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- في قوله: "{يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}، قال: يراءون بصلاتهم"[١].

قال مجاهد:" هم المنافقون"[٢].

عن الضحاك:"{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}، يعني: المنافقين"[٣].

قال ابن عباس:" هم المنافقون، كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا"[٤].

قال الحسن:" هو المنافق... فإن صَلّى راءى، وإن فاتتْه لم يأسَ عليها"[٥].

قال ابن زيد:" ويصلون- وليس الصلاة من شأنهم- رياءً"[٦].

قال سهل:" هو الشرك الخفي، لأن المنافقين كانوا يحسنون الصلاة في المساجد، فإذا غابوا عن أعين المسلمين تكاسلوا عنها، ألا ترى كيف أثبتهم أولاً مصلين، ثم أوعدهم بالوعيد. واعلموا أن الشرك شركان: شرك في ذات الله عزَّ وجلَّ، وشرك في معاملته، فالشرك في ذاته غير مغفور، وأما الشرك في معاملته قال: نحو أن يحج ويصلي ويعلم الناس، فيثنون عليه، هذا هو الشرك الخفي. وفي الخبر: «أخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما خلص، ولا تقولوا هذا لله، وللرحم إذا وصلتموه فإنه للرحم، وليس منه شيء»[٧]. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلّم لمعاذ حين قال له: أوصني يا رسول الله، قال: «أخلص لله يكفيك القليل من العمل»[٨]"[٩].

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إن في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب الله. وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله"[١٠].

عن عبد الله بن عمرو، يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سَمَّع الناس بعمله، سَمَّع الله به سامعَ خلقه، وحَقَّره وصَغَّره"[١١].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى المراءاة؟ قلت: هي مفاعلة من الإراءة، لأنّ المرائى يرى الناس عمله، وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به، ولا يكون الرجل مرائيا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ولا غمة في فرائض الله»[١٢]، لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين، ولأن تاركها يستحق الذم والمقت، فوجب إماطة التهمة بالإظهار، وإن كان تطوعا، فحقه أن يخفى، لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين، فيثنى عليه بالصلاح. وعن بعضهم: «أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها، فقال: ما أحسن هذا لو كان في بيتك»، وإنما قال هذا لأنه توسم فيه

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٤.
(٧)شعب الإيمان ٥/ ٣٣٦ والترغيب والترهيب ١/ ٢٣ والفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٧١ وفيض القدير ١/ ٢١٧ وجامع العلوم والحكم ص ١٦ ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٢١.
(٨)نوادر الأصول ١/ ٩١ وشعب الإيمان ٥/ ٣٤٢- ٣٤٣ والفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٣٥.
(٩) تفسير التستري: ٢٠٧.
(١٠)المعجم الكبير (١٧٥/١٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٦٧) : "رفع حديث ابن عباس غريب، ولعله موقوف، والله أعلم".
(١١)المسند (٢١٢/٢)، و(١٦٢/٢).
(١٢)هو طرف من حديث وائل بن حجر في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأقيال، وفيه: «ولا يوصم في الدين ولا غمة في فرائض الله»، وقال: الغمة السترة، أي: لا تستر في فرائض الله، بل ظاهر بها.

الرياء والسمعة، على أن اجتناب الرياء صعب إلا على المرتاضين بالإخلاص. ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود»[١]"[٢].

قال ابن كثير:" ومما يتعلق بقوله تعالى :{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس، فأعجبه ذلك، أن هذا لا يعد رياء، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا هارون بن معروف، حدثنا مخلد بن يزيد، حدثنا سعيد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال : كنت أصلي، فدخل علي رجل، فأعجبني ذلك، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : "كتب لك أجران : أجر السر، وأجر العلانية"[٣].

قال أبو علي هارون بن معروف : "بلغني أن ابن المبارك قال : نعم الحديثُ للمرائين"[٤].

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يَسُرُّه، فإذا اطُّلِعَ عليه أعجبه. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "له أجران : أجر السر وأجر العلانية"[٥].

**القرآن**

**{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٧]**

التفسير:

ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

وفي تفسير قوله تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٧]، أقوال:

أحدها : أن «الماعون»: الزكاة ، قاله علي[٦]، وابن عمر[٧]، والحسن[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وعكرمة[١١]، وقتادة[١٢]، والضحاك[١٣]،وزيد بن أسلم[١٤]، وابنه عبدالرحمن[١٥]، ومحمد بن الحنفية[١٦]، قال الراعي [١٧]:

---

(١)لم أجده.

(٢) الكشاف: ٨٠٥/٤.

(٣) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٨، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩٤٩) "مجمع البحرين"، وقال الطبراني : "لم يروه عن سعيد إلا محمد بن معاذ، ومحمد بن بكار". وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٠/١٠) : "رجاله ثقات". قلت : سعيد بن بشير ضعفه الأئمة.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٨.

(٥)مسند الطيالسي برقم (٢٤٣٠)، وسنن الترمذي برقم (٢٣٨٥)، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٢٦).

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٤.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٥):ص٣٤٦٩/١٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(١٤) القران الكريم من الجامع لابن وهب(١١٦):ص٥٣/١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(١٧)جمهرة أشعار العرب: ١٧٥، وغيرها، من ملحمته المشهورة، قالها لعبد الملك بن مروان، وكان بعض عماله على الصدقات، قد أوقع ببني نمير قوم الراعي، لأن قيسًا كانت زبيرية الهوى، فقال:

أخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصِيلاً

أخليفة الرحمن إنا مَعْشَرٌ ... حُنَفاءُ نسجُد بكرةً وأصيلاً
عَرَبٌ نرى لله في أمْوالِنا ... حقَّ الزكاة مُنزّلا تنزيلاً
قَوْمٌ على الإسلام لمّا يَمْنعوا ... ماعونَهم ويضَيِّعوا التهْليلا

قال عكرمة:" رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة"[١].

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله عكرمة حسن ؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد. وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة"[٢].

عن علي-رضي الله عنه-:"{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون}، قال: يمنعون زكاة أموالهم"[٣]. وفي لفظ:" الصدقة المفروضة"[٤].

عن قتادة: "{المَاعُونَ}: الزكاة المفروضة"[٥].

قال ابن زيد:" هم المنافقون يمنعون زكاة أموالهم"[٦].

قال ابن زيد:" أولئك المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها وخفيت الزكاة فمنعوها"[٧].

قال زيد بن أسلم:" الماعون: الزكاة. قال: ولو خفيت لهم الصلاة كما خفيت لهم الزكاة لم يصلوا"[٨].

قال الحسن:" منعوا صدقات أموالهم، فعاب الله عليهم"[٩].

قال الحسن:" هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله، فإن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها"[١٠].

عن سلمة، قال: "سمعت أبا المُغيرة قال: سألت ابن عمر، عن الماعون، فقال: هو منع الحقّ"[١١].

عن سلمة بن كهيل، قال:" سمعت أبا المغيرة: رجلا من بني أسد، قال: سألت عبد الله بن عمر، عن الماعون، قال: هو منع الحقّ، قلت: إن ابن مسعود قال: هو منع الفأس والدلو قال: هو منع الحقّ"[١٢].

عن سلمة بن كهيل، قال: سُئل ابن عمر عن الماعون، فقال: هو الذي يسأل حق ماله ويمنعه، فقال: إن ابن مسعود يقول: هو القدر والدلو والفأس، قال: هو ما أقول لكم"[١٣].

عن سلمة بن كهيل:" أن ابن عمر سُئل عن قول الله: "وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}، قال: الذي يُسأل مال الله فيمنعه، فقال الذي سأله، فإن ابن مسعود يقول: هو الفأس والقدر، قال ابن عمر: هو ما أقول لك"[١].

---

عَرَبٌ، نَرَى لِلهِ في أمْوالِنا ... حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاً
إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أمْرَتَهُمْ ... وأتَوْا دَواهِيَ، لو عَلِمْتَ، وغُولا
ثم يقول له: أخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بالأصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاً
حَتَّى إذا لَمْ يَتْرُكُوا..... ... . . . . .
جَاءوا بِصَكَّهِمُ، وَأَحْدَبَ أسْأرَتْ ... مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إجْفِيلا
وهي من جيد الشعر.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٥):ص٣٤٦٩/١٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٣٥/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٤):ص٣٤٦٩/١٠.
(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٧):ص١٦١/٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.

عن أبي المُغيرة، قال: "سأل رجل ابن عمر، عن الماعون؟ قال: هو المال الذي لا يؤدى حقه، قال: قلت: إن ابن أمّ عبد يقول: هو المتاع الذي يتعاطاه الناس بينهم، قال: هو ما أقول لك"[٢].

الثاني : أن «الماعون»: المعروف ، قاله محمد بن كعب[٣].

وفي الحديث:«كل معروف صدقة»[٤].

الثالث : أنه الطاعة، قاله ابن عباس -في رواية-[٥].

الرابع : أنه المال -بلسان قريش-، قاله سعيد بن المسيب[٦]، والزهري[٧].

الخامس : أن«الماعون» -في الجاهلية: كل منفعة وعطية، وفي الإسلام: الطاعة والزكاة. قاله أبو عبيدة[٨]، والزجاج[٩]. واستشهدا بقول الأعشى[١٠]:

بِأَجْوَدَ مِنْه بِمَاعُونِهِ ... إذا ما سَماؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

وقول الراعي[١١]:

قَوْمٌ عَلَى الإسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ... ماعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلا

قال أبو عبيدة: وكانت لي ناقة صفيّة، فقال لي رجل: لو قد نزلنا لقد صنعت بناقتك صنيعا تعطيك الماعون. أي: تنقاد"[١٢].

قال الزجاج:" «الماعون» -في الجاهلية- ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقداحة وكل ما انتفع به من قليل أو كثير.. و«الماعون» -في الإسلام-: قيل هو الزكاة والطاعة"[١٣].

قال ابن عطية:" وصف لهم بقلة النفع لعباد الله، وتلك شرخلة"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٦):ص٣٤٦٩/١٠.

(٤)حديث حذيفة: أخرجه أحمد (٣٩٧/٥، رقم ٢٣٤١٨) ، ومسلم (٦٩٧/٢، رقم ١٠٠٥) ، وأبو داود (٢٨٧/٤، رقم ٤٩٤٧) ، وابن حبان (١٧٢/٨، رقم ٣٣٧٨) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٢٢٠/٥، رقم ٢٥٤٢٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٠٥/٣، رقم ٣٣٣٠) .

حديث ابن مسعود: أخرجه أيضا: الشاشى (٣٤٨/١، رقم ٣٣٠) ، والقضاعى (٨٧/١، رقم ٨٩) .

حديث أبى مسعود: أخرجه الطبرانى (٢٣٠/١٧، رقم ٦٣٩) ، قال الهيثمى (١٣٦/٣) : رجاله رجال الصحيح.

حديث جابر: أخرجه أحمد (٣٦٠/٣، رقم ١٤٩٢٠) . وأخرجه أيضا: البخارى (٢٢٤١/٥، رقم ٥٦٧٥) ، وعبد بن حميد (ص ٣٢٧، رقم ١٠٨٣) ، وابن حبان (١٧٢/٨، رقم ٣٣٧٩) .

حديث عبد الله بن يزيد: أخرجه أيضا: أحمد (٣٠٧/٤، رقم ١٨٧٦٣) . قال الهيثمى (١٣٦/٣) : رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، ورجال أحمد ثقات.

حديث عدى بن ثابت عن أبيه عن جده: أخرجه الطبرانى (٣٨٧/٢٢، رقم ٩٦٤).

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٣/٦، وزاد المسير: ٤٩٦/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.

(٨) انظر: مجاز القرآن: ٣١٣/٢.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٣٦٨/٥.

(١٠)ديوانه: ص ٣١.

(١١)ورد البيت في: "تهذيب اللغة" ٣/ ١٧ (ويبدلوا تبديلا) بدلًا من (ويضيعوا تهليلا)، و"لسان العرب" ١٣/ ٤١٠ برواية (على التنزيل) بدلًا من (على الإسلام) و (يبدلوا التنزيلا) بدلًا من (يضيعوا التهليلا)، و"جامع البيان" ٣٠/ ٣١٤ برواية (التنزيلا)، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٦٣ أبرواية (التهليلا)، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٥٣ (التهليلا) وبمثل رواية التهليلا جاء في: "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢١٤، و"البحر المحيط" ٨/ ٥١٨، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٤٢.

(١٢) مجاز القرآن: ٣١٣/٢.

(١٣) معاني القرآن: ٣٦٨/٥.

(١٤) المحرر الوجيز: ٥٢٨/٥.

قال ابن كثير:" أي : لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولى وأولى"[١].

السادس : أنه الماء إذا احتيج إليه، ومنه: الماء المعين، وهو الجاري ، ذكره الفراء[٢]، ومنه قول الأعشى[٣]:

بأَجْوَدَ مِنْه بِمَاعُونِهِ ... إذا ما سَماؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

قال الفراء:" سمعت بعض العرب، يقول: الماعون: هو الماء، وأنشدني فيه[٤]:

يمج صَبِيرُهُ الماعون صبّا

قال الفراء: "ولست أحفظ أوله. الصّبير: السّحاب"[٥].

وقال ابن منظور:" الماعون: المطر، لأنه يأتي من رحمة الله عفوا بغير علاج كما تعالج الأبآر ونحوها من فرض المشارب؛ وأنشد أيضا:

أقول لصاحبي ببراق نجد: ... تبصر، هل ترى برقا أراه؟

يمج صبيره الماعون مجا، ... إذا نسم من الهيف اعتراه"[٦].

السابع : أنه ما يتعاوره الناس بينهم، مثل الدلو والقدر والفأس ، قاله ابن عباس[٧]، وابن مسعود[٨]، وأبو مالك[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]. وقد روي مأثورا[١١].

عن دلهم بن دهثم العجلي: حدثنا مائذ بن ربيعة النميري:" أنهم وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ قال : «لا تمنعون»، وقال: يا رسول الله وما الماعون؟ قال «في الحجر وفي الحديدة وفي الماء»، قالوا فأي الحديدة؟ قال «قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهون به»، قالوا وما الحجر؟ قال: «قدوركم الحجارة»[١٢].

عن علي بن فلان النميري : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "المسلم أخو المسلم. إذا لقيه حَيَّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون". قلت : يا رسول الله، ما الماعون ؟ قال : "الحَجَر، والحديد، وأشباه ذلك"[١٣].

عن ابن عباس"{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}، قال: اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة، ومنهم من قال: يمنعون الطاعة، ومنهم من قال: يمنعون العارية"[١٤].

عن ابن عباس :"{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}، قال: لم يجيء أهلها بعد"[١٥].

عن ابن جبير، عن ابن عباس: "{الْمَاعُونَ}: العارية"[١٦].

قال ابن عباس:" يمنعونهم العارية، وهو الماعون"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٨.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٣.

(٣)ديوانه: ص ٣١، وتفسير الطبري: ٢٤/ ٦٦٥، واللسان (معن)، وتفسير: القرطبي ٢٠/ ٢١٤.

(٤)لم أعثر على قائله، وقد نقله القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٢١٤) ولم ينسبه. وقد ذكره صاحب اللسان: (٤١٠/١٣): مع بيت آخر صدرا لبيت عجزه: «إذا نسم من الهيف اعتراه »

(٥) معاني القرآن: ٢٩٥/٣.

(٦) اللسان: ٤١٠/١٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٠/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤-٦٣٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٣):ص٣٤٦٩/١٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٣):ص٣٤٦٩/١٠. قال ابن كثير:٤٩٧/٨" غريب جدا، ورفعه منكر، وفي إسناده من لا يعرف ".

(١٣)أسد الغابة :٦٢٤/٣، ذكره ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة "علي النميري".

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤.

عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: "هو العارية"[٢].
عن ابن عباس:" {المَاعُونَ}، قال: متاع البيت"[٣].
قال ابن عباس:" هو متاع البيت"[٤].
قال ابن عباس:" ما يتعاطى الناس بينهم"[٥].
قال ابن عباس:" ويمنعونهم، العارية بغضا لهم وهي «الماعون»"[٦].
عن أبى العبيدين، قال: قال عبد الله: "الماعون: القدر والفأس والدلو"[٧].
عن ابن مسعود:" {المَاعُونَ}: منع الفأس والقدر والدلو"[٨].
قال ابن مسعود:" ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس والدلو وشبهه"[٩].
عن أبي العبيدين: "-وكانت به زمانة، وكان عبد الله يعرف له ذلك-، فقال: يا أبا عبد الرحمن ما الماعون؟ قال: ما يتعاطى الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك"[١٠].
قال ابن مسعود:" كنا أصحاب محمد نحدّث أن الماعون: القدر والفأس والدلو"[١١].
قال ابن مسعود:" كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن الماعون: الدلو والفأس والقدر، لا يستغنى عنهن"[١٢].
قال ابن مسعود:" عن عبد الله، قال: كنا مع نبينا صلى الله عليه وسلم ونحن نقول: الماعون: منع الدلو وأشباه ذلك"[١٣].
عن سعيد بن عياض -قال أبو موسى: هكذا قال غندر- عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، قالوا: "إن من الماعون: الفأس والدلو والقدر"[١٤].
قال السعدي:" أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به، فهؤلاء -لشدة حرصهم- يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه"[١٥].
الثامن : أنه الإبرة، والماء، والنار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النحو، رواه أبو هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم[١٦].
وعن عائشة: "الماء والنار والملح"[١٧].
قال الزمخشري:" وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة"[١٨].
التاسع : أنه منع الزكاة والفأس والدلو والقدر. قاله علي-رضي لله عنه-[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤-٦٤١.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٥):ص٣٤٦٨/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٤.
(١٥) تفسير السعدي: ٩٣٥.
(١٦) ضعيف جدا. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/ ١٦٨ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جدا لضعف عمرو بن شبيب، وفي الإسناد مجاهيل. وحسبه أن يكون من كلام أبي هريرة.
(١٧) نقلا عن: الكشاف: ٨٠٦/٤.
(١٨) الكشاف: ٨٠٦/٤.

العاشر : أنه منع الحق ، قاله عبد الله بن عمر[٢].
الحادي عشر : أنه المستغل من منافع الأموال ، مأخوذ من: المعنى، وهو: القليل ، قاله الطبري[٣]، وابن عيسى[٤].

قال الطبري: المعنى: "ويمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كلّ شيء منفعته، يقال للماء الذي ينزل من السحاب ماعون"[٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعونه الناس، خبرًا عاما، من غير أن يخص من ذلك شيئا أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاونونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض"[٦].

فوائد السورة الكريمة:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- أيما قلب خلا من عقيدة البعث والجزاء إلا وصاحبه شر الخلق لا خير فيه البتة.

٣- التنديد بالذين يأكلون أموال اليتامى ويدفعونهم عن حقوقهم استصغارا لهم واحتقارا.

٤- التنديد والوعيد للذين يتهاونون بالصلاة ولا يبالون في أي وقت صلوها وهو من علامات النفاق والعياذ بالله.

٥- منع الماعون من صفات المنافقين والمانع لما المسلمون في حاجة إليه ليس منهم لحديث من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم فكيف بالذي يمنعهم ما هو فضل عنده وهم في حاجة إليه؟.

قال السعدي:" وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال، والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك"[٧].

**«آخر تفسير سورة (الماعون)، والحمد لله وحده»**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

**انتهى الجزء التاسع والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء الأربعون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «الكوثر».**

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٣/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٤، ٦٤٢.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٣/٦.
(٥) تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٤.
(٦) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.
(٧) تفسير السعدي: ٩٣٥.